الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتوري قسنطينة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ والآثار

الرقم التسلسلي:..................

رقـم التسجيـل:..................

الأسرة الأندلسية

في عصري المرابطين والموحدين

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ، تخصص تاريخ وحضارات بلاد الأندلس

إعداد الطالبة:

مريامة لعناني

إشراف الدكتور:

عبد العزيز فيلالي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة الأصلية	الصفة
1- د/ عبد العزيز فيلالي	جامعة منتوري قسنطينة	مشرفا ومقررا
2- أ.د/ بـوبة مجـاني	جامعة منتوري قسنطينة	رئيسا
3-أ.د/ إبراهيم بحاز بكير	جامعة منتوري قسنطينة	عضوا مناقشا
4- د/ عـلاوة عمـارة	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	عضوا مناقشا

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين:

أولا: أهمية الموضوع وإشكاليته:

لاشك في أن التاريخ الإسلامي يمثل ثروة ضخمة تشكل عصب الحركة البحثية والمعرفية، بما يحويه من مصادر فقهية وتاريخية وأدبية، وتراجم وطبقات وغيرها، تساعد الباحثين والدارسين على دراسة جوانب الحياة في العالم الإسلامي، ومعرفة أيام العصور الإسلامية.

ومن الجوانب التي يأتي ذكرها في طيات هذه الثروة؛ الجانب الاجتماعي الذي يعد واحدا من الجوانب التي من الممكن دراستها وجمع الأخبار عنها.

ومن الفروع التي دعانا البحث لدراستها "الحياة لأسرية" أو "دورة الأسرة"[1]، والتي تتمثل في تتابع الأحداث التي تمر بها الأسرة منذ قيامها حتى وفاة الزوجين، وما يحدث خلال تلك الفترة من مناسبات وعمليات مختلفة.

تبعا للتخصص في مجالات البحث، فإن البحث يحاول دراسة دورة الأسرة في الأندلس في أحد العصور الإسلامية، التي اتسمت بالجهاد والدفاع عن ديار الإسلام، وإعادة الوحدة بعد انفصام، ولإبراز ذلك جاء البحث موسوما بـــ " **الأسرة الأندلسية في عصري المرابطين والموحدين**".

وقبل الوصول إلى نهاية تحديد هذا الموضوع أردنا دراسته في كتب النوازل والحسبة بصفة خاصة، أو دراسته في كتب الأمثال والأزجال، لكن بعد التحاور مع الأستاذ المشرف خلصنا إلى أن تكون الدراسة أوسع ترتكز إلى تشكيل معرفي متنوع بين المعطيات التاريخية والفقهية والأدبية وغيرها، وألا يكون محصورا في جانب معرفي واحد، حيث يخفي عدة جوانب يمكن أن تفيدنا بها المصادر الأخرى، فمثلا المعلومات التي تقدمها النوازل –رغم أهميتها- لا تسمح وحدها بإنجاز بحث واضح متماسك العناصر[2]، ولهذا كان من الضروري إضافة معطيات أخرى.

واعتبارا لذلك جاء العمل مركزا على أسلوب الحياة الأسرية كما عاش مفهومه الأندلسيون في عصر من عصور الجهاد والامتزاج بعناصر جديدة، وصاغوا إشكالاته في قضايا فقهية وقضائية كالنوازل

---

(1) غيث عاطف وآخرون: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر، دط، 1996، ص177.

(2) فتحة محمد: النوازل الفقهية والمجتمع، أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي، أطروحة دكتوراه في التاريخ، إشراف حجي محمد، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، قسم التاريخ، سنة 1995- 1996، ص09. ذنون طه عبد الواحد: **"كتب الفتاوى مصدرا للتاريخ الأندلسي"**، المجلة العربية للثقافة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلـوم، ع27، سنة14، ربيع الأول1415/سبتمبر1994، ص94.

والوثائق والاحتساب، وقضايا شعبية كالأمثال والأزجال، وقضايا أدبية ساهم بها أدباؤهم، إلى ما لاحظوه أو عايشوه أو لوحظ عليهم، ودونه المترجمون والرحالة والمؤرخون والجغرافيون.

ولدراسة هذا الموضوع ومحاولة الكشف عنه، لابد من تحديد محور الموضوع في الإشكالية التي تتجلى في التساؤلات الآتية:

ما مدى تفاعل عناصر المجتمع الأندلسي في عصر المرابطين والموحدين؟ وما هي أهم الظواهر البارزة التي ميزت هذا التفاعل في الحياة الأسرية الأندلسية في هذا العصر؟

وللتفصيل في ذلك يمكن عرض عدة تساؤلات ترد إجاباتها ضمن صفحات البحث، وهي:

-ما نظرة الفرد والمجتمع الأندلسي لتكوين الأسرة؟

-ما هي أهم المراحل التي عرفتها الأسرة الأندلسية في تكوينها؟

-ما وضعية الأفراد في الأسرة الأندلسية؟ وما هي أهم المظاهر الديناميكية للأسرة؟

-ما هي أهم العادات والمعتقدات البارزة في الحياة اليومية؟

-ما مدى اهتمام الأسرة الأندلسية بالزي والغذاء والصحة؟

-هل كان للأسرة الأندلسية أماكن ووسائل للترويح؟ وهل كان لذلك أوقات خاصة؟

-كيف تعيش الأسرة الأندلسية اللحظات المتباينة بين الفرح والحزن؟

ثانيا: أسباب اختيار الموضوع:

1-أسباب موضوعية:

وحتى أكون واحدة ممن يستقري الثروة التاريخية للأندلس، ويهتم بتاريخه الاجتماعي، خاصة في عصري المرابطين والموحدين، فقد اخترت هذا الموضوع، ويعود ذلك إلى عدة أسباب أهمها:

أ-محاولة الرد على أفكار الفلسفة المادية التي تعترض وجود الأسرة مفهوما وتركيبا في المجتمع الإنساني، وتجعل من المجتمع مؤسسة قائمة على الأفراد كآلات وأجهزة، تعمل لمصلحة مادية، فيسوون بذلك بين الإنسان والحيوان والأشياء(1)، ولذلك أولينا الاهتمام لدراسة الأسرة كلبنة أساسية لبناء المجتمع، ومفتاح أساس لفهمه.

---

(1) المسيري عبد الوهاب: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1، 1423/2003، صص16-21، صص73-75. حداد نقولا: علم الاجتماع- حياة الهيئة الاجتماعية وتطورها- دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1982، ص66، 67.

ب-لا تزال الحاجة إلى دراسة الجانب الاجتماعي عموما، والعائلي خصوصا، واستجابة لما قاله أحد الباحثين: "لازلنا نفتقر إلى دراسة عن الحياة العائلية في عصر المرابطين"[1].

جـــ-محاولة المساهمة في رصد تطورات أسلوب الحياة الأسرية في أحد أقاليم الغرب الإسلامي، ومواصلة أعمال الباحثين التي اختصت في جانب من جوانب الحياة اليومية، أوالحياة العامة في عصري الخلافة والطوائف.

د-إن اهتمام الباحثين قد ركز على دراسة الظاهرة السياسية، فرغم تقديمهم لعدة توضيحات إلا أنهم قد أهملوا الجوانب الأخرى[2].

هـــ-محاولة معرفة أهم ظواهر التأثير والتأثر بين عناصر المجتمع الأندلسي في عصري المرابطين والموحدين.

2-أسباب ذاتية:

الرغبة في دراسة هذا التخصص "حضارة بلاد الأندلس"، البلاد التي شدني إليها انتماؤها إلى الإسلام في عصور غابرة بكاها المسلمون، وتلك الأخبار التي دونت في مختلف مصادر الأندلس تنقل في مجملها حياة أهل الأندلس في مختلف العصور الإسلامية، المتباينة بين عز الإسلام وأهله، وذلهم الذي انتهى بانتهاء حكمهم فيها، ومدى وقع أثره في النفس، وفيما ذهب إليه المقري حين قال: «وكانت لأهل الأندلس بين زمان الفتح وما بعده وقائع في الكفار شفت الصدور من أمراضها، ووفت النفوس بأغراضها، واستولت على ما كان لملة الكفر من جواهرها وأعراضها، ثم وقع الاختلاف بعد ذلك الائتلاف، فعصفت ريح العدو والحروب سجال، وأعيى العلاج حكماء الرجال، فصار أهل الأندلس يتذكرون موسى بن نصير وطارق، ومن بعدها من ملوك الأندلس الذين راعت العدو الكافر منهم طوارق»[3].

ثالثا: أبعاد الدراسة:

كانت لهذه الدراسة أبعاد مختلفة، أهمها:

1-البعد التاريخي: محاولة الكشف عن أحد أساليب حياة المجتمعات الإسلامية، وهو أسلوب الحياة الأسرية، في المكان المتمثل في الأندلس، والزمان المتمثل في الحروب مع النصارى، ودخول عناصر دفاع جديدة متمثلة في المرابطين والموحدين.

(1) بوتشيش إبراهيم القادري: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، منشورات الجمعية المغربية للدراسات التاريخية، مطبعة الخليج العربي، تطوان، ط2، 2004، ص21.

(2) بلغيث محمد الأمين: الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين، أطروحة دكتواه دولة، إشراف حاجيات عبد الحميد، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2002-2003، ص ج

(3) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيرون، دط، 1986، ج1، ص .

2–البعد الاجتماعي: محاولة إبراز خصائص الأساليب، ودراسة الظواهر في حقل التاريخ الاجتماعي.

3–البعد المنهجي: معرفة كيفية استنتاج المعلومات التاريخية من المصادر، ولاسيما مصادر الفقه والأدب.

رابعا: عناصر الموضوع:

قسمت الدراسة إلى ثلاثة فصول، مهد لها بمدخل يعرض عدة نقاط، إحداها حول تكوين الأسرة في نظر الفرد الأندلسي، والأخرى حول تكوين الأسرة في نظر المجتمع الأندلسي، ثم الفصل الأول وعنوانه: "خطوات بناء الأسرة الأندلسية"، حيث انفرد بدراسة المراحل الأساسية التي يمر بها تكوين الأسرة، بداية بالاختيار والخطبة والعقد، إلى التكاليف المالية، وينتهي بمبحث قصير عن الاحتفال بالبناء كآخر خطوة لتكوين الأسرة.

وبعدها الفصلان الثاني والثالث، حيث جاء الحديث بإطناب إذا ما قورن بالفصل الأول، فخصص الفصل الثاني للحديث عن نظام الأسرة تحت عنوان: "حياة الأفراد في الأسرة الأندلسية"، من تنشئة للأبناء وتربيتهم إلى وضعية المرأة ودورها في الأسرة، وأهم العلاقات والمشكلات التي تجمع أفراد الأسرة أو تفرق بينهم.

أما الفصل الثالث فيعالج أهم عادات وتقاليد الأسرة الأندلسية، انطلاقا من هندام الفرد ومظهر المحيط، إلى غذاء الأسرة وشؤون حياتها،ليختم بعرض لحال الأسرة في أفراحها وأحزانها، وأهم ما تروح به ومجالاته.

وجاءت الخاتمة كخلاصة لذلك، حيث جمعت فيها أهم النتائج المتوصل إليها، وذيلت ببعض الملاحق المتمثلة في الوثائق والصور والأشكال، التي تعين على توضيح بعض عناصر البحث.

خامسا: المنهج المتبع في الدراسة:

لدراسة الموضوع اعتمد البحث أربعة مناهج أساسية، وهي:

1: **المنهج التاريخي**: ودوره في الدراسة غني عن التعريف، فقد أورد للتسلسل الزمني، بداية من عنوان الدراسة.

2– المنهج الاستقرائي: لقراءة النصوص، وتتبعها في المصادر الأندلسية بوجه خاص.

3– المنهج التحليلي: للتعقيب ومناقشة بعض القضايا الواردة في الدراسة.

4– المنهج الوصفي: لوصف بعض الكيفيات والوصفات والحالات.

سادسا: عرض المصادر:

إن تشكل المادة المصدرية أساس كل دراسة علمية، لذلك حاولت الاستفادة قدر المستطاع من مختلف المصادر أدبية أو فقهية أو تاريخية أو جغرافية، وصياغة معارفها في قوالب منهجية وتركيبها، حيث أمكن بناء إشكالية للموضوع، ومن المصادر الأكثر أهمية:

1- -الفقه: لقد اعتمدت الدراسة مصادر فقهية مختلفة، تنوعت بين النوازل والحسبة، وكتب معينة على فهم المصطلحات الفقهية، وأهمها:

أ-النوازل أو الأحكام أو المسائل أو الفتاوى: وهي أهم القضايا والوقائع التي يفصل فيها القضاة طبقا للفقه الإسلامي، ولا تتضمن النصوص النظرية فحسب، وإنما تقدم حصيلة خبرة المفتي أو القاضي في مواقع العمل في المجتمع(1)، وإن لم تكن كذلك فهي موضوع سؤال وجواب غير مؤرخ من حيث توطينها في الزمان والمكان(2)، وبإمكان الباحث أن يستفيد منها، وذلك بوضع القضايا المطروحة في إطارها التاريخي، وذلك عن طريق تحديد تواريخ الأحداث والأماكن علاوة على الفقهاء المذكورين في النوازل(3)، وتصبح بذلك مادة يمكن أن تفيد بما تحمله من معلومات عن حركة الواقع المعيش(4)، وتبعا لذلك فقد استفادت منها الدراسة بقراءة نص النازلة، ثم البحث عن أي مفتاح يؤرخها، ثم محاولة أخذ الشاهد، ويمكن ذكر أهمها في الآتي:

-نوازل معاصرة: ومنها: نوازل ابن الحاج، ونوازل ابن بشتغير، وهما مخطوطان، وفتاوى ابن رشد الجد، ومذاهب الحكام في نوازل الأحكام للقاضي عياض وولده محمد.

-نوازل متأخرة: والتي يمكن أن تكون أفيد فيما يتعلق بمختلف النواحي، فهي تسمح باستيعاب فترات زمنية طويلة، ومقارنة حلول مختلفة في بعض الأحيان للمشاكل نفسها(5)، وأهمها: جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا والأحكام للبرزلي، والعقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام لابن سلمون، والمعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب للونشريسي.

---

(1) ذنون طه: المرجع السابق، ص94.

(2) بنسباع مصطفى: **ابن الحاج التجيبي القرطبي ومسائل بيوعه في معيار الونشريسي**، مجلة الأندلس، قرون من التقلبات والعطاءات،الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، سنة 1996/1417 ص294.

(3) بنعبود امحمد وبنسباع مصطفى: **جوانب من المجتمع الأندلسي خلال عصري الطوائف والمرابطين من خلال نوازل ابن الحاج**، مجلة كلية الآداب، تطوان، جامعة عبد الملك السعدي، المملكة المغربية، ع7، سنة 1994، ص46.

(4) خلوق عبد العزيز التمسماني: **التجارة البحرية في حوض البحر المتوسط من خلال نوازل أبي القاسم البرزلي**، سلسة ندوات ومحاضرات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، رقم 48،ص .

(5) غراب سعد: **كتب الفتاوى وقيمتها الاجتماعية**، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، ع16،سنة 1978، ص73.

ب–الحسبة: وهي مجموعة ما طبقه المحتسبة في المجتمع الأندلسي، ودونوه في كتب مختلفة، ترد فيها إشارات كثيرة عن أنواع الوصفات، ولاسيما الغذائية والصحية والجمالية، وما ينظم الأفراد كعلاقة الأب بالمؤدب وعلاقة البائع بالمشتري، وأهمها: آداب الحسبة للسقطي، وآداب الحسبة لابن عبدون، وتنبيه الحكام لابن المناصف.

2_ الرسائل والوثائق: وتنوعت بين سياسية ورسمية وقضائية، حيث أفادت الدراسة في ذكرها لبعض خصائص أسلوب الحياة، كالألبسة، وطرق التعليم، وأهم وثائق التعاقد بين طرفين كعقود الزواج، والاستئجار وغيرها، وأهمها:

أ–السياسية والرسمية: وثائق المرابطين والموحدين لعبد الواحد المراكشي.

ب–القضائية: الجزيري: المقصد المحمود في الوثائق والعقود، لا يزال مخطوطا، وأبو إسحاق الغرناطي: الوثائق المختصرة.

3–التراجم والفهارس والمعاجم: هي كثيرة متنوعة، أفادت الدراسة في عدة جوانب، خاصة وأنها متخصصة في جمع الأخبار عن مسيرة حياة الأفراد، علماء أو قضاة أو أطباء أو غيرهم، فاستفادت منها الدراسة في استقراء طرق التعلم، والرحلات العلمية، والتقاليد الجنائزية، ويمكن تقسيمها حسب محتواها إلى:

أ–تراجم عامة: كصلة ابن بشكوال، وما ذيل عنها كالتكملة لابن الأبار، وصلة الصلة لابن الزبير، والذيل والتكملة لابن عبد الملك، إضافة إلى تحفة القادم والمقتضب من تحفة القادم لابن الأبار.

ب–تراجم فئة أو منطقة: وأهمها: أعلام مالقة الذي ابتدأه ابن عسكر، وأكمل إنجازه ابن أخته ابن خميس، وتاريخ القضاة للنباهي، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، والنجم الثاقب لما لأولياء الله من مناقب لابن صعد التلمساني.

جـــ–تراجم خاصة بشيخ واحد: كأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض للمقري، والتعريف بالقاضي عياض لابنه محمد.

د–**فهارس ومعاجم الشيوخ**: وأهمها: المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي لابن الأبار، والغنية للقاضي عياض.

4–الأدب: وأهمها:

أ–الموسوعات الأدبية: هي أهم المجموعات التراجمية ذات الطابع الأدبي، كالمغرب في حلى المغرب لابن سعيد، والمطرب في أشعار الأندلس والمغرب لابن دحية البلنسي، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام، ونفح الطيب للمقري.

ب–أدب شعبي: كأمثال العامة التي جمعها الزجالي، والأزجال كديوان ابن قزمان، وإفادتها في الدراسة واضحة، وبوجه خاص في مراحل بناء الأسرة، ونظرة الفرد والمجتمع إلى مختلف عناصر الحياة، كالزواج والمرأة والنظافة والصحة والتعلم.

جـ– الدواوين الشعرية: رغم أن النص الشعري بعيد عن إعطاء الصورة الحقيقية للحدث التاريخي إلا أنه يمكن أن يسد بعض الثغرات التي غفلت عنها المصادر الأخرى، وأهم هذه الدواوين: ديوان ابن خفاجة، وديوان الرصافي البلنسي.

5–الرحلات والموسوعات الجغرافية: هي مجموع ما لاحظه الرحالة والجغرافيون ودونوه في مصنفاتهم، والتي تذكر إشارات كثيرة عن الحياة في الأمصار، فأفادت الدراسة في معرفة مختلف العادات والتقاليد، وأهمها: وترصيع الأخبار للعذري، والأندلس في اقتباس الأنوار واختصار اقتباس الأنوار للرشاطي وابن خراط، وكتاب الجغرافيا للزهري، ونزهة المشتاق للإدريسي، ومعجم البلدان لياقوت الحموي، وكتاب الجغرافيا لابن سعيد، تحفة الأنظار لابن بطوطة، والروض المعطار للحميري.

6–الصناعات العملية: وهي كتب دونها أصحابها في المجال الطبي أو الغذائي بصفة خاصة، أفادت الدراسة في استخلاص أهم وصفات الطعام، وأساليب الوقاية وحفظ الصحة، ومختلف طرق العلاج، وأهمها:

أ–الطب: الكليات في الطب لابن رشد، والتيسير في المداواة والتدبير لابن زهر.

ب–الطبخ: فضالة الخوان لابن رزين، وكتاب الطبيخ لمؤلف مجهول.

7–التاريخ السياسي: إن المعلومات عن التاريخ الاجتماعي قليلة في مصادر التاريخ السياسي، كون هذه الأخيرة تسرد الأحداث السياسية، وما أفادت به الدراسة هي بعض الإشارات التي ترد فيها عن حياة الأفراد في الأسرة الحاكمة بوجه خاص، وأهمها:

أ–المعاصرة للفترة: التبيان للأمير عبد الله، ونظم الجمان لابن القطان، والمعجب في تلخيص أخبار الأندلس والمغرب لعبد الواحد المراكشي.

ب–المتأخرة: كالبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري، وأعمال الأعلام لابن الخطيب، والأنيس المطرب بروض القرطاس لابن أبي زرع.

سابعا: المراجع:

إن الدراسات التي كانت قريبة من موضوع الدراسة كثيرة، حيث أمكن الاطلاع على بعضها والإفادة منها، أما البعض الآخر فلم يعثر إلا على عناوينها، وأهمها:

1–الكتب:

بوتشيش إبراهيم القادري: "المغرب والأندلس في عصر المرابطين" هي جزء من أطروحة دكتوراه للباحث، خصصها لدراسة الحياة الاجتماعية والذهنيات والأولياء في المغرب والأندلس، وتطرق فيها إلى الحديث عن الحياة العائلية التي أوجز فيها الباحث الحديث عن عصر المرابطين فقط، مع الإطناب في الحديث عن المغرب دون الأندلس، وفصل الكلام عن العادات والتقاليد بقسم خاص.

مسعد سامية مصطفى: "الحياة الاجتماعية والاقتصادية في إقليم غرناطة في عصر المرابطين والموحدين" درست فيه الباحثة عدة جوانب، وكان كل جانب مختصرا، فاقتصر قسم الحياة العائلية على أمور الزواج بصفة خاصة، أضف إلى أنها في إقليم غرناطة فقط.

دندش عصمت عبد اللطيف: "الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين" عرضت فيه الباحثة مواضيع مختلفة، كان أحدها الحياة الاجتماعية والتربية والتعليم، فتحدثت في قسم الحياة الاجتماعية عن العادات والتقاليد في الأسرة الأندلسية، مقارنة في ذلك بين المدينة والريف، ثم التربية والتعليم، حيث أطنبت في الحديث عنها في العلوم العقلية والنقلية، دون تقديم نظرة عن طرق التعليم، ومدى أهميته في المجتمع الأندلسي.

MANUELA. MARIN: *individio y sociedad en AL-ANDALUS*

دراسة لباحثة إسبانية عرضت فيها تحليلا عن حياة الفرد وعلاقته بالمجتمع في الأندلس، فأطنبت الحديث عن الفرد بداية من ميلاده إلى دوره في المجتمع، لكن توسعت في عصر من العصور، وهو عصر الخلافة الأموية في الأندلس، فلا تذكر الفرد أو المجتمع في العصر المرابطي والموحدي إلا بإشارات قليلة.

MENENDAZ PIDAL: *estoria de España.*

دراسة حاولت الإجابة عن الكثير من التساؤلات في الحياة الأندلسية، وأولت اهتماما كبيرا بالحياة العائلية، رغم أنها أوجزت الحديث عنها في عصر المرابطين و الموحدين، إضافة إلى إفادتها البحث بما تتضمنه من صور وأشكال ومخططات توضيحية.

2–المقالات:

بوتشيش إبراهيم القادري: "ظاهرة الزواج في الأندلس في عصر المرابطين" هو مقال مستخرج من رسالته للدكتوراه التي سبق ذكرها.

الدبابي سهام: "الخبز طعاما في الأندلس" هو مقال درست فيه الباحثة أهم أنواع الخبز، والأطعمة الداخلة في تكوينه.

دافيد ويتز: "فنون الطبخ الأندلسي" مقال عرض فيه صاحبه أهم الأطباق الغذائية ومميزاتها المختلفة.

سيد سحر عبد العزيز سالم:"ملابس الرجال في الأندلس" مقال أدرجت فيه صاحبته معظم ملابس الرجال، مقارنة في ذلك باللباس في المشرق.

بلغيث محمد الأمين:"مشاركة المرأة الأندلسية في الحياة الأدبية والعلمية في عصر المرابطين" أدرج فيه صاحبه عددا كبيرا من النساء الأندلسيات اللواتي كان لهن دور علمي وتعليمي في الأندلس.

MANUELA. MARIN: *pots and fire in AL-ANDALUS*

مقال ذكر فيه صاحبه أهم الأطباق الغذائية، والمواد الداخلة في تركيبها، مطنبا في الحديث عن الحبوب وأهم أنواعها، وأشهرها ومجالات استعمالها.

GARCIA SANSHEZ: *dietisc aspects ov food in AL-ANDALUS*

مقال درس فيه صاحبه النظام الغذائي في الأندلس، وتطرق إلى أهم أطباق الطعام، ومدى مفاضلة الأندلسيين بينها.

HADY ROGER IDRISS: le mariage en occident musulman au moyen age à travers d' AL-M'yar d'Alwancharisi.

مقال استخلص فيه صاحبه أهم النوازل التي يرد فيه ذكر الزواج في الغرب الإسلامي، مجزئا ذلك إلى عدة عناصر.

ثامنا: الصعوبات:

أهم الصعوبات التي واجهت الباحثة هي:

صعوبة استغلال مادة النوازل التي تجعل من النص أداة غير طيعة تقتضي جملة من الإجراءات لإعدادها كمادة إخبارية، كتحديد زمانها ومكانها، وحتى بعد القيام بذلك فمن الصعب القول بأنها أصبحت مادة يعوّل عليها في التأريخ بصفة نهائية؛ لأنها في بعض الأحيان يصعب الفصل بين ما هو واقعي وبين ما هو افتراضي فيها، رغم محاولة الاعتماد على ما يظهر أنه يعكس الواقع.

صعوبة الاستفادة من النصوص الشعرية، والتفريق بين ما هو وجداني تعبيري، وبين ما هو وصف واقعي فيها.

صعوبة الحصول على بعض أهم المصادر الأندلسية في الجزائر، مما جعل الطالبة تلجأ إلى السفر إلى المغرب الأقصى، ومحاولة الاستفادة من مختلف محتويات المكتبات والخزائن في فترة وجيزة، وهو ما كلّف الباحثة ماديا للوصول إلى كل معظم المصادر المهمة، فاستعانت ببعض الأساتذة من خارج الوطن عند زياراتهم للجزائر خلال فترة البحث، ليرسلوا لها بعضها عن طريق البريد العادي والإلكتروني.

مدخل

تكوين الأسرة في نظر الفرد والمجتمع الأندلسي

أولا : دعوة الإسلام لتكوين الأسرة .

ثالثا : تكوين الأسرة في نظر الفرد .

ثالثا : تكوين الأسرة في نظر المجتمع .

أولا: دعوة الإسلام لتكوين الأسرة:

لقد حاربت الشريعة الإسلامية الرهبنة؛ لتعارضها والفطرة الإنسانية وميولاتها، فرأت في تكوين الأسرة اللبنة الأولى والرئيسة لتواجد المجتمعات والشعوب، حيث يحمل الإنسان في نفسه المسؤولية الكبرى، على من له عليهم الرعاية والتربية، وبقاء النوع الإنساني، واستمراره في مجتمع سليم منظم، يقوم على القيم[1]، وهذا مطابق لما كشفت عنه دراسات علماء الاجتماع والإنسان، في أن الأسرة قد تطورت من عدة جوانب، أهمها: نطاق الأسرة المتمثل في اتساع أو ضيق دائرتها، ووظائف أفرادها المختلفة، ومختلف الأسس التي تقوم عليها[2]، ولذلك فاستيفاء البحث عنها يستلزم البحث فيها كوحدة اجتماعية قائمة على الزواج كأساس قاعدي[3]، وقد أشار القرآن الكريم إلى حكم هذا الأخير في مواضع عدة، كما في قوله ﷻ: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ** ١٣ ﴾[4]، وقوله ﷻ: ﴿ **وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ** ٧٢ ﴾[5]، وهذا لكي ينشأ المجتمع سليما من الانحلال الخلقي لقول الرسول ﷺ: « **يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَن لَم يَسْتَطِع فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ** »[6]، وكان من سنن الأنبياء تكوين الأسر، لقوله ﷻ: ﴿ **وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ** ٣٨ ﴾[7]، ورسولنا الكريم أولى بالفضل في ذلك؛ حيث كان يحث الناس على الزواج، وينهى عن الرهبنة، ويعطي مثالا عن نفسه في ذلك، في قوله ﷺ: « **...أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي** »[8].

---

(1) ابن كثير: تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت،دط، 1401هـ، ج2، ص275.

(2) السمالوطي نبيل: الدين والبناء العائلي، دار الشروق، جدة، ط1، 1981، ص83

(3) غيث محمد عاطف: المرجع السابق، ص177. نقولا حداد: المصدر السابق، ص45.

(4) سورة الحجرات، الآية: 13.

(5) سورة النحل، الآية: 72.

(6) البخاري: صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1987، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح، رقم 4778، ج5، ص1950. مسلم: صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح، رقم1400، ج2، ص1019.

(7) سورة الرعد، الآية: 38.

(8) البخاري: المصدر السابق، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم4776، ج5، ص1949. مسلم: المصدر السابق، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح، رقم1401، ج2، ص1020.

ولا شك أن في تكوين الأسرة مصالح وحكما أخرى، ترجع إلى الاستقرار النفسي والعاطفي، بما يقيمه من مودة ورحمة[1]، لقول الله ﷻ: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[2].

هذه الآيات والأحاديث حصاة من ثبير الدلائل التي تحويها مصادر ديننا الإسلامي؛ والتي تحث الشباب على تكوين الأسر، ومع ذلك نجد في تاريخنا الإسلامي عددا ممن اعتزل الدنيا، وعزف عن الزواج تفرغا إما للعلم أو العبادة[3]، وهذا لا يمنع من سيطرة الفئة التي عملت بالآيات والأحاديث، حيث أقامت الأسر، بل إن الكثير منهم من تعدى الزواج بواحدة إلى ثلاث وأربع، وأكثر من ذلك اشتهر بكثرة الزواج [4].

وبناء على هذا يمكننا تتبع نظرة المجتمع الأندلسي في عصر المرابطين والموحدين إزاء تكوين الأسرة، واستخلاص نظرة كل من الجماعة والفرد في هذا المجتمع، من خلال ما توفر من مصادر تعالج الموضوع.

ثانيا: تكوين الأسرة في نظر الفرد:

إن نظرة الفرد مستقاة من نظرة الرجل، ذلك أن كتب التراجم أعانتنا في استخراج النظرة الفردية الذكرية، عند ذكرها لحياة بعض الرجال، فكان منهم من عزف عن الزواج، وتخلى عن كل أمور الدنيا، زاهدا فيها، وإقبالا إما على العلم[5] أو العبادة[6]، ومنهم من عزف عنه لتكاليفه ونفقاته[7]، واحتج في

(1) ابن كثير: المصدر السابق، ج2، ص275. ج3، ص436. القرطبي: أحكام القرآن، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط1، 1372هـ، ج14، ص17.

(2) سورة الروم، الآية :21.

(3) ابن كثير: البداية والنهاية، مكتبة المعارف،بيروت، دط،دت، ج14، ص183. الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق الأرناؤوط محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط9، 1413، ج21، ص261. ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر ، بيروت، دط، 1955، ج1، ص125،135.ج2،ص47.

(4) الدمشقي العكري: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت، ج4، ص143. الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، دار المعرفة، بيروت، دط،دت، ج1، ص238.

(5) ابن الأبار: التكملة ، المصدر السابق، ج1، ص57. ابن الأبار: تحفة القادم، تعليق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1406ـ/1986، ص75.

(6) ابن الأبار: التكملة، المصدر السابق ج1، ص57. مؤلف مجهول: مفاخر البربر، دراسة وتحقيق محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد،دط، ، 1996، ص214.

(7) انظر المثل:« **مَا أَطْيَبِ العُرْسْ لَوْلَا نَفَقَاتُه** »، الزجالي: أمثال العوام في الأندلس، تحقيق محمد بنشريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، مطبعة محمد الخامس الثقافية الجامعية، فاس، دط،1391/ 1971، ق1، ص242.

ذلك بغلاء المهور[1]، وفي الاحتياج والافتقار بعد الزواج، ولعل خير وصف لذلك، قول **ابن قزمان** (ت564/1168)[2] في أزجاله:

« صِرْتْ عَازِبْ وَكَانْ لَعُمْرِي صَوَابْ

لِسْ نَتْزَوَّجْ حَتَّى يشِيبْ الغُرَابْ،

أَنَا تَايَبْ يَا لِسْ نْقُولْ بِزَوَاجْ »[3].

وقوله أيضا:

"أَنْفَقْت فِي زَوَاجِي وَارْفَهْتْ

إِذْ رِيتْ مِنْ هَمٍّ مَا رِيتْ"[4].

أضف إلى ذلك كثرة مطالب النساء، وعدم رفقهن بالأزواج[5]، مما جعل الرجال يتخوفون من مسؤوليات، ومتاعب الأسرة فيما بعد[6].

وكما وجد من الرجال من عزف عن الزواج، وجد من سهل الأمر وعدد؛ حيث تزوج أكثر من واحدة[7]، بل منهم من أكثر من زواجهن، حتى اشتهر بذلك، فمثلا **عبد الله بن ياسين**

---

(1) انظر قول أبي طاهر يوسف التميمي:«**والمهر مهر العرس لا تغله فإنه مهما غلا مهرمة** » (بحر الرجز)، ابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرون، دار العلم، بيروت،دط،دت، ص238.

(2) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن قزمان من أهل قرطبة، يكنى أبا مروان، ولد سنة أربعمائة وتسعة وسبعين، صحب القاضي أبا الوليد ابن رشد وتفقه عنده، كان من كبار العلماء، وأول من أبدع غي الزجل في عهد المرابطين، توفي بأشبونة سنة خمسمائة وأربع وستين. ابن بشكوال: الصلة في تاريخ علماء الأندلس، وضع الفهارس صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية ، بيروت، ط1، 1423/ 2003 ، مجلد 2، ص288 . المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج3، ص376 . ج7، ص15،16. الذهبي: سير أعلام النبلاء: المصدر السابق، ج20، ص518. ابن سعيد المغربي: المقتطف من أزاهر الطرف، تحقيق سيد حنفي حسنين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1983، ص263.

(3) ابن قزمان: ديوان ابن قزمان، دراسة وتحقيق ف كورنيطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد،دط، 1980.ص154. الأهواني عبد العزيز: الزجل في الأندلس ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالية ، دط، 1957، ص76.

(4) ابن قزمان: المصدر نفسه، ص126، انظر أيضا المثل: « **زَوْجُوهْ، حَوْجُوهْ** ». الزجالي: المصدر السابق، ق2، 235.

(5) انظر المثل:« **حَلِّينِي وَلَّا خَلِّينِّي** »، الزجالي: المصدر نفسه، ق2، ص125. والمثل: " **بِعْ كْسَاكْ وَاعْمَلْ كْذَاكْ**"، المصدر نفسه، ق2، ص134.

(6) الأهواني عبد العزيز: الزجل في الأندلس، المرجع السابق ، ص76. ابن قزمان: المصدر السابق، ص156. الأهواني عبد العزيز: على هامش ديوان ابن قزمان، مجلة المعهد المصري، مدريد، مجلد17، 1972، ص176

(7) البرزلي: جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا والأحكام، دط، دت، ج4، ص350. ابن رشد الجد: فتاوى ابن رشد، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1407/ 1987، ج1، ص173.

(ت1059/451)[1] أمير المرابطين كان لا يسمع بامرأة حسناء إلا خطبها، فيتزوج في الـــشهر عـــددا منهن[2]، ولاشتهار أمر التعدد، وجد من الفقهاء من خصص بابا كاملا في الحديث عنه[3].

وبالمقابل نجد النساء مثل الرجال، فمنهن من عزفت عن الزواج حتى اللحد، لتفرغها للعلـــم[4]، فمثلا: **عائشة القرطبية** (ت1009/400)[5]، التي كانت أبرع نساء عصرها وأعلمهن، ماتت عذراء لم تتزوج[6]، ورغم أنه لم يكن للمرأة تصرف، أو إبداء رأي في زواجها، إلا أنها كانت لها تصرفات عديدة تثبت بها عدم رغبتها في الزواج، فهناك العديد من النوازل التي استنكرت هذا الأمر[7]، لكن تبقى نسبة عزوف النساء أقل من الرجال.

أما عن تعدد الزوجات، فالمرأة ليست كالرجل الذي اشتهر بذلك، فقد كانت لها نظـــرة مغايرة لذلك، و لم تغفل كتب الأمثال أيض قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ ا عن تصوير ذلك، بل تحديد نسبة كره المرأة، وبغضها للتعدد حتى آثرت الموت عليه[8].

ثالثا : تكوين الأسرة في نظر المجتمع :

التزم المجتمع الأندلسي بمبادئ الإسلام؛ فكان يرى في تكوين الأسرة، أو الزواج أمرا ضـــروريا، وقد وصلنا وصف دقيق في تشبيهه بالموت في همه ووقوعه، فكما أن الموت كأس يتذوقه كل امـــرئ،

---

(1) الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي المجاهد، المرابط، كان من حذاق الطلبة الأذكياء النبهاء، من أهل الدين والفضل، السياسة. مؤلف مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشـــاد الحديثـــة، الـــدار البيضاء، ط1، 1399/ 1979، ص20. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، مراجعة عبد الوهاب بنمنـــصور، المطبعة الملكية ، الرباط، ط2 ، 1420،

(2) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983، ج4، ص16. ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص132. البكري: المغرب في بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، دط، دت، ص169.

(3) ابن زكون: اعتماد الحكام في مسائل الأحكام، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقم ق413، ص57، نقلا عن بوتـــشيش ابـــراهيم القادري: المرجع السابق، ص22.

(4) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2،ص231،533.

(5) "عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم، قرطبية كانت من أعدل أهل زمانها فهما وعلما وأدبا وشعرا وفصاحة وعفة، كانت حـــسنة الخط تكتب المصاحف والدفاتر ، توفيت سنة أربعمائة" ابن بشكوال: المصدر السابق، م2، ص131،132.

(6) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص532.

(7) النازلة التي تذكر الصبية التي تزوجها رجل فغصبت نفسها، انظر: ابن سلمون: العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيـــديهم مـــن العقود والأحكام، مخطوط المكتبة الوطنية، الجزائر،رقم 1366، ظ65 و. وابن الحاج: نوازل ابن الحاج، مخطوط الخزانـــة العامة، الرباط، رقم ج55، ورقة92.

(8) انظر المثل: « **مشبة للحُفْرَ، ولا مشية لبيت أخرى** »، الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص350 .

فالزواج مرحله يمر بها كل إنسان[1]، واعتبارهم أيضا أن الزواج أمر لا تقف أمامه المضايقات، وبه يزيد الخير والبركة، فما كانت تكلفهم نفقاته، وهذا ما تجلى في الأمثال الشعبية، التي تعتبر صورة شاهدة على معظم تصرفات المجتمع، ولعل خير ما يصور ذلك قولهم: « **ازَّوَّجْ يَفْتَحْ الله عَلِيكْ**»[2]، وكان من الشباب من يأبى الزواج فيعتبرونه غير طبيعي، وليس على الفطرة، ولا بد من إعادة النظر في تصرفاته[3].

أما نظرة المجتمع إلى الفرد كمتزوج أو أعزب، فهناك فرق بين النظر إلى المرأة، والنظر إلى الرجل، حيث أولى الأندلسيون أكثر اهتمامهم بالمرأة، فنظرتهم إلى تزويج الأنثى قد صورتها النوازل والأمثال أحسن تصوير؛ ففي قولهم مثلا: « **مَنْ عَنْدُ وَلِيَّ عَنْدُ بَلِيَّ**»[4] تصوير عن اعتبارهم المرأة مصدر بلاء وهم، ويعيرون الأب بذلك، ويعتبرون ابنته مصيبة ما دامت في حجره، والمصيبة الأكبر إذا توفي الوالد وترك بنات غير متزوجات[5]، وجاء الأمر على صيغة الندبة؛ لما في الأمر من هول وهم.

رأى الأندلسيون في تزويج البنات أفضل سبيل للتخلص من المصيبة، وحثوا على تزويجهن مع أول خاطب لهن[6]، وهذا دون النظر إلى كفاءة الخاطب، أو أخلاقه، أو أي صفات مستحسنة في الرجل، والمهم عندهم التخلص من المصيبة.

(1) انظر المثل: « **الزوَاجْ وَالْموتْ هَمْ لَا يْفُوتْ**». بوتشيش ابراهيم القادري: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المرجع السابق، ص22.

(2) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص24. وهذا المثل له أصل في القرآن الكريم، حيث جاء في قوله تعالى:﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ سورة النور، الآية: 32.

(3) انظر المثل:« **عَازِبْ وَمُتَفَنِّق ثُلُثَيْ قَطِيم يُفْتَى فِيهْ**»، الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص379. وللمثل شرح مفصل في المصدر نفسه،ق1، ص256.

(4) المصدر نفسه، ق2، ص221، انظر أيضا المثل: « **من كثر بنات كانوا الكلاب أختان** ».المصدر نفسه، ق2، ص334. و المثل: «**هَمْ الْبَنَاتْ لَلْمَمَاتْ** ». ابن عاصم: مجموع ابن عاصم، تحقيق محمد بن شريفة ضمن تاريخ الأمثال والأزجال في المغرب والأندلس-بحوث ونصوص-منشورات وزارة الثقافة، مطبعة دار المناهل، المغرب،دط، 2006، ج3، ص142 .

(5) انظر مثل: « **ويَّ عَلَى مَنْ مَاتْ وُخَلَّى سَبْعْ بْنَاتْ** »، الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص452.

(6) انظر المثل: « **مَنْ خَطْبَكْ أزَّوْجُ** »، ابن عاصم: المصدر السابق، ج3، ص123.

وحتى تفكيرهم في تزويجها منذ صباها أمر لا جدال فيه[1]، فيذكر لنا **ابن الحاج** (ت529/1134م)[2] في نوازله أن أحد الأولياء خطبت منه ابنته في سن الثامنة، وأبى تزويجها خشية عليها، غير أن المجتمع دائما يبقى وعقليته، فهون الأمر على الوالد، وسهله عليه حتى زوجها[3]، وجاءت نوازل أخرى أيضا لتؤكد ذلك، حيث تزوج الفتاة قبل بلوغها، حتى وإن كانت يتيمة، وقد حدثت في ذلك مسألة تذكر رجلا زوج يتيمة قبل بلوغها[4].

وناهيك عن تزويج الثيب المطلقة أو الأرملة، فقد كانوا يتسرعون في تزويجها، ولا يعتبرون في كثير من الأحيان العدة، رغم علمهم بحرمته[5]، وكتب النوازل دائما قد أعانتنا، في بيان هذا الأمر، فتذكر أن منهم من زوج المرأة المطلقة وهي أم لأولاد[6]، أو قبل تمام عدتها[7]، وحتى الغائب عنها زوجها كانت تزوج، ولا ينتظر رجوعه أو ظهوره[8].

أما الذكور، فرغم انصراف نظرة المجتمع إلى الأنثى دونهم- كما قلنا سابقا- إلا أنهم لم يسلموا من تزويجهم صغارا، وقبل بلوغهم، هذا دون اعتبار كفاءتهم، ومصدر نفقتهم؛ حيث جاء في كتب

---

(1) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص09.

(2) القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي، المعروف بابن الحاج، قاضي الجماعة بقرطبة، ولد سنة أربعة وثمانين وخمس، روى عن أبي مروان بن سراج وأبي علي الغساني وغيرهم، وأخذ عنه ابنه، والقاضي عياض، وكثير، كان القضاء يدور بينه وبين أبي الوليد بن رشد في خلافة المرابطين، ألف النوازل المشهورة بنوازل الأحكام، قتل ظلما بالمسجد الجامع بقرطبة وهو ساجد يوم الجمعة، سنة خمسمائة وتسعة وعشرين. انظر: الضبي:بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العلمي، 1967، ص51. الدمشقي العكري:شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المصدر السابق، ج4 ص93. القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تقديم محمد بن تاويت الطنجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الرباط،دط،دت، ج1، ص18. القاضي عياض: الغنية، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1423/ 2003، ص25، 26. الذهبي: العبر في خبر من خبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، 1948، ج2، 436. الذهبي: سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج19، 614. ابن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت، ص 132. النباهي: تاريخ قضاه الأندلس، تحقيق مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية،بيروت، ط1، 1415/ 1995، ص 134. المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض، طبع تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، دط، دت، ج3 ،ص61، 62

(3) ابن الحاج: المصدر السابق، ورقة 73.

(4) الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب، تخريج جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي دار الغرب الإسلامي، بيروت، دط،1401/1981، ج3، ص378. والبرزلي: المصدر السابق، ج2، ص197. ابن الحاج: المصدر السابق،و61.

(5) في النازلة خصام وتشاجر فهذا دليل على أن المجتمع الأندلسي كان يعلم بحرمة زواج المرأة في عدتها.

(6) ابن رشد: المصدر السابق، ج2، ص671. البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص380.

(7) البرزلي: المصدر نفسه، ج2، ص196.

(8) المصدر نفسه، ج2، ص197.

النوازل أن بعض الآباء زوجوا أبناءهم صغارا، وتكفلوا بدفع ثمن المهر[1]، وبعضهم زوجوهم وتكفلوا بالنفقة بعد البناء[2].

ورغم ما وجدناه خلال هذه الأمثال، والنوازل من حرص على تزويج الأنثى، إلا أنهم كثيرا ما يستهزئون بمسن تزوج صبية[3]، كما اعتبروا الزواج بالمطلقة ذات أولاد، تضاعف في صرف الأموال[4].

وهذه النظرة لا تزال قائمة حتى الوقت الحاضر في مجتمعاتنا؛ لأنها تخشى الفضيحة، وتحرص على الحرمة، فالمرأة هدف الذئاب ومنعدمي الضمير.

وهكذا كانت نظرة المجتمع، والفرد إزاء تكوين الأسرة، فماذا عن خطوات بنائها، وأشغالها اليومية؟ وما أهم العادات والتقاليد التي انتهجتها الأسرة الأندلسية؟ وما هي أهم الأعراف والمعتقدات التي ميزت حياتها؟

---

(1) ابن رشد: المصدر السابق: ج1، ص180. الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص378.

(2) ابن رشد: المصدر السابق: ج2، ص812.

(3) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص01.

(4) المصدر نفسه، ق2، ص38.

الفصل الأول

خطوات بناء الأسرة الأندلسية

المبحث الأول : ترتيبات الخطبة والعقد.

المبحث الثاني : التحضيرات المالية قبل البناء .

المبحث الثالث : مراسم الزفاف .

المبحث الأول
ترتيبات الخطبة والعقد

إذا أقبل الفرد[1] على تكوين الأسرة، لا بد أن يتخطى مجموعة من المراحل، حيث تكون أولاها الاختيار والخطبة، فكيف يتم الاختيار؟ وما هي الأسس التي يرتكز إليها؟ ثم كيف تتم الخطبة والعقد كأهم خطوة قبل البناء.

أولا :الاختياروإعتباراته :

1-الحث على الاختيار:

إن من الشروط الرئيسة في الخطبة، أن يختار الرجل شريكة حياته، التي تعتبر الرفيق الدائم ما دام حيا، ولضرورة الشروط وكونها عنصر اهتمام لأكبر شرائح المجتمع الأندلسي، فقد كثرت الإشارات في كتب الأمثال، وجاء فيها وصف دقيق عن الحث على الاختيار، فيما تذكره على لسانها:« **مَن لاَ يَخْتَار مَا يَفْقَد عَار**»[2]، وعلاوة على الحث، يفهم من المثل أيضا أنه لا يندم من يختار، وقد اتخذ بعض الأولياء هذا الأمر بجدية، فكان يختار لابنته، وناهيك عن الابن، فالشيخ المدرس مثلا يختار لابنته أحد تلاميذه[3]، فلا نقول أنه زوج تلميذه فقط ، وإنما لو لم ينتبه إلى أن هذا التلميذ فيه صفات: المروءة والتخلق والنباهة، وهو من أحسن من يتلقى منه العلم، لما عرض عليه الأمر، ولما وقع عليه الاختيار، ولضرورة الاختيار أيضا كانت العامة، وخاصة الأمهات يمدحن بناتهن أملا أن يكن من المختارات[4].

2ـ اعتبارات الاختيار:

كان الشاب الأندلسي يختار شريكة حياته مراعيا في ذلك عدة مزايا في المرأة، ويختلف الاختيار باختلاف الحال الاجتماعية، والثقافية التي ينتمي إليها، وكتب النوازل والأمثال تتوفر على مادة معتبرة لمناقشة هذه الاعتبارات، ومحاولة استجماعها.

---

(1) يقصد بالفرد هنا الذكر دون الأنثى، فقد ذكر في إحدى أمثالهم أن المرأة لا تخطب وإنما تنتظر حتى يأتيها من يخطبها أو أجل زواجها، انظر المثل:«**الْعَرُوسْ فِي الكُرْسِي ولَيْسْ يُدْرَى لِمَن هِي**»، الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص53.

(3) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص330.

(4) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق محمد بنشريفة، دار الثقافة، بيروت، دط، دت، س1، ق2، ص416. ابن الأبار: التكملة، المصدر السابق، ج1، ص33 .

(4) انظر المثل: « **مَن مْدَحْ الْعَرُوسَة قَالْ أُمْهَا** » ، الزجالي، المصدر السابق، ق2، ص341، والمثل " **من مدح العروسة قال أمه وخالته**"، ابن عاصم: المصدر السابق، ج3، ص126.

فرغم تحذير **ابن قزمان** من الانخداع بجمال الفتاة، وضرب لذلك مثلا في قوله: «**اشْنْ ذَا العِلْمْ يَا مَن مَا عُ عَيْنِينْ، إِكْ تَغْرَى بِالغَلَظْ وَالزِّينْ**»[1]، ذاكرا بعض علامات الجمال كالبدانة والحسن، إلا أن العامة قد كانت لهم اعتبارات لم تترك الأمثال منها سواء أكان استحبابا أو استقباحا إلا وذكرها، فقد كان جل تركيزهم على المرأة الحسناء، ومصطلح الحسناء عندهم يقابل الدميمة التي يستهزئون بها[2]، ويوافق من تكون شقراء[3]، في قولهم:« **أَيْ هُوَ النَّمْشْ ثُمَّ فَتَّشْ**»[4]، أو بدينة[5]، وما يؤكد حرصهم على البدينة، استهزاؤهم بالنحيفة البدن؛ حيث يشبهونها بنوع من حلوى العيد[6].

لكن ليست كل من هي بدينة حسناء، وإنما البدينة الطويلة، وليست القصيرة؛ لأنهم يعتبرون من خسارة المرء تزوجه بدينة قصيرة[7]، والعيب الأكبر إذا كانت قصيرة لا بدينة[8]، وهذا ما أدى إلى انتشار عادة سيئة بين النساء للحفاظ على بدانتهن؛ حيث كن يفطرن في شهر رمضان، وينتهكن حرمته رغم استنكار الفقهاء، فما كان الأمر يهمه إلا أن يحافظن على وزنهن، فتخشى المرأة إذا صامت أن ينقص ذلك من وزنها[9]، وأكثر من ذلك أن العرجاء لم تسلم من استهزائهم، فكانوا يرون في تزوجها مصلحة لا أكثر[10]، ووصل بهم الأمر إلى السخرية بالذم في صورة مدح، عن بعض الصفات المستقبحة في المرأة، فيعتبرون هذه الصفات أغلى صفات الجمال، والمثل الآتي يعبر عن موقفهم بأحسن تركيب على حد قولهم: «**الجَمَالْ الفَاخِرْ: صِغَر العَيْنِين وِكِبَر المَنَاخِر**»[11].

(1) ابن قزمان: المصدر السابق، ص 18، وفي القول إشارة إلى بعض علامات الجمال وهي البدانة والحسن.

(2) انظر المثل: « **لاَ مْلِيحَ وَلاَ الدَّار مْعَاهَا** » ، الزجالي: المصدر السابق ، ق2، ص455.

(3) الشقراء في معظم الحالات ليست لا عربية ولا بربرية ، فإما أن تكون من المولدين أو المسيحيين وبهذا يمكن أن نقول أن مسلمي الأندلس كانوا يختارون الأوروبية على العربية والبربرية.

(4) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص34.

(5) انظر المثل:« **الشَّحْمْ زِينْ وَمَن فَقَدْ حْزِينْ**»، الزجالي: المصدر نفسه،ق2، ص34.

(6) انظر المثل: « **خْفَافْ رْشَاقْ بَحَلْ عُصَيَّاتْ العِيدْ**»، المصدر نفسه، ق2، ص207.

(7) انظر المثل: « **ثلاثة أشياء هي محسورة: البنيان في الدار الصغيرة، والشحم في المرأة القصيرة وعشاه السكران**» ، نفسه، ق2، ص169.

(8) انظر المثل: « **أَيْ هِيَ رُكْبَتْهَا أَيْ هِيَ رَقْبَتْهَا**»، نفسه، ق2، ص34.

(9) وتذكر النازلة أيضا أن إحداهن قد عقد عليها زوجها ولم يبن بها بعد فتركت الصوم خيفة على بدنها أن ينقص وأفتى في ذلك العلماء وأجمعوا على حرمته واعتبروه أمرا مستهجنا قبيحا، الونشريسي: المصدر السابق، ج2، ص487،488.

(10) انظر المثل:« **بِعُرَيجَة تُقْضَى حُوَيجَة**»الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص129.

(11) المصدر نفسه ، ق2، ص55.

هذا فيما يخص عامة المجتمع الأندلسي، أما الطبقة ذات المستوى الثقافي المعتبر، فرغم انتقاد العامة للنساء العالمات[1]، إلا أن هؤلاء المثقفين كانوا يتنافسون فيما بينهم على المرأة صاحبة القلم العالمة الذكية[2].

ورغم ذلك نجد من هذه الطبقة من نحا منحى العامة، وكان يختار من النساء الحسناء، **فعبد الله بن ياسين** أمير المرابطين –ذكر سابقا– كان لا يسمع بحسناء إلا خطبها[3].

إن هذه الاعتبارات، تختلف من فرد إلى آخر، حسب حاله الاجتماعية والثقافية، إلا أن شرطا رئيسا يتفق عليه الكل، بل يؤكد عليه، وهو بكارة المرأة، حيث نستشف ذلك من كتب النوازل؛ إذ كانت هناك عدة نزاعات لمجرد الاختلاف في أن المرأة بكر أم عذراء[4]، ولاعتبار هذا الشرط هاما، كانت الفتاة الأندلسية مثالا في الحفاظ على عذريتها، وكان المجتمع يحرص ويحث الفتاة على الحفاظ على العذرية، ولو أنها انحرفت في تصرفاتها[5].

وكان الآباء أشد حرصا على بناتهم في هذا الجانب، ولهذا فقد ذكرت كتب الوثائق والعقود نصوصا تعالج ظاهرة سقوط عذرية الفتاة[6] لسبب من الأسباب، وشهادة الأهل والجيران، وإشاعة هذا الأمر كي لا تطعن في عرضها[7].

وكما يختار الفرد الذكر شريكة حياته، كانت المرأة أيضا تختار شريك حياتها؛ لكن بعد أن يتقدم إليها لخطبتها، إذ كان لها أيضا قسط من الاختيار حسب الضوابط الإسلامية والعرفية، فمنهن من سنحت عائلتها أن تبدي رأيها بالرفض، أو قبول من يتقدم إليها، وخير دليل على ذلك موقف **نزهون بنت القليعي**[8]، من خاطبها إذ تذكر إحدى تراجمها، أنها رفضت أحد الرجال تقدم لخطبتها ؛لإنه ذميم

---

(1) انظر المثل:« **قَقْرَ الْعُوِيدَة تَقْرًا وَتْفَسَّر** » ، بمعنى الاستهزاء بتعلم المرأة، المصدر نفسه، ق2، ص416.

(2) ابن الزبير: صلة الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، وزارة الأواف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية،دط، 1416/ 1995، ج5 ، ص309.

(3) ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص16. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص32. البكري : المصدر السابق، ص169.

(4) الونشريسي : المصدر السابق، ج3، ص130. البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص197، غير أن عامة المجتمع الأندلسي عادتهم إذا قيل بكر فلا مقصود به إلا عذراء، انظر البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص201. ابن رشد : المصدر السابق، ج2، ص201. ابن سلمون: المصدر السابق، ظ 66 و.

(5) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص132.

(6) عد إلى قائمة الملاحق، ملحق رقم (01)

(7) الجزيري: المقصد المحمود في تلخيص الوثائق والعقود، مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط، رقم 5221، ورقة 21. ابن سلمون: المصدر السابق: ظ 66 و.

(8) نزهون بنت القليعي غرناطية كانت واحدة صنفها في أدبها حيث كانت أديبة شاعرة سريعة الجواب صاحبة فكاهة ، ابن الأبار: تحفة القادم المصدر السابق، ص236. ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1973، ج3، ص262.

الخلقة، فهذه إشارة واضحة إلى أن للمرأة هي الأخرى حرية اختيار الرجل الحسن،الذي يناسبها، وكانت منهن من لا تجيب من يخطبها، رغم أنها قد تقدم إليها الكثير[1]، **كليلى**(ت528/1133)[2] معتقة الوزير **أبي بكر بن خطاب** التي ظلت ترفض المتقدمين حتى تقدم لها أحسنهم وهو قاضي **غرناطة** حينذاك.

ورغم كثرة هذه الاعتبارات، إلا أن كتب النوازل بينت بأن بعض الشباب الأندلسي قد تزوج مطلقة[3]، أو مطلقة ولها أولاد[4]، ومنهم من تزوجها طمعا في مالها أو مكانتها الاجتماعية[5]، وكان الحر يتزوج الأمة، أما الحرة فمنع الفقهاء زواجها من العبد[6].

ثانيا :الخطبة والعقد :

1- كيفية علم الشاب بالفتاة:

لم تذكر لنا مصادر الفترة المدروسة إذا كان الزواج يتم عن طريق تبادل مشاعر الحب بين الطرفين قبل الخطبة أم لا؟ وإنما كان الشاب يعلم بالفتاة عند إقدامه على الزواج، فإما أن تكون ابنة عمه؛ حيث إنه قد شاع زواج ابنة العم في هذا العصر[7]، أو يكون الشاب قد رأى الفتاة، أو أعلم بها عن طريق بعض الأصدقاء[8]، أو عن طريق اختيار والدة الشاب، فيقابل ذلك في بعض الأحيان الرفض وعدم الرضا[9].

---

(1) ابن الزبير: المصدر السابق، ج5، ص309.

(2) "ليلى معتقة الوزير ابي بكر بن خطاب من أهل مرسية قد فاقت نساء عصرها في الذكاء والفهم في كل نوع من العلم توفيت قبل سنة ثمان وعشرين وخمسمائة"، المصدر نفسه، الجزء نفسه ، الصفحة نفسها.

(3) البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص 196.

(4) المصدر نفسه، ج2، ص380. الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص19. ابن رشد: المصدر السابق، ج2، ص671.

(5) بوتشيش ابراهيم القادري: **" ظاهرة الزواج في الأندلس إبان الحقبة المرابطية"**، ندوة الأندلس الدولية، أفريل 1992، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، ص160. بوتشيش ابراهيم القادري: **" ظاهرة الزواج في الأندلس إبان الحقبة المرابطية"**، مجلة دراسات أندلسية، رجب1413، جانفي1993، عدد 9،ص12.

(6) الأزدي: مفيد الحكام، مخطوط الخزانة العامة ، الرباط، رقم 805، ص138.

(7) ابن عبد الملك: المصدر السابق، تحقيق بنشريفة محمد، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، دط، 1984، س8، ق2، ص486. الباديسي: المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، نشر سعيد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط،دط، 1982، ص106.

Pierre Guichard: *structures socials orientales et occidentales dans l'Espagne musulmane,* Paris,école des hautes études en sciences sociales, centre de recherches historiques, la Haye, p74.

Th. Bianquis: *la famille arabe medievale*,éditions complexes,p31.

(8) الأمير عبد الله: كتاب التبيان، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، دط، دت، ص139. ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص136. ابن رشد: المصدر السابق، ج1، ص180

(9) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق سالم البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419/1998، مجلد 2، ص208.

2 ــ كيفية إتمام الخطبة:

عند استقرار رأي الشاب على فتاة معينة، يتقدم بالخطبة إلى وليها[1]، وهذا ما عرف عنــدهم، ونستنتج ذلك من ثنايا كتب النوازل، وبعض كتب التراجم.

فالوالد في معظم الحالات لا يستشير ابنته، فإن أعجب بالشاب، وافق دون العودة إلى رضا الفتاة، أو موافقتها، ومن أجل ذلك ضربت العامة بعض الأمثال بقولهـا:«**زْوَاجْ أَهْــلْ بَــسْطَة**[2] **بَالْحْبَــالْ بَالأَرْقَابْ**»[3]، فشبهوا زواج الفتاة دون استشارتها بجر الرقاب بالحبال.

إلا أنه في بعض الأحيان نجد ممن خطبت لنفسها، و**ابن الحاج** يشير إلى أن اليتيمة التي ليس لهـا ولي، لابد من سماع موافقتها مباشرة؛ إذ يقول في هذا الصدد: «فإن ينظر السامعان إلى وجههـا(...) ويقولان لها أو يقوله غيرهما بمحضر أن فلانا خطبك على مهر كذا، فإن كنت راضية فاصمتي وإن كنت غير راضية فتكلمي...» [4].

ومنهن أيضا من تخطب وترفض أو لا تجيب، وترفضه أو لا تجيبه ، وفي مقابل ذلك وجد من يختار لابنته الشاب اللائق بها دون أن يكون منه سابق إشارة أو تلميح[5].

وكانت هناك أيضا امرأة خاطبة، تعتبر نقطة وصل بين الشاب والفتاة، فتعرض شروط وصــفات كليهما، بل وتقوم بالتمهيد للخطبة بين الخاطب وأهل الفتاة[6].

وبعد التوافق بين الطرفين، سواء الفتاة والشاب، أو الوالي والشاب، يرسل الخاطــب والــده أو والدته وإخوته وبعض أقاربه إلى دار والد الفتاة، للاتفاق على ما يخص العقد[7]، وقد كان من عــادة

---

(1) ابن الحاج: المصدر السابق، ص32. ابن سلمون: المصدر السابق، ظ 65 و . ابن الأبار: التكملة،المصدر السابق، ج1، ص33. ابن عبد الملك: المصدر السابق، تحقيق بنشريفة محمد، دار الثقافة، بيروت، دط، دت ، س1، ق1، ص416.

(2) بسطة مدينة بالأندلس، بقرب مدينة جيان ومدينة وادي آش، كثيرة المياه والبساتين والزروع ، اشتهرت بالزعفران والحرير ولوفرته فيها اشتهرت بطرز من الديباج. القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرح وتعليق نبيل خالد الخطيب، دا الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987/1407، ج5،ص214..الحميري : الروض المعطار في خبر ؟الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، 1980، ص113. القزويني: آثار البلاد وأخبار البلاد، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1979/1399، ص512.

(3) انظر المثل:«**زواج أهل بسطة بالحبال بالأرقاب**»، ابن عاصم: المصدر السابق،ج3،ص89 . ابن الزبير:المصدر السابق،ج5،ص.309

(4) ابن الحاج: المصدر السابق،و32 .

(5) ابن الأبار: التكملة، المصدر السابق، ج1، ص33. ابن عبد الملك: المصدر السابق، س1، ق1، ص416.

(6) الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص121، 130، 248.

(7) المصدر نفسه، الصفحات نفسها.

المجتمع الأندلسي واستحباهم الخطبة يوم الجمعة، وبعد صلاة العصر[1]، على أن تبقى الخطبة كما أشار الفقهاء وعد بالزواج[2].

ويستفاد من كل هذا أن الخطبة لا تتم إلا بعد تخطي مرحلة الاختيار، والتراضي سواء بين الشاب والفتاة، أو بين الشاب والولي، والمتمثلة في: الاتفاق على وضع تاريخ معين لكتابة العقد، وذكر الشروط أثناءه.

3 ـــ الشروط وكتابة العقد:

قبل التعمق في الحديث عن كل ما يكون بين أهل الزوج، وولي الزوجة من اتفاق، وتوثيق للشروط، وكتابة للعقد، يجدر بنا أن نشير إلى الألفاظ التي يستعملها الأندلسيون للاصطلاح على هذا العقد، وبناء على ما تقدمه كتب النوازل، والفقه، والوثائق، والعقود، نجد اللفظ ضمن نازلة، أو مسألة، أو حكم من الأحكام الفقهية، أو على شكل وثيقة أو صيغة.

فيستعمله البعض منهم بلفظ" العقد"[3] دون إضافة، و ويذكره البعض الآخر بلفظ "عقد الزواج"[4] ، أو "عقد النكاح"، وهناك من اصطلح عليه بلفظ" عقد الصداق"[5]، أو "كتاب الصداق"[6]، إلا أن هذا المصطلح لا يدل على دفع المهر، وإنما يدل كل على ما يحمله عقد الزواج من معنى.

وقد كان لفظ "عقد النكاح" هو اللفظ الأكثر شيوعا، والأكثر استعمالا، واصطلاحا للدلالة على عقد الزواج، ورغم الاختلاف في اللفظ إلا أن المحتوى واحد، فتكون بذلك الألفاظ : "العقد"، "عقد النكاح"، "عقد الصداق"، "كتاب الصداق"، كلها اصطلاحات يراد بها الصيغة والوثيقة التي تتضمن كل ما يدور أثناء اللقاء قبل البناء بين طرفي العقد (أهل الزوج وولي الزوجة)[7].

---

(1) ابن سلمون: المصدر السابق، و2.

(2) الونشريسي: المصدر السابق، ج3، 121، 130، 248.

(3) ابن جزي: القوانين الفقهية، دار القلم، بيروت، دط، دت، ص140. الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص35.

(4) الجزيري: المصدر السابق، و312.

(5) أبو إسحاق الغرناطي: الوثائق المختصرة ، إعداد مصطفى ناجي، مركز إحياء التراث المغربي، الرباط، ط1، 1988/1408، ص 170 . الونشريسي: المصدر السابق ، ج3 ص107.

(6) ابن الحاج: المصدر السابق، و4.

(7) ابن سلمون: المصدر السابق، و2، ظ2و، ظ66و، و5. ابن الحاج: المصدر السابق، و9. ابن رشد: المصدر السابق، ج1، ص173-176، ج2، ص213. محمد بن القاضي عياض: مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، تحقيق: محمد بنشريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص220، 212. البرزلي: المصدر السابق، ج1، ص217.

قبل التقاء الطرفين لكتابة هذه الصيغة، وتدوين أهم الشروط، يكون أهل الزوج، وولي الزوجة، قد حددوا في وقت سابق اليوم الذي يتم فيه[1]، ويكون كآخر خطوة قبل البناء يخطوها المقبل على بناء الأسرة.

وعند حلول هذا اليوم الذي يعتبر يوم احتفال، حيث يجتمع الطرفان والشهود وكل من دعي من:إخوان وجيران وأصحاب، وتوزع عليهم أصناف الحلوى والكعك[2]، وكل ذلك يتم في إحدى المساجد؛ حيث «كانت عامة أهل البلدان أنكحتهم بالمساجد»[3]؛ لما يعتقدون في ذلك من جلب للبركة[4]، أو إلى صاحب خطة المناكح[5]، التابعة لخطة القضاء[6]، حيث تهتم بتزويج من غاب عنها وليها[7]، أو لمن لا ولي لها[8] ، ولأهمية هذه الخطة، وضع **ابن عبدون** شروط الفقه والورع في صاحبها[9] .

هذا ما يكون في معظم المدن الأندلسية، أما في قراها فيسند الأمر إلى إمام المسجد، وإذا كانت القرية نائية بعيدة عن المسجد، أو فقيرة، فيتولى ذلك أهل الزوج والزوجة، ومجموعة من عدول أهل القرية[10]، أما عن الشهر المستحب والأكثر اختيارا لمثل هذه المناسبة فهو شهر شوال، تبعا لما جاء في كتب الفقه[11].

وقد فصلت كتب النوازل والفقه والوثائق والعقود في العقد والشروط، ونجد ذلك مدونا على شكل نوازل أو أحكام أو صيغ أو وثائق توضح فيها أهم شروط الطرفين، وأهم النقاط التي يتطرقون إليها.

ويمكن أن نذكر بعض شروط المرأة الكثيرة والمتعددة فيما يأتي:

- أن يتقي الله في صحبتها، ويحمل بالمعروف عشرته

(1) الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص121، 130، 248.

(2) ابن عبد الملك: المصدر السابق، ق6، ص57.

(3) التادلي: التشوف إلى رجال التصوف في أخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، الرباط ، دط، 1984، ص75.

(4) المصدر نفسه، ص نفسها.

(5) ابن عبدون: آداب الحسبة، نشر ليفي بروفنسال، المجلة الأسيوية، أفريل، جوان، 1934.

(6) فتحة محمد: المرجع السابق، ص45.

(7) ابن الحاج: المصدر السابق: و.60. ابن الزبير: المصدر السابق، ق4، ص198.

(8) بوتشيش ابراهيم القادري: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المرجع السابق، ص27.

(9) ابن عبدون: المصدر السابق، ص12.

(10) الونشريسي: المصدر السابق، ج3، 270. دندش عصمت: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دط، 1988، ص302.

(11) ابن سلمون: المصدر السابق، و2.

- أن لا يتزوج عليها، وأن لا يتسرى معها، ولا يتخذ أم ولد[1].
- أن لا يغيب منها غيبة بعيدة أو قريبة[2] .
- أن لا يمنعها من زيارة أهلها[3]، وحتى حاضنتها إن وجدت[4].
- أن لا يضربها في نفسها، ولا في أخذ شيء من مالها إلا بإذنها ورضاها[5].
- أن لا يغير مكان إقامة زوجته[6].
- وفي حالة تمتع الزوج بالثراء، كانت الزوجة تشترط عليه أن يوفر لها خادمة تساعدها في القيام بأعباء الشؤون المترلية[7].

وعلى العكس من ذلك، فإن شروط الزوج كانت مختصرة، و لم تعطنا المصادر معلومات دقيقة عن ذلك باستثناء الشرط الذي قد ذكرناه، وهو شرط العذرية[8]، وهذا ما أوجب علـى ولي الفتـاة أن يتطرق إلى ذكره خاصة في حالة عدم عذرية ابنته، التي قد كتب لها عقدا، أو وثيقة تثبت ذلك، وتحميها من نظرة المجتمع المستقبحة للأمر، وقد حفظت لنا كتب الوثائق نماذج من ذلك[9].

بعد الحديث عن الشروط، والموافقة عليها، يتحدث الطرفان عن: مقدار المهر وأشكاله وأنواعـه، نقدا كان أم نقدا وكالئا وهدية...إلخ[10]، أضف إلى ذلك ذكر الجهاز، والتفصيل في ذلك[11]، والنحلة التي ينحل بها الأب ابنه، أو ابنته معرفا بنوعها[12]، وهذا ما قد أفادتنا به كتب الفقه، وخاصة كتـب الوثائق والعقود، التي حفظت لنا نسخا من صيغ العقد التي لا تختلف فيما بينها إلا في التراكيب؛ حيث

---

(1) ابن الحاج: المصدر السابق، و76، 84. الجزيري: المصدر السابق، و312. ابن سلمون: المصدر السابق، و2، ظ2و. ابن رشد : المصدر السابق، ج1، ص173. الغرناطي: المصدر السابق، ص17. Hady Rojer Idris: "le mariage en occident musulman d'apres un choix de Fatwas medievals extraité du M'yar d'Elwansharisi"_*studia islamica*, Paris, Maisonneuve, Larose, T32,p163

(2) الجزيري: المصدر السابق، و312. الغرناطي: المصدر السابق، ص17. Hady Rojer Idris, *op,cit*, p163.

(3) الجزيري: المصدر السابق، و312.ابن سلمون: المصدر السابق، ظ10و. Hady Rojer Idri, *op,cit*, p163.

(4) الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص107.

(5) المصدر نفسه، ج3، ص48

(6) Roger Idris: *op,cit*, p163

(7)كمال السيد أبو مصطفى: مالقة الإسلامية في عصر دويلات الطوائف، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دط، 1993، ص62

(8) ابن سلمون: المصدر السابق، ظ 66 و. البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص201.

(9) الجزيري: المصدر السابق، و21 . ابن سلمون: المصدر السابق، ظ66 و.

(10) الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص47، 379، 380 . البرزلي: المصدر السابق، ج2، 221 ، ج4، 350. ابن سلمون: المصدر السابق، ظ35و . ابن رشد: المصدر السابق، ج1، ص176. ابن الحاج: المصدر السابق، و4، 9 .

(11) نفسه.

(12) ابن رشد: المصدر السابق، ج2، 812. البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص217. محمد بن عياض: ص221. ابن سلمون: المصدر السابق، و5.

تأتي هذه الصيغ تفصيلية، واضحة لا غموض فيها، وللتأكيد أكثر على مشروعية الصيغ، تختم بـــذكر الشهود، وتدون بتاريخ[1].

ومما سبق يتبين لنا أن العقد أهم مرحلة في الزواج، وهو الخطوة التي لا يمكن الاستغناء عنـــها، وإلا اعتبر الزواج فاسدا كزواج المتعة، الذي قد انتشر بصورة كبيرة في الأندلس، رغم تحذير الفقهـــاء وتحريمه[2] خاصة **ابن رشد الجد**[3].

وبعد إتمام أمور العقد، وكتابته، والشهادة على ذلك، تمكث الزوجة مدة في بيـــت وليهـــا؛ حيث تأتي مرحلة التحضيرات المالية، فكتب النوازل تشير إلى هذه المدة[4]، فتذكر بأن هناك من تمكث مدة ستة أشهر في بيت والدها[5]، ومنهن من تمكث أكثر من أربعة أعوام[6]، ويمكن أن تكـــون تلـــك الفترة لما يتطلبه تحضير المرأة ووليها لجهازها من وقت، أو يكون الأمر متعلقا بالظروف المالية للرجـــل، الذي يعمل على توفير المال و بيت الزوجية، وتقديم الهدايا للزوجة، وكذلك يعمل على جمع المال الذي سيقيم به الوليمة، لما فيها من نفقات.

---

(1) الجزيري: و312. ابن سلمون: المصدر السابق، و2، ظ2و. الغرناطي: المصدر السابق، ص17. انظر الملحق رقم(02)

(2) البرزلي: المصدر السابق، ج2، 198.

(3) "القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن رشد الفقيه، ولد سنة خمسين وأربعمائة، قاضي الجماعة بقرطبة، وصاحب الصلاة بالمسجد الجامع، عارفا بالفتوى على مذهب مالك، له كتب عدة منها: البيان والتحصيل، أخذ العلم عن ابن الأزرق والجياني وابن فرج، وأخذ عنه ابنه والقاضي عياض وكثير، توفي سنة عشرين وخمسمائة" المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج3، 59-61. ابن مخلوف: المصدر السابق، ص129. الضبي: المصدر السابق، ص51. ابن بشكوال : المصدر السابق، ص450، 451. الذهبي: العبر في خبر من غبر، المصدر السابق، ج2، ص414. النباهي: المصدر السابق، ص130، 131.

(4) الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص35، 122، ج2، ص487.

(5) البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص197.

(6) ابن الحاج: المصدر السابق، و73.

المبحث الثاني
التحضيرات المالية قبل البناء

أولا :مايوفره الرجل :

نخصص هذا الجزء، لما يقدمه الزوج لزوجته من مال، تعتمد عليه في تحضير نفسها لبناء أسرتها، والذي يتمثل في الأقسام الآتية:

1-المهر:

قبل الحديث عن خصائص المصدر المالي الأول؛ أي: المهر عند الأسر الأندلسية، نود التعرف أولا على أهم الاصطلاحات التي يلفظها الأندلسيون للدلالة عليه.

لقد جاءت ألفاظ، وتراكيب عدة تؤدي معنى المهر، حيث استعمله البعض بلفظ" الصداق"(1)، وبعضهم بلفظ"طاع"(2)، واستعمل البعض الآخر تراكيب: "دفع إليها"(3) أو تزوج على... (4) أو" تزوج بـ..."(5)، وكثيرا ما تردد استعمال لفظ"ساق"(6) الذي نجده مذكورا بصورة كبيرة في كتب النوازل(7)، والراجح أن هذا هو اللفظ الأكثر شيوعا في المجتمع الأندلسي سواء عند العامة أو الخاصة.

إن قيمة المهر لا يتحكم فيها العرف، وإنما تختلف باختلاف الطبقة التي ينتمي إليها الزوج، فتعددت أشكاله، ورغم أن الإسلام قد حدد أقل قيمة له، وهو ربع دينار ذهب، أو ثلاثة دراهم فضة(8)، إلا أن من الأزواج من ساق لزوجته المال الكثير كمال ودار(9) أو دارا يقيمها في قريته(10)، أو

---

(1) الونشريسي: المصدر السابق: ج3، ص45، 35، 48، 107. ابن الحاج: المصدر السابق، و84. ابن رشد: المصدر السابق، ج2، ص258. Roger:*op,cit*, p 161.

(2) ابن رشد: المصدر السابق، ج1، ص176.

(3) البرزلي: المصدر السابق، ج3، ص129.

(4) ابن بشتغير: نوازل ابن بشتغير، الخزانة الحسنية، الرباط، رقم: 11690، ظ12 و.

(5) البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص206، 208.

(6) لفظ ساق يعني:"يقال ساق فلان لامرأته أي أعطاها مهرها، وقيل للمهر سوق؛ :لأن العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهرا ؛ لأنها كانت الغالبة على أموالهم". ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، دت، ج10، ص166. الفيروزأبادي: القاموس المحيط، دط، دت، ج1، ص1156.

(7) البرزلي: المصدر السابق،ج2، ص217، ج5، ص66. ابن سلمون: المصدر السابق، و2،ظ2و. ابن الحاج:المصدر السابق، و4، 9.

(8) ابن سلمون: المصدر السابق، ظ3و.

(9) المصدر نفسه، و12

(10) ابن الحاج: المصدر السابق، و9.

عدد من المواشي[1]، حيث جاء في هذا الأخير عقد خاص[2] في كتب الوثائق عن ذكر دفع المهر، ونوعه قليله و كثيره، وقد أشرك الزوج بالسياقة زوجته في ماله؛حيث ساق لها جزءا من أملاكه[3]، بل نصفها[4]، ووصل الحد ببعضهم إلى ما يمكن أن نقول عليه مبالغة، فعلاوة عن الكسوة، وبعض الحلي ساق معهما بستانا وإحدى العقارات،[5]، وساق بعضهم أيضا قيمة مالية كبيرة قدرت بخمسة وعشرين دينارا ذهبيا[6]، وفاق بعضهم ذلك اعتبارا لانتمائه الاجتماعي أن ساق لزوجته نصف قرية من قراه[7].

وعلى العكس من ذلك نجد من لا يستطيع دفع ذلك كله؛ حيث إن قيمة المهر التي يدفعها تدل على ذلك، فساق لزوجته نصف بقعة أرض، واشترط أن تبنى الدار بينهما بالنصف[8]، و لم يستطع آخر أن يدفع المهر دفعة واحدة، فدفع جزءا منه ويدعى نقدا، وأجل الجزء الآخر[9] ويدعى كالئا، وجاء في كتب التراجم أن بعضهم لم يؤد المهر المؤجل حتى قربت ساعة وفاته[10].

أما عن تحديد يوم قبض المهر، فإما أن يكون يوم عقد النكاح[11]، حيث يتولى ولي الزوجة ذلك[12]، أو يكون له عقد خاص، كما جاء في كتب الوثائق والعقود، والتي فصلت بين عقد النكاح، وعقد قبض النقد أو المهر، فجاء في وثيقة منفصلة[13].

إلا أن المهر المؤجل أو الكالئ في معظم الأحيان لا يحدد بتاريخ معين[14]، وفي يوم دفعه يكتب الموثق لذلك عقدا يذكر فيه الدافع، وشكل المهر، وما يحتويه، ويختم بذكر الشهود ويدون بتاريخ[15].

---

(1) البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص208.

(2) الجزيري: المصدر السابق، و15. انظر الملحق رقم: (03)

(3) ابن سلمون: المصدر السابق، ج1، ص10.

(4) ابن الحاج: المصدر السابق، و9.

(5) الونشريسي: ج3، ص129.

(6) المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص147.

(7) ابن الحاج: المصدر السابق، و4.

(8) الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص390. ابن رشد: المصدر السابق، ج1، ص224. البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص206.

(9) ابن بشتغير: المصدر السابق، و26.الونشريسي: المصدر السابق، ج3، 206.

(10) السلفي أبو طاهر: أخبار وتراجم أندلسية، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، دط، 1985، ص19، 20.

(11) الجزيري: المصدر السابق، و312. الغرناطي: المصدر السابق، ص17.

(12) الجزيري: المصدر السابق، و15، 312. الغرناطي: المصدر السابق، ص17. ابن سلمون: المصدر السابق، ظ36و. كمال السيد: المرجع السابق، ص63.

(13) ابن سلمون: المصدر السابق، ظ36و. الجزيري: المصدر السابق، و15. انظر الملحق رقم:(04)

(14) ابن سلمون: المصدر السابق، الورقة نفسها.

(15) انظر الملحق رقم(04)

ومن كل ما تقدم يتضح أن المهر هو المصدر المالي الأول الذي تحصل عليه الزوجة بعقد نكاحها، إلا أن قيمته غير موحدة وغير محددة، حيث تتحكم فيها الحال الاجتماعية التي ينتمي إليها الزوج، وجاء في عدة صور، فإما أن يكون معجلا بأكمله(1) وبقيمة كبيرة، أو يكون معجلا ومؤجلا(2).

2-هدية العرس:

المصدر المالي الثاني الذي يقدمه الزوج لزوجيته هو الهدية، غير أن المعلومات المتوفرة في المصادر قليلة ونادرة، ومن هذا القليل يمكن أن نستشف بأن الهدية عادة أندلسية، يقدمها الزوج لزوجته قبل البناء(3)، حيث تذكر لنا أن هذه الهدية يدفعها الزوج لا لشيء وإنما لإدخال السرور على زوجته(4)، ولأن تقيم بها عرسا، فتصنع منها طعاما في بيت وليها(5)، وتطعم بها أهلها، وأهل زوجها(6)، وغيرهم من الضيوف(7)، وأحيانا تكون يوم العرس كما كان مع **يوسف بن عبد المؤمن الموحدي** (523-580ه/ 1028- 1084م) عندما تزوج ابنة **ابن مردنيش،** حيث قدم لها هدية قيمتها ألف دينار(8).

ولطالما وقعت من أجلها نزاعات؛ لأخد الولي للهدية دون أن يقيم بها عرسا للزوجة، ومثال ذلك ما جاء في كتاب "**المعيار**" أن أحدهم زوج ابنة عمه فأخذ على ما جرت عليه العادة من الهدية، فصنع بها طعاما في داره دون حضور البنت، مما استدعاها للمطالبة بحقها في ذلك(9).

وبهذا نستنتج أن الهدية تختلف اختلافا كاملا عن المهر؛ حيث إنها لا تعود بالفائدة على الزوج فيما بعد، وإنما هي قيمة يراد بها تقدير المرأة، والرفع من قيمتها، وإدخال السرور في نفسها، أما المهر فهو بقدر ما تكون قيمته، بقدر ما تأخذه الزوجة إلى دار زوجها.

---

(1) الونشريسي: المصدر السابق، ج2، 129.

(2) ابن سلمون: المصدر السابق، ظ4 و. الغرناطي: المصدر السابق، ص17. الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص47. Roger: *op,cit* p161

(3) محمد بن عياض: المصدر السابق، ص270. الونشريسي: المصدر السابق، ج3، 47. Roger: *op,cit,* p162

(4) كمال السيد: المرجع السابق، ص63،64.

(5) الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص47، 92، 129.

(6) النازلة ذكرت الزوجين في عرسهما بلفظي: العروس للرجل، والعروسة للمرأة، حيث عرف عند الأندلسيين ذلك، فلا يصطلحون عليهما بلفظي اليوم العريس والعروس. الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص92

(7) المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

(8) ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1406/ 1985، ص135.

(9) الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص129.

3-الحصول على بيت الزوجية:

من التحضيرات المالية أيضا، والتي يفكر فيها الزوجان هو: الحصول على السكن الذي يأويان إليه بعد الزفاف، لذلك ظل هاجسا لعموم المجتمع الأندلسي، وبالتأكيد هناك فرق بين الغني والفقير ، أو الخاصة و العامة[1] في الحصول على ذلك.

فما كانت الخاصة تفكر في هذا الأمر؛ حيث إنها دون أي بحث أو محاولة يمكن أن يحصل ابنهم أو ابنتهم على المترل، فإما أن يكون إرثا[2] أو نحلة، وكانت البنت أكثر حظ في ذلك، وكثيرا ما تردد ذكرها ضمن كتب النوازل، فمنهم من نحل ابنته دارا في عقد نكاحها[3]، أو نحلها قطعة أرض على شرط بنائها مترلا[4]، في حين اشترط بعض الأولياء أن يسكن صهره معه في بيته مدة الزوجية[5]، وأحيانا نجد من النساء من كانت مالكة لسكن لكن كتب النوازل لم تشر أو تنقل لنا مصدر هذا البيت، أهو إرث؟ أم نحلة؟ أم ملك خاص فقط ما نقلته أن الرجل تزوج مثلا « امرأة لها سكنا»[6] ، أو« سكن في دار زوجته»[7].

وإن لم يحصل ابن هذه الطبقة على المترل بالطرق السابقة، فلا بد وأن له الرصيد المالي الذي سيبتاع به ذلك، حيث جاءتنا في ذلك صيغ عقود ووثائق مفصلة[8].

غير أن الفقير يلجأ إلى شراء جزء من البيت وبعد مرور الوقت يستكمل شراء ما تبقى[9]، أو شرائه ثم يدفع قيمة الشراء أقساطا[10]، أو ما نصطلح عليه في زمننا الحاضر الشراء بالتقسيط، وأكثر من

---

(1) الكثير من الدراسات قد تطرقت إل التعريف بشرائح المجتمع خاصة طبقتا الخاصة والعامة. عد إلى: André Clot:*L'Espagne musulmane* VIII –XV, France, decembre, 2004, p242.

Pierre Guichard: *Al*-Andalus711-1492une *histoire de l'Andalousie arabe*, Paris, Hachette litteratures,imprimerie, p140.

Levi Provinçal*: l'Espagne musulmane au Xème*, institutions et vie sociale, Paris Larose, 1932,p 232.

Salah Khalis: *La vie littéraire à Séville au XI siècle*, p20,22.

(2) بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المرجع الساب ق، ص31

(3) محمد بن عياض: المصدر السابق، ص220. البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص217. ابن عبد الملك: المصدر السابق، س1، ق1، ص 416.

(4) محمد بن عياض: المصدر السابق، ص 221.

(5) المصدر نفسه، ص223. ابن الحاج: المصدر السابق،و 66. الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص28.

(6) المصدر نفسه،الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

(7) ابن بشتغير: المصدر السابق، و 31.

(8) ابن سلمون: ظ75و.

(9) ابن رشد: المصدر السابق، ج2، ص1092.

(10) ابن الحاج: المصدر لسابق، و 37.

ذلك يمكن أن نستشف من خلال المصادر من اشترك مع آخر لشراء منزل، فيكون بين رجلين شراكة، على أن يتعاونا في ثمن الشراء ويقتسما سكن البيت(1).

لكن هناك من لم يقدر حتى على الشراء ، فاضطر إلى الكراء(2)، **فابن قزمان** واحد من هؤلاء، وعلى سبيل المثال أحد هؤلاء، حيث يشكي لنا حاله مع من اكترى منه المنزل(3)، ولشيوع هذا الأمر، اهتم أهل الوثائق بتدوين ذلك في صيغ عدة حسب نوعية البيت المكترى والثمن المتفق عليه(4)، كي لا يخدع أيا كان من الطرفين.

إن كراء الفرد للبيت لم يكن يدفع في معظم الأحيان دفعة واحدة، فلم يستطع بعضهم ذلك فاكترى دارا لسنين ودفع الثمن نجوما(5)، وهذه هي حال عامة أهل الأندلس باعتبار أن المترفين وميسوري الحال يمثلون أصغر فئات المجتمع على الدوام.

إن كلا الزوجين كانا يفكر في طريقة الحصول على بيت يجمعهما، لكن الغريب في الأمر لم نجد نازلة أو معلومة واحدة في هذا العصر تشير إلى أن الابن يسكن مع والديه، وفي الوقت نفسه نجد من الأولياء من أسكن صهره معه في بيته.

وكما هو الحال للمستوى المادي للأسرة في الحصول على السكن، فإن شكل المنازل تتفاوت بين منزل الفقير و ومنزل الغني، فيصف لنا **المقري**(ت 1631/1041) منازل الأسر الميسورة الحال بشساعتها واحتوائها على حجرات كثيرة وكبيرة وقاعات ذات ألوان عجيبة(6)، ويمكن أن تكون مبالغة لشكلها الخارجي في قوله تحيط بها حدائق وتتخللها ممرات، وبها نافورات وبساتين(7)، إضافة إلى ما تحتويه من فاخر الفراش والبسط والستور البديعة من الديباج(8).

---

(1) المصدر نفسه، و 47. ابن رشد، المصدر السابق، ج2، ص716.

(2) الونشريسي: المصدر السابق، ج8، ص276.

(3) ابن قزمان: المصدر السابق، ص174، 561، 562.

(4) الغرناطي: المصدر السابق، ص33. الجزيري: المصدر السابق، و 106. ابن سلمون: المصدر السابق، و 19، ظ 19و.

(5) " النجوم في اللغة جمع نجم أي القسط أو الوقت المضروب كأن يقول جعلت مالي على فلان نجوما منجمة، يؤدي كل نجم في شهر كذا وقد جعل فلان ماله على فلان نجوما معدودة يؤدي عند انقضاء كل شهر منها نجما، ويسمون الوقت الذي يحل فيه الأداء نجما ؛ لأن الأداء لا يعرف إلا بالنجم، وكانت العرب تؤقت بطلوع النجوم" انظر ابن منظور: المصدر السابق، ج12،ص568. الفيروز أبادي: المصدر السابق، ج1، ص1499. المقري الفيومي: المصباح المنير، المكتبة العلمية؟، بيروت، دط، دت، ج2، ص595.

(6) المقري: النفح، المصدر السابق، ج3، ص 220.

(7) المصدر نفسه، ج3، ص214.

(8) دندش عصمت: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، المرجع السابق، ص324.

أما منازل الفقراء فكما يجمع وصفها ابن قزمان في أزجاله فهي عبارة عن حجرات صغيرة يتوسطها بئر[1]، ويكون سقفها في بعض الأحيان قرميدا وفي البعض الآخر تبنا[2].

ثانيا: ماتوفره المرأة:

1-الجهاز:

يقدم الرجل لزوجته مصدرا ماليا قبل البناء، وتبرز المرأة له من ذلك المصدر ما يحتاجان إليه في بيتهما الجديد، حيث كان ذلك عرفا أندلسيا، فيجهز الولي ابنته بقدر ما نقدها زوجها[3]، فكم من نزاعات تذكرها لنا كتب النوازل قد وقعت بين الطرفين لأجل هذا الأمر ، فمن النساء من لم تبرز إلى زوجها جهازا[4]، أو أبرزت إليه جهازا يفوق قيمة المصدر المالي[5]، فإما أن يحتج الزوج في ذلك، أو يكون الولي هو الطرف المحتج، ويقصد بعضهم الفائض عن المصدر المالي عارية[6] وليس في خضم الجهاز.

ورغم ذلك فأن تجهيز البنت لم يكن مما ساقه الرجل لزوجته فقط، فمن الممكن أن يكون ما استلمه الولي من الرجل لا يكفي لشوار ابنته، حيث عرف عن الأندلسيين أنهم يتفاخرون بكثرة الشوار، فجاء على حد قولهم فيما يستهزئون بالشوار القليل" **شِوَار دْجِيجَة**..." [7]، أو لأن المهر كان كالئا[8]، أو مؤجلا. وهذا يجرنا إلى القول أن هناك تفاخر بين الأسر في نوع وكم جهاز بناتهم.

ولضرورة تجهيز البنت، واعتباره عرفا سائدا في المجتمع الأندلسي، اضطر الأولياء إلى استغلال كل مصدر من أجل توفير ذلك، فجهز أحدهم يتيمته ببيع عقار لها[9]، واستلف أحدهم مالا ؛حيث يروي لنا ذلك **ابن زهر**(ت 1193/590)[10] عن أحد أصدقائه الذي قصده لاستلاف مال منه لأجل تجهيز

---

(1) ابن قزمان: المصدر السابق، ص562، 588

(2) ابن الحاج المصدر السابق، و 245

(3) ابن سلمون: المصدر السابق، و6، ظ35و. الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص122. الجزيري: المصدر السابق، و312. كمال السيد: المرجع السابق، ص63.

(4) ابن سلمون: المصدر السابق، و6.

(5) ابن الحاج: المصدر السابق، و68. الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص122.

(6) الونشريسي:المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

(7) ابن عاصم: المصدر السابق، ص94.

(8) ابن بشتغير: المصدر السابق، و26.

(9) الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص133.

(10) " ابن زهر الحفيد أبو بكر بن أبي مروان بن أبي العلاء بن زهر الإيادي الأندلسي الإشبيلي، ولد بإشبيلية سنة سبع وخمسمائة، ونشأ بها، كان من أهل بيت كله علماء وزراء، أخذ صناعة الطب عن أبيه وباشر أعمالها، وكان حافظا للقرآن، وسمع الحديث، واشتغل بعلم الأدب والعربية، توفي سنة تسعين وخمسمائة بمراكش". ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات

ابنته[1]، وحتى الأمهات شاركن في توفير ذلك، فقد ابتاعت إحداهن جزءا من أملاكها لتجهيز ابنتها[2].

وعلى العكس من ذلك نجد من المصادر ما تذكر لنا أن الجهاز يوفره والد البنت من ماله الخاص[3]، وكمثال عن ذلك **أحمد بن محرز**(ت**1257/655**)[4] ، الذي تذكر ترجمته أن شيخه بمدينة **بلنسية**[5] قد جهز ابنته لما أراد تزويجها **لأحمد بن محرز**،خاصة عند علمه بعدم قدرته على توفير النقد[6]، وهناك أيضا أزواج ضمنوا شوارا لزوجاتهم دون أن يقدموا لهن نقدا[7].

غير أن الظاهرة البارزة في المجتمع الأندلسي هي: تجهيز الولي لابنته، ومن المال الذي يسوقه لها زوجها، فيبدأ الوالدان في جمع شوار ابنتهما؛ حيث إن من المدن الأندلسية، ما عرفت بذلك، فمرسية[8] مثلا كانت مدينة معروفة تجهز منها العروس حيث لا تفتقر في شيء من ذلك[1].

الأطباء، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1981/1401. ج1، ص521. الذهبي: سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج19، 599. المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص726. ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، دط، 1968، المصدر السابق، ج4، ص434، 435.

(1) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج1، 522.

(2) ابن الحاج: المصدر السابق، و47.

(3) ابن عسكر وابن خميس: أعلام مالقة، تحقيق الترغي عبد الله المرابط، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1999، ص125. ابن عبد الملك: المصدر السابق، س1، ق1، ص416. ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، المصدر السابق، ج1، ص246.

(4) " أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الزهري، يعرف بابن محرز البلنسي الفقيه المحدث اللغوي، ولد سنة تسع وستين وخمسمائة، أخذ عن جلة منهم والده وخالاه أبو بكر وأبو عامر، وجماعة من أهل المشرق، استوطن بجاية، وتوفي سنة خمس وخمسين وستمائة". ابن الأبار: تحفة القادم ، المصدر السابق، ص206- 208، 251. ابن الأبار: التكملة، المصدر السابق، ج1، ص33. ابن عبد الملك: المصدر السابق، س1، ق1، ص416. المقري: النفح، المصدر السابق، ج2، ص66.

(5) " بلنسية بالسين المكسورة، وياء خفيفة، كورة ومدينة مشهورة بالأندلس، شرقي تدمير، وشرقي قرطبة، وهي برية بحرية،سهلية ذات أشجار وبساتين وأنهار، تعرف بمدينة التراب، وهي قاعدة من قواعد الأندلس". ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، دط، 1957، ج1، 281، 282. القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص222. الحميري: المصدر السابق، ص97. العذري: نصوص عن الأندلس من كتاب الأخبار وتنويع الآثار في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع البلدان، تحقيق الأهواني عبد العزيز ، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، دط، 1965، ص17، 18. القزويني: المصدر السابق، ص513. ابن غالب: قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، تحقيق لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد01، ج1، رمضان1374، ماي1955، ص285.

(6) ابن عبد الملك: المصدر السابق، س1، ق1، ص416. ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص246.

(7) الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص319. ابن سلمون: المصدر السابق، ظ35و. البرزلي: ج2، ص221.

(8) " بضم أوله والسكون وياء مفتوحة، مدينة بالأندلس، قاعدة من قواعد تدمير وهي على نهر كبير، عامرة بحماماتها وأسواقها، اشتهرت بالبسط الرفيعة، كثيرة الخصب والفواكه، قليلة المطر". الحميري: المصدر السابق، ص539، 540. الزهري :

يتنوع ما تأخذه المرأة أي محتوى جهازها بين ما توفره للرجل من كسوة قد اشترطها عليها من قبل(2)، أو تبرزها له دون سابق ذكر(3)، ومن أهم الثياب التي تأخذها باسم الرجل: الغفارة(4)، والمحشو والقميص وسراويلات(5)، ولباسه(6)، وثياب رازي(7)، وبين ما تأخذه لتتجمل بـه(8)، أو مـن أدوات زينتها(9)، وكل ما تحتاج إليه في بيتها من أثاث وفرش ووسائل... (10)، وربما يصل الجهاز أحيانا إلى شراء خادم(11)، في حين أن جهاز المرأة في القرى ما كان يحوي إلا فراشا ولحافا(12) وبعض الملابس والحلي، فهي على بعد عن المرأة في المدن (13)، وهذا إن كان له تفسير، إنما يعود لقيمة المهر الذي كان مرتفعا في المدن عما هو في القرى.

2ــ النحلة:

إضافة إلى أن عقود الزواج الأندلسية تتضمن المهر والشوار، قد تندرج تحتها أيضا ما يوهب لكل من الزوج والزوجة من مصدر يزيد في توطيد العلاقة الأسرية. فمن أي الأطراف تأتي تلك الهبة؟ وما شكلها؟

كتاب الجغرافيا، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، دط، دت، ص100. القلقشندي: المصدر السابق، ج5،ص222.

(1) المقري: النفح، المصدر السابق، ج3، ص221.

(2) ابن سعيد الأندلسي: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1982، ص 140. ابن سلمون: المصدر السابق، و13.

(3) ابن بشتغير: المصدر السابق، ظ26و. الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص122. البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص229.

(4) الغفارة بالكسر خرقة تكون على رأس المرأة توقي بها الخمار من الدهن، وكل ثوب يغطى به، وأغلب الغفائر الأندلسية من الصوف، وكثيرا ما كانت حمراء أو خضراء، أما الغفائر الصفراء فكانت مخصصة لليهود، وهي لباس للرجل أيضا. ابن منظور: المصدر السابق، ج5، ص25. المقري: النفح، ج1، ص208. الأهواني عبد العزيز: ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد3، ج1، 1376/1957، ص300،301. السيد سحر عبد العزيز سالم: "**ملابس الرجال في الأندلس**"، صحيفة الدراسات الإسلامية، مدريد، مجلد27، ص169، 170.

R.Dozy:*supplément aux dictionnaires arabes*, Paris, troisième édition, Maisonneuve 1967,T2; P218.

(5) الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص122. البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص229.

(6) ابن سلمون: المصدر السابق، و13.

(7) ابن الحاج: المصدر السابق، و68.

(8) ابن سلمون: المصدر السابق، و35، ظ35و.

(9) ابن الخطيب: المصدر السابق، ج1، ص40.

(10) ابن سلمون: المصدر السابق، ظ35و.

(11) المصدر نفسه

(12) اللحاف هو: اللباس الذي فوق سائر اللباس من دثار البرد ونحوه، وكل شيء تغطيت به، وهو اسم ما يلتحف به ابن منظور: المصدر السابق، ج9، ص314.

R.Dozy:*supplément aux dictionnaires arabes*,op,cit,p 519

(13) دندش: المرجع السابق، ص302.

لقد كان من عادة أكثر الأندلسيين أن ينحل الأب ابنه أو ابنته مصدرا ماليا في عقد الزواج، إلا أن المصادر لا تعطينا معلومات كثيرة عما ينحله الأب لابنه إلا في مواضع قليلة، حيث نجد أحد أهل الأندلس يدعى "**وهبون بن عبد الله**" قد وهب ابنه **جعفرا** في عقد نكاحه مصدرا ماليا، ويعتبر إعانة مالية منه لدفع قيمة المهر(1).

غير أننا إذا ألقينا نظرة في كتب النوازل وجدنا أن نحلة المرأة كانت تأتيها من عدة جهات، فتكون إما من أبيها(2)، أو أمها(3)، أو حتى جدتها(4).

وكانت هذه الهبة أو النحلة تقدم بعدة صور وأشكال؛ حيث نحل بعض الآباء ابنته ثلث مستغل أملاكه(5)، أو قطعة أرض(6)، ووهبها أحدهم مالا ودارا(7)، وكانت نحلة بعضهن مغايرة لذلك، في شكل ثياب وجوهر وحلي فكانت مكوناتها شبيهة بالشوار(8).

لكن نحلة بعضهن كانت بقيمة كبيرة حيث شملت: دارا وحانوتا وجنانا وخادما(9) أو خمسين مثقالا(10)، وتشير كتب الوثائق والعقود أيضا إلى وجود وثيقة يتفق فيها الطرفان على قيمة النحلة، وكل ما يخص الطرفين(11).

ثم إن البنت قد نحلتها أمها حيث إن إحداهن قد وهبت لابنتها مالا عندما أقبلت على الزواج(12).

و لم تنحلها أمها فقط، وإنما هناك طرف ثالث فيما تشير إليه إحدى النوازل أن جدة قد أشركت حفيدتها في مالها، حيث وهبتها ربع أملاكها(13).

---

(1) ابن رشد: المصدر السابق، ج2، ص213، 213.

(2) ابن بشتغير ، المصدر السابق، و 8. محمد بن عياض: المصدر السابق، ص220. البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص217.ابن الحاج، المصدر السابق، و 45.

(3) ابن سلمون: المصدر السابق، ج1، ص12.

(4) البرزلي: المصدر السابق، ج5، ص66.

(5) ابن رشد: المصدر السابق، ج2، ص213.

(6) ابن بشتغير: المصدر السابق، و 8. محمد بن عياض: المصدر السابق، ص 221.

(7) البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص217. ابن عبد الملك: المصدر السابق، س1، ق2، ص414

(8) ابن الحاج: المصدر السابق، و 45

(9) محمد بن عياض: المصدر السابق، ص220.

(10) ابن الحاج: المصدر السابق، و 48. الجزيري: المصدر السابق، و 76. لقد أورد الأهواني عبد العزيز المثقال في قوله"" وليس المثقال كما تقول العامة للدينار من الذهب، وإنما المثقال زنة الشيء الذي يثقل به...". الأهواني عبد العزيز: ألفاظ مغربية، المرجع السابق، ص310. لكن ما يعنى به في هذا النص هو قول العامة.

(11) المصدر نفسه.

(12) ابن سلمون : المصدر السابق، و 5.

(13) البرزلي: المصدر السابق، ج5، ص66.

وتبقى النحلة تتفاوت بين عناصر المجتمع، فهناك فرق بين من لم ينحل لابنته أصلا، وبين من نحلها قطعة أرض فقط إذا ما قارناها بمن نحل ابنته دارا وحانوتا وجنانا وخادما، وهذا أكبر دليـــل علـــى أن النحلة توهب حسب الحال الاجتماعية للواهب.

ويلاحظ الدارس أن النحلة مثل الشوار؛ حيث تتحكم فيها الطبقة الاجتماعية، فهناك أيضا من كان شوارها بعض الثياب والحلي، في حين أن الأخرى لم تكن في حاجة إلى ثياب، وحلـــي، أو غـــير ذلك، بل شورت بخادم.

وتبقى دائما الحال الاجتماعية متحكمة في الوضعية المالية للزوج والزوجة، فكما خضع لها المهـــر والهدية والشوار والنحلة فإن السكن كان مثل ذلك.

المبحث الثالث

مراسم الزفاف

أولا: تزيين العروس وزفها:

1ــ تزيين العروس:

إن أهم عادات تزيين العروس وزفها تبدأ بالماشطة التي تتكفل بتزيين العروس[1] وإتحافها بتسريح شعرها[2] وتجميلها بمختلف أدوات الزينة والعطور[3]، وقد بلغت الماشطات في التفنن في الزينة بـــأنواع المصوغات والذهب[4]، بل وبالحناء في الكفين والكحل في العيون[5] وغير ذلك من مختلف ما اعتـــادت عليه عرائس الأندلس من زينة، وقد تميزت العروس في الأندلس عن النساء المدعوات للعرس، وحلتـــها الحريرية التي ترتديها والموشاة بالذهب والديباج[6] وبوضع أنواع الحلي[7]، وميز **ابن قزمان** العروس عن غيرها بوضع تاج على رأسها[8]، وجلوسها على كرسي تدور حولها النساء[9].، أو علـــى منـــصة أو كرسي مثقل[10]

2ــ زف العروس:

أما عن زف العروس فمعرفتنا عن كيفيته ضئيلة إن لم تكن معدومة، إلا ما قد وصلنا من وصف **ابن الحاج** في نوازله كما كانت سيرة أهل البلد، حيث يقصد أهل الزوج وجماعة من الرجال والنساء

---

(1) ابن سلمون: المصدر السابق، ظ 3 و.

(2) ابن الخطيب: المصدر السابق، ج2 ،ص 253.

(3) ابن سلمون: المصدر السابق، ظ 35 و.

(4) ابن الخطيب: المصدر السابق، ج1، ص40.

(5) المصدر نفسه، ج2، ص 353.

(6) نفسه. ابن سعيد: المصدر السابق، ص140. عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـــ، دار الشروق، بيروت، ط1، 1983/1403، ص218، 219.

(7) ابن الخطيب: المصدر السابق، ج1، ص40.

(8) ابن قزمان: المصدر السابق، ص 154، 466

(9) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص 53.

(10) المقري: النفح، المصدر السابق، ج1، ص104. ج3، ص474.

دار أهل الزوجة لزف العروس، وما يتبع ذلك من غناء وبهجة[1]، ويخرج موكب النقلة متجها إلى بيت الزوج، والعريس فيها على حصان والعروس في هودج، تتبعهما البغال المحملة بالهدايا[2].

ثانيا :أيام العرس في بيت الزوج :

1- الوليمة:

في يوم العرس وليلته يقام احتفال في بيت الزوج يحضره كل من أهل الزوج والزوجة المدعوين، فرغم تعدد نفقات العرس وثقلها وشكوى العامة التي ضربت لنا أمثالا في غاية الأهمية فقد أورد لنا **الزجالي** إحداها في كتابه "الأمثال"في قوله:**«ما أطيب العرس لولا النفاقة»** [3].

وهذا الاحتفال اصطلح عليه لفظ الوليمة التي لم ير فيها فقهاء ذلك العصر من أمر واجب وإنما كانوا مرغبين فيها فقط[4].

وتطهى بمناسبة هذا اليوم الأنواع من الأطعمة[5]، حيث يقوم بها الطباخ الذي استدعي لأجل ذلك[6]، ويقدم للحاضرين من أهل الزوج والزوجة والمدعوين والمدعوات.

فتاتي النساء متزينات بأنواع المصبغات وارتداء الجميل والفاخر من الثياب[7] إضافة إلى التظاهر بأشكال الحلي[8]، فكانت النساء يكلفن أزواجهن بشراء بدلة خاصة بهذه المناسبة[9]، ومن لم تكن تملك ما تتزين به خاصة الحلي فقد كانت تستعيره ممن تعرفها من جارة أو صديقة[10].

ثم إن هناك إشارات كثيرة عما يكون في هذه المناسبة من غناء ومزامير...إلخ، ودليل ذلك ما جاء في كتب الأمثال تعبيرا من العامة على حاجتهم إلى الزامر والمغني في العرس[11].

---

(1) ابن الحاج: المصدر السابق، و302.

(2) محمد حسن: المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 1999، ج2، ص289. جاك ريسلر: الحضارة العربية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1963، ص61.

(3) الزجالي: المصدر السابق، ق1،ص242.

(4) ابن سلمون: المصدر السابق، ظ 3 و.

(5) ابن قزمان: المصدر السابق، ص466. ويقدم لنا البرزلي شرحا مفصلا أو عدة تسميات للوليمة حسب مناسباتها فيقول:" أما طعام الولائم، وهي النقيعة والوكيرة والإعذار والعقيرة والعرس والخرس: طعام الولادة، والإعذار: طعام الختان، والنقيعة: طعام القدوم من السفر، والوكيرة: طعام البناء، والعقيرة، الشاة تذبح في رجب" البرزلي: المصدر السابق، ج5، ص520، 251.

(6) LeviProvinçal*: op,cit,* p242

(7) عز الين موسى: المرجع السابق، ص218، 219.

(8) ابن الخطيب: المصدر السابق، ج1، ص40، ج2، ص349.

(9) بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص30.

(10) البرزلي: المصدر السابق، ج5، 297، 298.

(11) انظر المثل:**«دَلَّت زامِر في مَكبَّة عرس»** الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص212.والمثل:« **من يعير بوق في يوم عرس**» المصدر نفسه، ق2، ص296.

ورغم أن العلماء قد حرموا ونهوا عن معظم آلات اللهو والموسيقى والغناء(1) ، ونهوا عن تلبية الدعوة إلى الوليمة التي فيها مختلف صنوف الموسيقى والغناء إلا ما كان فيها من صوت الدف(2).

وقد حرص المحتسبة في عصر المرابطين والموحدين **كابن عبدون** على مراقبة مراسم الأعراس خاصة في الأرياف، لما يكون فيها من اختلاط و منكرات وأمور مستقبحة، ومحاولة إبعاد الفئة المفسدة من الشباب وحرمانهم من حضور الوليمة، لما يكون من فسوق وفجور وشرب خمور(3).

وفي مدن الأندلس وصل الأمر بالناس إلى إقامة عرس في الشارع، فتصف لنا المصادر عرسا في إحدى شوارع قرطبة(4) حيث كان الحضور كثيرا يتوسطهم زامر ومغن يسايره(5).

وإذا أردنا جمع كل ما يدور في هذه المناسبة، فيكفينا التشبيه الذي ذكره **ابن الخطيب** عند وصف مراسم العيد، المتمثلة في أهم مظاهر الأبهة والتزيين، في قوله:«... وقد زينت العيون بالتكحيل والشعور بالترجيل، وكرر السواك على مواضع التقبيل وطوقت الأعناق بالعقود، وضرب الفكر في صفحات الخدود، ومد بالغالية على مواضع السجود، وأقبلت صنعاء بأشويتها، وعنت بأرديتها، ودخلت العروس في حليتها ورقمت الكفوف بالحناء وأثني عن الحسن وهو أحق بالثناء وطلقت النوبة ثلاثا بعد البناء، وغص الذراع بالسوار وتختر في اليمين واليسار وأمسكت الثياب بأيدي الأبكار ومشت الإماء أمام الأحرار وتقدمت الرايات بالأطفال الصغار وامتلأت الدنيا سرورا، وانقلب الكل إلى أهله مسرورا...» (6)،

ووصف ذلك **ابن قزمان** أيضا في أزجاله، فقال:

كَأَنَّ المَيْدَا دَارْ فِيهَا زَوَاج

---

(1) الطرطوشي: رسالة في تحريم الغناء والسماع، تحقيق محمد حسن اسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424/ 2003، ص144.

(2) البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص431.

(3) LeviProvinçal: *op,cit,* p244.

(4) " قرطبة بضم أوله وسكون ثانيه وضم الطاء، مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها، كانت عاصمة ملوك بني أمية، وهي على ضفة الوادي الكبير، بها علماء فضلاء وقراء أجلاء، بها المسجد الجامع، وهي بمثابة قاعدة للأندلس، وأم مدائنها".الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج4، ص368. الحميري: المصدر السابق، ص456-458. البكري: المصدر السابق، ص388. القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص218. ابن الشباط: قطعة من وصف الأندلس ضمن كتابةصلة السمط وسمة المرط، تحقيق مختار العبادي ، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، دط، 1975، ص141. العذري: المصدر السابق، ص121. القزويني: المصدر السابق، ص552. الزهري: المصدر السابق، ص86.

(5) الضبي: المصدر السابق، ص203.

(6) ابن الخطيب: المصدر السابق، ج2، ص 253، 254.

وَالحِـــلُّون فِيـــها عَـــــرُوس بِتَـــاج

وَالتِّـــين والبَلُّوط وَالصُّوف والدِّيَاج

نُقِيـــم الأَلْـــوَان مَقَـــام الـــصُنَّاع

والتُّـــرُنْج أَحْبَاب إذَا تْعَـــــــدْلُوا

واللِّيف دَفَّـــافَان إذا وَلْولُــــــــوا

وإن كَان ثَمَّ دُوم أو قَـــصْبَا حَـــل

فَلَس لَــــه تَثْبِيه إلا بِالـــشَّمَّاع[1].

ويلاحظ الدارس لهذا الجزء أن مهما كانت نفقات العرس كثيرة ومثقلة إلا أنه يبقى عادة أندلسية لا يمكن التخلي عنها، وبقدر ما تصفه المصادر بالتعب بقدر ما أعطته القيمة الاجتماعية، فمن دونه لا تتكافل الأسر، بل ولا تتكون الأسرة.

2- الأيام الأولى بعد الانتهاء من الاحتفال:

إن مصادر الدراسة لا تعطينا معلومات كافية ودقيقة عن هذه الأيام، وما يمكننا معرفته فقط هو أين يتوجه أبناء المجتمع الأندلسي_العريسان_ عند انتهاء مراسم العرس.

غير أن توجه العريسين يختلف حسب انتمائهما في المجتمع، حيث إن أبناء الطبقة الخاصة يقصدان إحدى المنتزهات للترفيه والنزهة على ضفاف الوديان ذات الحدائق و الضيعات الجميلة[2]، أو ما نصطلح عليه اليوم بشهر العسل.

أما عريسا الطبقة العامة فيقصدان أحد الصلحاء قصد الدعاء لهما وجلب البركة لحياتهما الجديدة[3]، كما نجد ذلك اليوم مع العائلات الأوروبية التي تتوجه الكنيسة ليبارك لهما أحد رجال الدين.

---

(1) ابن قزمان: المصدر السابق، ص466.

(2) الفتح بن خاقان: مطمح الأنفس ومسرح التأنس، تحقيق محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1403/1983، ق1، ص217.

(3) بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المرجع السابق، ص31.

ويتضح مما سبق أن المصادر سكتت عن كثير من المراسم والعادات، التي كان أهـــل الأنـــدلس يتخذونها أثناء الاحتفال بزواج أبنائهم وبناتهم، سواء أكان ذلك عن الطبقة الخاصة أم العامة من الناس، ورغم ذلك فإن الإشارات القليلة وضحت لنا بعض طقوس الزواج في الأندلس.

الفصل الثاني

حياة الأفراد في الأسرة الأندلسية

المبحث الأول : رعاية الأبناء وتنشئتهم .

المبحث الثاني : مكانة المرأة ودورها في الأسرة .

المبحث الثالث : الروابط والمشكلات الأسرية .

المبحث الأول
رعاية الأبناء وتنشئتهم

بعد تكوين الزوجين للأسرة واستقرارهما، يتجه تفكيرهما نحو نظام الأسرة، وانتظـــار المولـــود، انطلاقا من مبدأ أن تكوين الأسرة هو حفظ النسل، واستمرار البشرية، ولأجل ذلك كان على الأسرة تركيز جل اهتمامها بهذا النسل، وتربيته أحسن تربية، وتعليمه العلوم المفيدة له ولمجتمعه. ؟

أولا :رعاية الطفل وتربيته :

1-استقبال المولود وحضانته:

كان الأندلسيون يتوصلون إلى معرفة حقيقة الجنين في رحم المرأة بالاختبار الذي يذكره **السقطي** (631هـــ/1234م) في كتابه "آداب الحسبة": «بأن يوضع تحت المرأة بخور، أو عنبر، ويمنع أن يخرج من أردانها، أو ثيابها، فإن ظهرت الرائحة على فيها، فهي حامل، وإن لم تظهر، فهي ليـــست بحامـــل»[1]، وتركز جل اهتمامها بالطفل، فتحف المرأة الحامل العناية، وتوفر كل ما تتوق لها نفسها[2]، وكما يرى الأطباء الأندلسيون أن المرأة: «إن صح أنها حامل، فلتكف عن كل فصد، أو حجامـــة، أو قيـــئ، أو إسهال، ولا بأس بتليين طبيعتها، والحذر عليها من الفزع الشديد، والأصوات القوية، وشـــم الـــروائح الحادة إلا أن يكمل حملها أربعة أشهر»[3]، «وينبغي أن تعتني أولا: بمعدتها بالـــسكنجبين[4]، ومـــربى الورد، وجوارش السفرجل، والتفاح، وتلطيف الغذاء»[5].

لقد كان الأندلسيون أكثر فضولا لمعرفة جنس الجنين، ويشرح لنا **السقطي** طريقة ذلـــك أيـــضا متعجبا في قوله: « وقيل أمر عجيب إن صح، ولا أعلم كيف ذلك، وهو أن يقدَّر بخيط من وسط سرة

---

(1) السقطي: آداب الحسبة، نشر ليفي بروفنسال وج.كولان، باريس،دط، 1931م، ص52.

(2) بوتشيش ابراهيم القادري: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المرجع السابق، ص33.

(3) الخطابي محمد العربي:"**الطبيب ابن خلصون ومذهبه في تدبير الصحة وحفظها**"،مجلة أكاديمية المملكة المغربية، العدد الأول،جمادى الأولى 1404،فيفري 1994، ص149.

(4) هو مركب من الخل والعسل والماء، أو السكر ورب السفرجل وهو دواء لبعض أنواع الحمى . الداية فايز: معجـــم المـــصطلحات العلمية العربية، دار الفكر ، سوريا، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط1، 1990/1410، ص 205. معجم المصطلحات الطبية العربية ملحق بكتاب ابن رشد: الكليات في الطب، ابن رشد الحفيد: الكليات في الطب، تحقيق الجابري محمد عابد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، ماي 1999، ص625.

(5) الخطابي محمد العربي: المرجع السابق، ص 149.

المرأة إلى وسط الفقارة المحاذية لها من ظهرها، و يعلم المكان بمداد، ويدار القياس إلى الجانب الثاني من الموضع إلى الموضع فإن نقص الخيط من الجانب الأيمن عن العلامة فهي حامل بذكر، وإن طال فهي حامل بأنثى...»[1]،حيث يعرف الجنس ذكرا كان أم أنثى، فقد عرف منذ القدم اختيار، واستحسان الذكر على الأنثى،فهناك مثلا: من هدد زوجته بالقتل، إن أنجبت له أنثى[2]، غير أن بعض المصادر تمدنا بنصوص في غاية الأهمية، تذكر بعض القبائل التي لم تكن تستحسن الابن البكر ذكرا[3].

وفي يوم خروج هذا الطفل إلى الحياة، يأتي دور القابلة، التي يعرف **عبد الرحمن بن خلدون** (ت808هـ/1406م) بوظيفتها فيقول: « هو العمل في استخراج المولود الآدمي من بطن أمه من الرفق في إخراجه من رحمها وتهيئة أسباب ذلك »[4]، وقد اشتهرت الكثيرات بهذا العمل، ولعل تسمية بعضهن بالقابلة، هو: توليها للأمر لمدة طويلة، و بصورة واسعة في أسرتها، و مجتمعها حتى عرفت بذلك، وانتسب إليها أبناؤها[5].

لم تدع العامة أمرا إلا وضربت فيه الأمثال، فجاء على لسانها أيضا: « **ارفع حرك يا مهجة لقابل،حتى يرخص القوابل** »[6]، أي الادخار حتى وقت تكثر فيه القوابل، حيث بكثرتهن تنقص أجرتهن، وهذا دليل على أن القابلة كانت تأخذ أجرا على عملها .

بعد تلك الآلام والمعاناة التي تمر بها المرأة، يخرج النسل إلى الحياة، فكان من عادات الأسر المسلمة عموما ،والأندلسية خصوصا، الاحتفال بهذا المولود الجديد الذي رزقت به، فتقام حفلة السابع أو ما يدعى العقيقة[7]، وهي ذبح كبش أو أكثر حسب القدرة المالية للأسرة، وتعيش الأسرة أثناء ذلك لحظات فرح وابتهاج ، في حضور الأهل والأصدقاء ، بتقديم أنواع الحلوى والمأكولات، كما تقدم الهدايا للأم[8]ويتقدم الأهل، والأصدقاء أيضا بالتهاني، خاصة الشعراء الذين نجد في دواوينهم وأشعارهم

---

(1) السقطي: المرجع السابق، ص52، 53.

(2) ابن الحاج:المصدر السابق، و 288.

(3) الأمير عبد الله الزيري: المصدر السابق، ص199.

(4) عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، القاهرة، ط2، 1387، 1967، ج3، ص1074، 1075.

(5) المصدر نفسه، ص نفسها.

(6) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص52.

(7) ابن رشد الحفيد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الفكر، بيروت، دط، دت، ج1، ص339.

(8) دندش عصمت: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988/1408، ص332.

الكثير من بطاقات التهنئة، ومن أمثلة ذلك: **الرصافي** (ت 572هـ/ 1166م)[1]، الذي يهنئ في إحدى المقطوعات من ديوانه بمولود جديد، قائلا (بحر الكامل):

ولدت بمولده المكارم والندى   وتأهب النادي له الموكب

بشراك بالطفل الذي هو عندنا   شبل وفي المعنى هزبر أغلب

فأهنأ به من طالع ذي أسعد   يزهي بغرته الزمان ويعجب[2]

وأبو الصلت (ت 529هـ/1135م)[3]، الذي يهنئ بالمولود، ويمدح والديه، ويعتبر حسنهما وجمالهما سببا في حسن وجمال المولود، فيقول (بحر السريع):

يلوح في المهد وجهه   تجهم الأس وبشرى الندى

والشمس والبدر إذا استجمعا   لم يلبثا أن يلد فرقدا

فابق له حتى ترى نجله   وإن عرى خطب فنحن الغدا[4].

وهناك أمثلة كثيرة [1].

(1)" هو أبو عبد الله بن غالب الرفاء الرصافي، من رصافة بلنسية، وسكن مالقة، من الشعراء الفحول، له أشعار عديدة، توفي بمالقة في رمضان من سنة اثنين وسبعين وخمسمائة". ابن الأبار: تحفة القادم، المصدر السابق، ص75. ابن عسكر: المصدر السابق، ص 93. ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، المصدر السابق، ج2، ص46. ابن الأبار: المقتضب من تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3، 1410هـ، 1989م، ص109_112.

(2) الرصافي البلنسي: ديوان الرصافي، جمع وتقديم إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1960، ص46.

(3)" هو أبو الصلت أمية بن عبد العزيز من أصول إشبيلية، ولد سنة ستين وأربعمائة، أخذ العلم من جماعة من أصول الأندلس، ثم رحل إلى الإسكندرية، ومكث بها عشرين سنة، ثم نزل بالمهدية عند ملوك الصنهاجيين، له عدة مصنفات أهمهاّ العمل بالاسطرلاب" وّ الوجيز في علم الهيئة" الأدوية المفردةّ وغيرها، مات بالمهدية سنة سنة ثمان ".ابن الأبار: المقتضب من تحفة القادم، المصدر السابق، ص69. ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج1، ص501_503. ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط3،1955، ص262,263. المقري: نفح الطيب: المصدر السابق، ج2، ص578.

(4) المقري : نفح الطيب، المصدر السابق، ج2 ،ص110،109.

تتبع الأسرة خطوات نمو المولود برعاية، فتكون أمه مرضعا، ومربية له، وحاضـــنة، أو أن تنظـــر الأسرة لمولود ها حاضنة له، وهذا ما يظهر بصورة جلية في الأسر الغنية، فتستأجر الأســـرة مرضـــعا وحاضنة لابنها، وفق معايير قد أشار إليها العلماء في مصنفاهم،**كابن رشد الجد** الذي يرى أن «يتقـــى رضاع الحمقاء ذوات الطباع المكروهة ...»[2].

كما أكد **أبو حامد الغزالي** (ت 505هــ/1111م)[3] أن الطفل أمانة عند والديه « فلا يـــستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة متدينة تأكل الحلال ،فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه»[4]، «وقد كانت العرب تسترضع أولادها في بيت السخاء، أو بيت الوفاء، أو بيـــت الـــشجاعة، أو مـــا أشـــبه ذلك»[5]، ورأى السقطي أن أحسن المربيات للأطفال، السودانيات لاتصافهن بالرحمة والحنان[6]، وحتى كتب الوثائق والعقود اهتمت بهذا الأمر، حيث نجد ضمنها عقودا تنص على استئجار المرضع للأبناء[7].

أما في بعض الأسر، فتكون الجدة هي الحاضنة [8]، حيث إنها تأخذ الابن من أمه وتحضنه حـــتى يكبر، أو أن يكون الابن يتيم الوالدين، أو بالأخص يتيم الأم، كما يرى ذلك الفقهاء[9]،وهذه المربية، أو المرضع عرفت في أوساط الأندلسيـــين باسم (دادة) [10]، أو داية[1]. وكما يصطلح عليها عامتنا اليوم بـــ (طاطا).

---

(1) ابن بسام: المصدر السابق،م1 ،ص855. التجيبي المرسي: زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر،إعداد وتعليـــق، عبـــد القادر محداد، دار الرائد العربي، بيروت، دط، 1980، ص110. العماد الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، قـــسم شعراء المغرب والأندلس، تنقيح محمد المزوفي وآخرون، الدار التونسية للنشر، تونس،دط، 1972، ج3، ص383 .

(2) ابن رشد الجد: المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسم المدونة من الأحكام، مطبعة السعادة، مصر، دار صـــادر، بـــيروت،دط، دت، ج1،ص381.

(3)" هو محمد بن محمد بن محمد الطوسي الشافعي المعروف بأبي حامد الغزالي، حجة الإسلام حكـــيم، متـــصوف، فقيـــه، أصولي، متكلم، ولد بطوس بخراسان، وطلب الفقه بها، ثم رحل إلى جرجان فنيسابور، ثم إلى بغداد فالحجاز، فبلاد الـــشام فمصر، توفي بطوس سنة خمس وخمسمائة، له من التصانيف الكثير، أهمها: إحياء علـــوم الـــدين، وتهافـــت الفلاســـفة". المراكشي: الإعلام بمن حل بمراكش و فاس من الأعـــلام، المطبعـــة الجديـــدة، فـــاس، ط1، 1355هـــ/1935م، ج2، ص329_332. كحالة رضا: معجم المؤلفين، جمع وإخراج مكتب تحقيق التـــراث، مؤســـسة الرســـالة، بـــيروت، ط1، 1414هـــ/ 1993م، ج3، ص671.

(4) الغزالي أبو حامد : إحياء علوم الدين، الدار المصرية اللبنانية، لبنان،دط، دت، م1، ص78.

(5) المصدر نفسه، ص نفسها.

(6) السقطي: المصدر السابق، ص53.

(7) الجزيري: المصدر السابق، ص131.

(8) محمد بن عياض: مذاهب الحكام، المصدر السابق، ص183، 184.

(9) المصدر نفسه، ص نفسها.

(10) ابن هشام اللخمي: المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان، تحقيق الجنان مأمون بن محي الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1985، ص198. الأهواني عبد العزيز: ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة، المرجع السابق، المجلـــد الثاني، الجزء الثاني، ربيع الثاني 1377، نوفمبر 1957، ص285

لقد اهتم الأندلسيون بالمرأة مرضعا وحاملا، فجاء في كتب الطب،« أن تكون المـــرأة المرضـــع متحفظة في الغذاء مرتاضة»[2]،ومعنى متحفظة في الغذاء أنها تأكل من كل غذاء أحسنه،أما مرتاضة فهي أن تقوم برياضة معتدلة،كما يشرح ذلك أحد الأطباء المسلمين فيقول: «ينبغي أن تكون أغذية المرضع من أجود الأغذية،وأبعدها عن الفساد، وترتاض قبل غذائها رياضة معتدلة، فبذلك يصلح لبنها،ولـــيكن هذا تدبيرها إلى الفطام»[3]، وفي كل ذلك حفاظ على الطفل الرضيع، وغذائه، المتمثل في اللبن.

وتأتي مرحلة الختان الطفل، وهو أمر بديهي في المجتمعات الإسلامية، حيث تقام الحفلة التي تعتـــبر من مسرات الأسرة،في معظم الأحيان في يوم السابع عملا بالسنة[4]، فتحييها بإقامة المآدب،وما يصحبها من موسيقى وغناء[5]، خاصة إذا كان ختان أحد أبناء البلاط، فتذكر إحدى النوازل حفل ختان طفل سنة 499 / 1105في بلاط **ابن الحاج** أمير قرطبة المرابطي[6].

وفي بعض الأحيان تكون الحفلة جماعية، حيث يختن لمجموعة من الأطفال ، كالتي دعا إليها **المنصور الموحدي** (580- 595هـــ/1184ـــ 1158م) سنة خمس وخمسين وخمسمائة، حيث أمر بجمع الأطفـــال، وإعذارهم ، ويصور لنا المصدر طريقة ذلك إذ يلهى الأطفال بوضع دينار من ذهب ، ودرهم من فضة، وحبة من الفاكهة في يد كل واحد[7]، و لم يتخلف أبناء أهل الذمة المتواجدين في هذا المجتمع أيضا، أن يجبروا على الختان، كما كان يفعل معهم **ابن عبدون**[8].

وتبقى الأسرة مسرورة بهذا المولود، حتى إنها تنتهز كل فرصة لإقامة طعام لأجله، كالتي تقيمهـــا حين نبات أسنانه، ويدعى الطعام الذي يكون في هذه الحفلـــة عنـــد الأندلـــسيين "بالدنتيلـــة" ، أو "الدنتينة"[9] بالنون،أو "دانتيسيا" اللفظ الأعجمي[10]، ولعله نسبة إلىDentilla اللاتينية التي تعني السن.

وتستمر الأسرة في عاداتها مع كل مولود ، إلا إذا لم ترزق الأسرة بأي مولود، فتقتلها الغـــيرة، خاصة إذا كانت الأسرة حاكمة أو مالكة، وخافت على من يلي عهد الحاكم[11].

---

(1) ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج2، ص354.
(2) ابن رشد الحفيد: الكليات في الطب، المصدر السابق، ص475.
(3) الخطابي محمد العربي: المرجع السابق، ص149.
(4) الضبي: المصدر السابق، ص86.
(5) دندش عصمت:الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، المرجع السابق، ص332.
(6) الونشريسي: المصدر السابق، ج4، ص447.
(7) ابن عذاري: المصدر السابق، ص228.
(8) ابن عبدون: المصدر السابق، ص 239.
(9) ابن هشام اللخمي: المصدر السابق، ص176.
(10) الحسن الوزان: وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، دت، ج1، ص258.
(11) ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص78.

ويأخذنا أمر وجود الأطفال في بعض الأسر، وعدمهم في بعضها، إلى محاولة إحصاء متوسط عدد الأفراد في الأسر الأندلسية، خاصة مع ظروف عدم الاستقرار الذي اتسمت به الأندلس في الفترة التي تلت الخلافة الأموية[1].

فتشير كتب التراجم والتاريخ إلى أن بعض الأسر لم ترزق ولا بمولود[2]، وبعضها رزقت ثلاثة أطفال[3]، وتكشف لنا كتب النوازل بوجه خاص بعض الإحصاءات حيث أمدتنا بمعلومات عن الأسرة التي رزقت مولودا واحدا[4]، والتي رزقت أربعة أطفال[5]، ووصلت حتى إلى خمسة أطفال[6]، ويمكن أن يتجاوز العدد ما ذكر، وخلال مجموع هذه الإشارات، يمكن تقدير متوسط عدد أفراد الأسرة، حيث يتراوح بين فردين إلى أربعة أفراد عموما.

وكل هؤلاء الأطفال مهما قل عددهم أو كثر، فإن الأسرة تسير معهم بالعادات نفسها في الرعاية والاحتفال بهم، أما تربيتهم، بعد أفطامهم ـــ وهذا ما سنراه في الجزء الموالي ـــ

2: التربية الخلقية للطفل:

تحتفل الأسرة وتسر بالمولود الذي يصبح فردا تحاط به كل العناية، والرعاية في هذه الأسرة، حيث إنها تجتهد في تربيته، وتنشئته تنشئة صحيحة، قبل أن تدفع به ليصبح فردا في المجتمع.

فقد اعتبر أحد الباحثين التربويين،« الطفل صورة عائلته، فكل ما فيها من خير أو شر، وكل ما سمعه، ورآه، ينطبع فيه»[7]، ولما كان كذلك، فالوالدان خاصة الأم مجبرة على إحاطة الطفل بالتربية الحسنة، باعتبارها أكبر قريب إلى الابن، ولذا يتطلب منها الصبر، والعقل، والحنو، والمحبة الخالصة[8].

ويرى بعض العلماء،**كابن سينا**(ت428 هـ/1036م)[9]، أن التربية تبدأ عند فطام الصبي على الإرضاع، بتأديب الطفل قبل أن تهجم عليه الأخلاق الذميمة، لأن الصبي تبادر إليه مساوئ الأخلاق،

---

(1) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ص 184ـ 363.

(2) ابن عذاري: المصدرالسابق، ج4، ص78.

(3) المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج3، ص479. المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج3، ص102. القاضي عياض: المصدر السابق، ج8، ص 175، 178.

(4) ابن الحاج: المصدر السابق، و114. ابن سلمون: المصدر السابق، و45.

(5) ابن رشد الجد: فتاوى ابن رشد، المصدر السابق، ج1، ص273. ابن الحاج: المصدر السابق، و 223.

(6) ابن الحاج: المصدر نفسه، و94.

(7) قمبر محمود: دراسات تراثية في التربية الإسلامية، دار الثقافة، الدوحة، ط1، 1413/1992، ج3، ص159 .

(8) المرجع نفسه، ص نفسها.

(9)"هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا، الحكيم المشهور، من أهل بلخ، عاش ببخارى، ثم تنقل في البلاد الإسلامية، واشتغل بالعلوم وحصل الفنون، كما أتقن علوم القرآن والآداب وغيرها، له من المصنفات الكثير، وأهمها: رسالة حي بن يقضان، كتاب الهداية، والأدوية القلبية، وكتاب القانون في الطب ، توفي بهمذان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة". القفطي:

وتنثال عليه، فينبغي تجنيبه مقابحها[1]، ورأى أن يقابل المربي الطفل بطرق عديدة، بالترغيب، والترهيب، والإيناس، والإيحاش، وبالأعراض، وبالإقبال، وبالحمد مرة، وبالتوبيخ مرة أخرى، ما كان كافيا [2].

واعتبر علماء آخرون أن: الطفل أمانة في عنق والديه، ولحفظ هذه الأمانة، لا بد من تأديبه وتعليمه محاسن الأخلاق، وحفظه من صداقة السوء، وعدم تعويده على النعم، بل وإبعاده عن الزينة والرفاهية[3]، وحقيقة من قرناء السوء يتعلم السوء، ومن النعيم لا يمكن أن يصبر على الشدائد، ومن الرفاهية يكون اللهو في معظم الأحيان، ويؤكد ذلك المثل القائل: « **من أساسه يكون بنيانه**»[4].

غير أن من الآباء من أساء التصرف في تربية أولاده، فكانت العامة في الأندلس تترصد كل ذلك، حيث استقبحت الوالد الذي لا يحيط أولاده بأدنى مراقبة، وجاء على حد لسانها: « **أضارب الفلالس، وصحب الدار جالس** »[5] ، ولعله قيل في الصغار لا يوقرون مجالس الكبار، دون أن يبين لهم المربي –الأب والأم– أن ذلك من سوء الأخلاق، وأن يعلمه محاسنها، أو يقدم له البديل،لأن«**من ربا صغير ما يندم**»[6]؛ لأن روح التربية الإسلامية هي التربية الأخلاقية، بها يكون الفرد سويا[7].

ولذلك فإن تربية الطفل واجبة، ومساهمة جدية في نظام الأسرة والمجتمع، فإذا كان الوالد كما قالت العامة، غير مسؤول، وغير راع للأمانة التي منحه الله إياها ليحتفظ بها، فبالطبع ستضيع هذه الأمانة، ويمكن أن يأخذها من ليس أهلا لها أيضا فتضيع ضياعا أخيرا، ومثل هذا مع الطفل، حيث إذا ضيع في أسرته، و لم تحفظه، فكيف إذا خرج إلى مجتمع ساد فساد الأخلاق فيه، كما أدلى به أحد الباحثين[8].

وينقل لنا **الأمير عبد الله** في مذاكرته، أن كل شيء ينطبع من النشأة، وحين المولد مطبقا ذلك على نفسه، حيث يحلل شخصيته، فيقول:« ولقد طالعت من مولدي أشياء ميزتها من طبائعي، وأخلاقي

تأريخ الحكماء، مكتبة المثنى، بغداد، مؤسسة الخانجي، مصر، دط، دت، ص413. ابن خلكان: المصدر السابق، ج2، ص157.

(1) المرسي منير: فلسفة التربية في الشرق والغرب، عالم الكتب، القاهرة، دط، دت، ص 266.

(2) المرجع نفسه، ص نفسها.

(3) الغزالي أبو حامد: المصدر السابق، ج1، ص78.

(4) الأمير عبد الله: المصدر السابق، ص130.

(5) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص63.

(6) المصدر نفسه، ق2، ص321.

(7) الإبراشي محمد عطية: التربية الإسلامية، الدار القومية للطباعة والنشر، دط، 1964، ص95.

(8) المني نعيمة: "**صور من النقد السياسي والاجتماعي في الأدب الأندلسي**"، كراسات أندلسية، تقديم عباس الجراوي، الرباط، ص91.

على أن واضعيه ألفوه،ونحن في حال الطفولة...»[1]، فهو يرى أن أخلاقه، وطبائعه التي كبر عليهـــا، لم تكن من فراغ، وإنما كانت من تأليف من رعاه في طفولته.

واهتمت كتب الطب بالأمر لخطورته، حيث جاء فيها أنه «لا ينبغي أن يحمل الطفل في الزجر، و التأديب قبل سبع سنين»[2]، واهتم الشعراء بتربية الأطفال، فتطرقوا إليها في نظمهم، ومن بينهم ابن **خفاجة** (ت533هــ/1138م)[3]، الذي يذكر أسلوبا من أساليب التعامل مع الطفل، بزجره أحيانا، ونهره عن القبيح، ولو بإبكائه وإحزانه ،ويشبه ذلك بالسيف الذي لا يكون صالحا إلا بعد أن يأتي بنتيجة في القتال، جامعا ذلك في قوله (بحر الكامل):

نبــه وليــدك من صبــاه بزجره ... فلربــما أغفى هنــاك ذكــاؤه

وانـــهره حتى تســتهل دمــوعه ... في وجنتــيه وتلتــظي أحشاؤه

فالسيف لا تــذكوا بكفك نــاره ... حتى يسيل بصفحتــيه ماؤه[4].

وهذا بمثابة العقاب النفسي، الذي هو أكثر أثرا على الفرد، وخاصة صغير السن.

ولاهتمام الشاعر بهذا الأمر ، فقد ذكر في موضع آخر،كيفية تنبيه الطفــل، وتــسديد منهجــه ومراميه، إما بلفظة شديدة، حيث يصبح شديدا أزره، وإما بتلميح، حيث يصبح لبيبا بالإشارة يفهم، ويمثل ذلك في الشعلة التي تكون نقطة انتشار النيران، فقال (بحر السريع):

ســدد مــرام الطفل في شأنــه ... بلفظـــة تشـــدد بــهــا أزره

واكتــف باللمحـــة من فهمـــه ... إن الـــمبـــادئ أبـــدا نـــزره

أما تــرى النيـــــران من شعلــة ... والدوحـــة اللفـــاء من بزرة[5]

وما تقدم هو قليل من كثير ما كتبه واهتم به علماء التربية، لماله من أهمية في حياة الأسرة، فهـــو بمثابة اللبنة الرئيسة في بناء حياة الطفل، وبها يصبح فردا يمكن الانتقال به إلى مرحلة التأديب والتعليم.

---

(1) الأمير عبد الله: المصدر السابق، ص179.

(2) الخطابي العربي:المرجع السابق، ص151.

(3)" هو أبو اسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد اله بن خفاجة أو الخفاجي الأندلسي، ولد بجزيرة شقر ببلنسية سنة ســتة وخمــسين وأربعمائة، كان أديبا شاعرا، ترك لنا ديوان شعر، توفي سنة ثلاثة وثلاثين وخمسمائة". ابن بشكوال: المصدر السابق، م1، ص95، الضبي: المصدر السابق، ص202.ابن دحية: المصدر السابق ص111.ابن الأبار، المعجم، المصدر الــسابق، ص58، 60. الفتح بن خاقان: قلائد العقيان في محاسن الأعيان، مطبعة التقدم العلمية، مصر، ط1، 1360، ص ص241- 271.

(4) ابن خفاجة: ديوان ابن خفاجة، تحقيق كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، دط، 1980/1400، ص14.

(5) المصدر نفسه، ص146.

ثانيا: تأديب الابن وتعليمه:

بعد تغذية الطفل تغذية روحية خلقية، تتوجه الأسرة إلى تلقينه وتأديبه، فتجتهد في ذلك باستعمال كل الطرق، والأساليب للنجاح في تحصيله العلوم ،وتسعى في دفعه فردا فعالا، ليتحمل مسؤوليات مجتمعه، فما هي أهم هذه الطرق و الأساليب؟ ومن هي الأطراف التي يمكن لها أن تشارك في تطبيق هذه الطرق؟

قبل البدء في الإجابة عن هذه الإشكالات، يجدر بنا أن نشير إلى مهمة السلطة المرابطية والموحدية في مجال التعليم في الأندلس، حيث إن المرابطين لما استقروا بالأندلس، واحتكوا بأهله، فتح أمامهم الاهتمام بالتعليم[1]،وبدؤوا يتعلمون من الأندلسيين، الذين كانوا يعتبرون التعلم وسيلة للسعادة، والفلاح، وكانوا يحرضون أبناءهم على ذلك، في قولهم:«**نحن نَقْرٌو ليس نفلح كيف لو غَنيْن**»[2]، وكذلك حرص الموحدون على تعليم الأطفال صغارا، وألزموا به الذكور والإناث[3]،مثلما دعا **المنصور الموحدي** إلى جمع الصبيان من أبناء المدن كإشبيليه[4]،وقرطبة إلى حضرته بمراكش،لتعليمهم[5]، وإذا كانت السلطة قد حرصت على تعليم الأطفال، فماذا عن الأسرة اتجاه أبنائها، وهي أقرب تنظيم إلى الطفل؟

1-تعليم وتأديب الابن داخل المترل:

تذكر لنا كتب التراجم المختلفة أن الأسرة استغلت كل الظروف والطرق لتأديب و تعليم أبنائها، حيث إن الكثير من الآباء من كان معلما مباشرا لابنه، فلقنه العلوم، كحفظ القرآن الكريم، ورواية الحديث، وعلوم الفقه[6]، بل إنه أشرف على مراقبته، وتوجيهه نحو علم دون آخر، وإجباره على

---

(1) دندش عصمت:الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، المرجع السابق،ص 369.

(2) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص353.

(3) ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص178,179. المنوني: حضارة الموحدين، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989،صً21.

(4) " من أعظم مدن الأندلس أصل تسميتها المدينة المنبسطة تطل على النهر الهابط إليها من قرطبة نزلها من الجند جند حمص كانت قاعدة من قواعد الإسلام اتخذت دار مملكة لبعض الوقت من الأنصار الكثيرة المنافع ، بينها وبين قرطبة مسيرة ثلاثة أيام". العذري:المصدر السابق، ص95,96. الرشاطي وابن الخراط الإشبيلي: = الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار ، تحقيق إيميليو مولوينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الاعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد،دط، 1990، ص102.ابن الشباط: المصدر السابق، ص138، 139. اليعقوبي: البلدان، تعليق محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 2002، صً193,194 .

(5) ابن القطان: المصدر السابق، ص178،179.

(6) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، المصدر السابق، س2، ص544. ابن بشكوال: المصدر السابق، ص79، 310. التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، وضع هوامشه وفهارسه طلاب من كلية الدعوة الإسلامية، إشراف وتقديم عبد الحميد الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط1، 1989، ص213. المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص28. ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق: ج3، ص109.

ذلك[1]، وقد وضع **الفقيه يوسف البلوي**[2] (ت604/1207) لابنه أيضا كتابا بعنوان:« ألف باء»ليعلمه و يؤدبه، وهو على شكل موسوعة جمعت فيها مختلف العلوم، مكتوبة أسلوب بليغ[3]، وحتى الأم ساهمت هي الأخرى في تلقين أبنائها العلوم، فتذكر لنا مثلا: ترجمة **القاسم بن محمد الأوسي القرطبي**(ت642هـ/1244م)،أنه أخذ، وروي عن أمه[4].

وكان أهل العائلة أو الأقارب أصحاب فضل في تعليم الأبناء، فتذكر التراجم أن من الأبناء من أخد عن عمومته[5]، ومنهم من أخذ عن أجداده[6]، ومنهم من أخذ عن أخوال، ولا يفوتنا أن نشير إلى انتشار أمر تلقي العلم عن الأخوال في هذه الفترة[7].

وكانت بعض الأسر تستأجر لأبنائها مؤدبا أو معلما يتولى تعليمهم وتلقينهم العلوم حسبما اتفق الطرفان في العقد، كما تشير مصادر الوثائق والعقود[8]، ويأخذ مقابل ذلك أجرا[9]، كما حدده الفقهاء في هذا البلد بدرهمين، واشترطوا فيه أن يكون متزوجا أي شيخا تقيا ورعا لا يحضر الولائم والجنائز حيث لا يتغيب على تأديب الأبناء، وأن لا يكثر من الصبيان[10]، وذلك انطلاقا من مفهوم التأديب الذي نجده في ثنايا كتب الفقه على وجه الخصوص، **فابن عبدون** مثلا يحدد مهمة تأديب الطفل: «بأن يعلمه حسن الألفاظ في القراءة، و الخط الحسن، و الهجاء، ويأمر من كان كبيرا بالصلاة... »[11]، وبمعنى أبسط و أوضح هو:رياضة النفس بالتعليم، و الأخذ بمكارم الأخلاق، كما جاء في إحدى القواميس الفقهية المعاصرة[12].

---

(1) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1973، س6، ص399.

(2) هو يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى البلوي، من أهل مالقة، يكنى أبا الحجاج، ويعرف بابن الشيخ، رحل حاجا وأخذ طريق بجاية، ثم عاد إلى مالقة، وبنى بها مسجدا، وأصبح مؤذنا، ومقرئا ومحدثا، توفي سنة 406هـ.

(3) ابن الزبير: صلة الصلة: المصدر السابق، ق4، ص285ـ 287. بالنثيا جانثلث: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دط، دت، ص179.

(4) ابن عبد الملك: المصدر السابق، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، دط، 1965، س5، ق2، ص557.

(5) التنبكتي: المصدر السابق،ص213.

(6) ابن عبد الملك: المصدر السابق، س6، ص157.

(7) ابن عسكر: المصدر السابق، ص 80، 81. المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص28. السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط2، 1399/ 1979، ج1، ص166، 167.

(8) الجزيري: المصدر السابق، و128. عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1997، ص504. انظر الملحق رقم(o5)

(9) السقطي: المصدر السابق، ص72.

(10) ابن عبدون: المصدر السابق، ص214، 215.

(11) المصدر نفسه، ص215.

(12) سعدي أبو حبيب: القاموس الفقهي لغو واصطلاحا، دار الفكر، سوريا، ط2، 1408/1988، ص17.

وحرصت الأسرة على أخلاق المؤدب الذي لا بد أن تكون له مكانة و مهابة خاصة أمام التلاميذ أو الصبيان(1)، خاصة ما تميزت به الأسر السياسية التي كانت تختار لتعليم أبنائها أفقه الناس وأورعهم ، وأعفهم بل اختبارهم قبل تكليفهم بذلك(2)، وجمع كل ذلك أحد الباحثين المعاصرين متبعا المعايير المختلفة التي راعاها هؤلاء، في النقاط الآتية :

- أن يكون واسع العلم، ذا خبرة طويلة في التعليم.
- أن يكون معروفا بالجد والعفاف.
- أن يزكيه عالم أو مؤدب آخر.
- أن يخضع لاختبار يجريه ولي الأمر (3).

فاختيار **المنصور الموحدي** كلا من **عبد الله بن سليمان حوط الله** (ت 612/ 1215م)(4)، لتعليم أبنائه الذكور(5)، و **علي بن محمد الفهمي** (ت617هـ/ 1220م)لتعليم بناته(6)، بعد تأكده من ورعهما، حيث قربهما واستخلصهما، ثم أمرهما بالتعليم(7)، وقبل المنصور اختار الخليفة **عبد المؤمن بن علي الموحدي**(حكم 524_558هـ/ 1129م ـ 1162م)، **ابن السيد الجراوي**(ت 560هـ/ 1164م)(8) كمؤدب لأبنائه أيضا(9).

2-من أساليب التأديب:

لعل حرص الأندلسيين الشديد على أخلاق المؤدب، جعلهم يستحسنون المؤدب الشديد، لأن الشدة تؤدي إلى الخوف، والخوف يكون سببا في التعود على التحصيل، وحفظ العلوم، ومعيار الشدة هذه عندهم هو:الضرب اعتقادا منهم أن:«**ضرب الصبي كالماء للزرع**»(10)، ومع ذلك لم يطلقوا العنان

(1)انظر المثل،"**كثير ما يقول الصبيان إذا غاب المعلم**"، الزجالي: المصدر السابق، ق2 ، ص 260.

(2) ابن الخطيب: رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس،دط، 1316، ص58.

(3) العريني: الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط1، 1416، ص97_100.

(4)" هو محمد بن عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن حوط الله الأنصاري الحارثي، ملقي انجي، ولد سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، كان احد النجباء، روى عن شيوخ كثر ولي الأحكام لأبيه بمرسية وقرطبة، توفي سنة سبع وستمائة". ابن عبد الملك: المصدر السابق، س6، ص281. ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص884.

(5) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، المصدر السابق، ج2، ص884.

(6) ابن عبد الملك: المصدر السابق، س1، ق1، ص400.

(7) المصدر نفسه، ص نفسها، ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، المصدر السابق، ج2،ص884.

(8)" هو أحمد بن حسن بن سيد الجراوي من أهل ماقة، يكنى أبا العباس، كان نحويا فاضلا، توفي في نحو الستين وخمسمائة". ابن الأبار: التكملة، المصدر السابق، ج1، ص63، 64.ابن عبد الملك: المصدر السابق، س1، ق1، ص92.

(9) ابن عبد الملك: المصدر السابق، س1، ق1، ص92.

(10) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص233

للمؤدب يضرب كيفما يشاء، وإنما قد قيد ذلك المحتسبة«بأكثر من خمسة أشـــواط للكـــبير، و ثلاثـــة للصغير، و تكون الشدة على احتمالهم لذلك»[1].

غير أن علماء الطب، كانوا يوصون بغير ذلك، بأن:« لا يعنف على الطفل، فإن ذلك يكسر من نشاطه، و يمنع من حسن نشره حتى يبلغ عشرا، فلا بأس بالزجر المعتدل في التأديب و التعليم، ولـــيكن هذا تدبيره إلى كمال أربعة عشرة سنة»[2]، فمنعهم من الضرب قبل سن العاشرة لا بد، و أنهم أخذوه عن الرسول ﷺ في حديثه عن تأديب الطفل، و الصلاة، حيث حدد الـــضـــرب بدايـــة مـــن ســـن العاشرة[3].

وكان من المعلمين من أحسن المعاملة مع طلابه[4]بارا بهم، و مكرما لهـــم[5]، يـــسدلهم كـــل النصائح[6]، ويحرضهم [7]، ويشجعهم على طلـــب العلم، وينمي فيهم الـــــروح العلمية[8]، بل كان منهم من يطعمهم وينشطهم ويتحمل مؤونتهم[9]، ولهذه الصفات والأخلاق العالية جعل بعض الطلاب **كابن الأبـــار(658/ 1259)**[10] يفتخر بمعلمه **ابـــن أبي زاهر**[11]، ويثني عليه ذاكرا فضائله[12].

ولاهتمام الأسرة الأندلسية بالتحصيل العلمي لأبنائها، نجد لأفرادها عـــدة وصـــايا يوجهونهـــا لأبنائهم الملتحقين بصفوف العلم، وأهم وصايا هذا العصر- عصر المرابطين والموحدين- وصية **عبـــد**

(1) السقطي: المصدر السابق، ص68. ابن عبدون: المصدر السابق، ص 214.

(2)الخطابي العربي: المرجع السابق، ص151.

(3) «... ثم مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر»أبو داود السجستاني: سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دط، دت، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، ج1، ص133.

(4) ابن عبد الملك: المصدر السابق، س6، ص204.

(5) المصدر نفسه، ق6، ص88.

(6) القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص77، 79، 154، 181. ابن عبد الملك: المصدر السابق، تحقيـــق إحـــسان عبـــاس، دار الثقافة، بيروت، دط، 1965، س5، ق1، ص170.

(7) ابن عبد الملك: المصدر نفسه، س6،ص307.

(8) القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص198.

(9) ابن عسكر : المصدر السابق، ص152.

(10) "هو أبو عبد اله محمد بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار من أهل بلنسية ولد بها سنة خمس وسبعين وخمسمائة ثم رحل إلى المغرب الأوسط واستوطن بجاية ودرس بها وأقرأ وصنف عدة تصانيف ديوان شعري وكتاب التكملة والحلة السيراء وغيرها كثير، توفي بتونس سنة ثمانية وخمسين وستمائة". الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجايـــة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،ط2، 1980، ص ص 257_260. المقري: أزهار الرياض، تحقيق سعيد أعـــراب ومحمد بن تاويت، إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمـــارات العربية المتحدة، دط، دت، ق4، ص204.

(11)"هو محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي زاهر، كان مؤدبا للقرآن الكريم، مجيد الخط، توفي في طريقه إلى الحـــج بمدينـــة الاسكندرية سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة" ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، المصدر السابق، ج2، ص135.

(12) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، المصدر السابق، ج2، ص635.

الرحمن بن عذرة (ت606هـ/1209م) [1] لأولاده، حيث كتبها إليهم يحضهم فيها على الجد في طلب العلم[2]، ومكاتبة العلماء الذين أشرفوا على تلقين أبنائها العلوم، ولذلك نجد لها مجموعة مكاتبات من أفرادها إلى العالم **عبد الرحمن بن يختلفن القرطبي** (ت627هـ/ 1229م)[3]، يوصونه بأبنائهم الذين شدوا الرحال إليه في طلب العلم[4].

3-أهم أماكن التأديب والتعليم غير المترل:

أما عن مكان تلقي هؤلاء الأبناء العلم، فإن مترل الأسرة هو مكان بعضهم، ومترل المؤدبين عند بعضهم الآخر[5]، والكتاتيب كما يذكر أحد الباحثين والدارسين للحياة الفكرية في الأندلس، أنها قد عرفت فيهدا البلد، وكانت ذات هندسة متميزة عن باقي الأقاليم الإسلامية[6].

و الكتاتيب عند الأندلسيين هي أيضا الأماكن التي يتأدب فيها الطفل في مراحله الأولى على يد المؤدب، وعرفت بهذا اللفظ في إحدى التراجم[7]غير أن الاسم الذي شاع عند الأندلسيين هو الحضار، فقد جاء في ثنايا أمثالهم، في قولهم:« **لا حَوًّا في الدار ولا حَمُّو في الحِضار**»[8]، وقولهم:«**أربعة لا تخلو عن أربعة: حضار عن أمرد...**»[9]، أو بلفظ المحضرة كما ورد في إحدى النوازل[10]، ويمكن أن يكون مصدر تسمية الكتاب بالمحضرة، لحضور التلاميذ إليه، أما لفظ المسيد فهو أيضا أحد الأسماء التي أطلقت على الكتاب، وهو في الأصل مسجد بتحريف بربري

---

(1)" هو عبد الرحمن بن أبي حفص عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن عبد العزيز بن عذرة الأنصاري، من أهل الجزيرة الخضراء، يكنى أبا القاسم، روى عن أبيه وعن غيره، وله شعر كثير، وأخذ عنه الكثير، توفي سنة ست وستمائة". ابن الزبير: المصدر السابق، ق3، ص202. ابن الأبار: المقتضب من تحفة القادم ، المصدر السابق، ص153.

(2) عبد الرحمن بن عذرة: وصية عبد الرحمن بن عذرة لأولاده، جمع وتحقيق محمد بن عزوز، ضمن كتابه أدب الوصية من الأباء للأبناء مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م، ص55_57.

(3)" هو عبد الرحمن بن محمد بن يخلفتن بن أحمد الفازازي، من جبل فازاز بمكناسة، ومنشؤه بمراكش، ويكنى أبا زيد، كان حافظا، ذا معرفة بأصول الفقه، وعلم الكلام، من كبار العلماء في عصره، روى عن أبيه وعن شيوخ كثر،له مصنفات عديدة، منها: "المعشرات الزهدية"، والقصائد في مدح =الرسول صلى الله عليه وسلم، توفي سنة أربع وعشرين وستمائة". ابن عبد الملك: المصدر السابق، تحقيق بنشريفة محمد، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، دط، 1984، س8، ق1، ص542. ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج3، ص517. ابن الأبار: المقتضب من تحفة القادم،المصدر السابق، ص185.

(4) عبد الرحمن بن عذرة وآخرون: مكاتبات بني عذرة لعبد الرحمن بن يخلفتن، جمع وتحقيق محمد بن عزوز، ضمن المرجع السابق، ص187_202.

(5) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، المصدر السابق، ج2، ص857.

(6) بلغيث محمد لمين: الحياة الفكرية في الأندلس في عصر المرابطين، المرجع السابق، ص128.

(7) ابن الأبار: تحفة القادم، المصدر السابق، ص37.

(8) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص119.

(9) المصدر نفسه، ق2، ص460..

(10) الونشريسي: المصدر السابق، ج7، ص105.

تمييزا له عن المسجد المخصص للصلاة، حييث ظهر بهذا اللفظ في الأندلس والمغرب الأقصى[1]، و تمركز في المناطق الريفية بالخصوص[2].

إضافة إلى المترل و الكتاب، هناك من تلقى العلوم بالمسجد، وتكثر الإشارات عن ذلك في كتب الفهارس، و التراجم المختلفة[3]، لكن هناك ضوابط حددها الفقهاء للتعلم في المساجد،فقد نهوا عن تأديب الصبيان فيها حفاظا على قداستها[4]، قصد هنا بالصبيان من كان لا يدرك الصحيح من الخطأ، فعلى الأقل أن يبلغ الصبي سن السابعة مثلما ميز ذلك علماء الطب[5].

و الملاحظ أن المدارس لم تذكر في هذه الدراسة، أخذا بأخبار المؤرخين، حيث ذكروا أن المدارس لم تظهر إلا في عصر متأخر[6]، ورغم أن مؤرخين آخرين ذكروا ظهورها في عصر الموحدين، لكن هذا الأخير أريد به المدارس في عاصمة الدولة الموحدية دون غيرها[7]، فظهور المدارس كان بعيدا عن الأندلس في هذه الفترة،حيث لم تظهر إلا في عصر متأخر[8]

و تبعا للظروف التي كانت تتفاوت فيها الأسر الأندلسية بين فقر وغنى، حرص على العلم واللامبالاة، فقد تميزت حياة الأبناء في تلقيهم العلوم بعدة مظاهر، أهمها:

أن هناك من تيسر له الأمر فهاجر مع أبيه ابتغاء العلم، حيث عرف عن المسلمين فضل الارتحال في طلب العلم [9]، وتكثر الإشارات عن ذلك في كتب التراجم، لكن نكتفي في هذه الدراسة بذكر بعضها فقط ، **كأحمد بن يوسف** (ت615هـ/ 1218م)[10]، الذي رحل مع أبيه صغيرا إلى المشرق،

---

(1) محمد بن تاويت وعفيفي محمد الصادق: الأدب المغربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1969، ص89، 90.

(2) بلغيث محمد الأمين: الحياة الفكرية في الأندلس، المرجع السابق، ص130. ويذكر الدارس أيضا أن المسيد يستخدم أحيانا مصلى لأهل الريف بالأندلس، المرجع نفسه، ص130.

(3) ابن خير: فهرسة ابن خير، تحقيق فرنسشكة قداره و فليان رباره طرغوه، منشورات المكتب التجاري، بيروت، مكتبة المثنى، بغداد، مؤسسة الخانجي، القاهرة، طبعة جديدة، 1893، ص118، 122، 155. ابن عبد الملك: المصدر السابق، س1، ق1، ص، 138، 296، 396.

(4) ابن عبدون: المصدر السابق، ص22.

(5) الخطابي العربي: المرجع السابق، ص 151.

(6) المقري: نفح الطيب، المصدر السبق، ج1، ص221.

(7) ابن الخطيب: نظم الحلل في رقم الدول، ص57.

(8) فيلالي بلقاسم: التعليم والدعوة الموحدية، مذكرة مقدة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف مجاني بوبة، جامعة منتوري، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، السنة الجامعية2003- 2004. ص138.

(9) الأهواني محمد فؤاد: التربية في الإسلام، دار المعارف، مصر، دط، دت، ص39.

(10) "هو أحمد بن يوسف بن عبد اله بن سعيد بن عبد الله بن أبي زمن، يكنى أبا جعفر، ويعر ف بابن عياد، ولد سنة ست وأربعين وخمسمائة، بمدينة بلنسية، أخذ عن أبيه وعن شيوخ بلده مختلف علوم الشريعة، توفي سنة خمس عشرة وستمائة ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، المصدر السابق، ج1، ص96، 97. ابن عبد الملك: المصدر السابق، س1، ق2، ص475.

فطلب العلم بعواصمه ، وأخذ عن شيوخ كثر[1]، **وأبي بكربن العربي**(ت543هـ/1148م) [2]، الـذي رحـل أيضا مع أبيه إلى المشرق، فتلقى العلوم المختلفة بمدنه[3].

وعلى العكس من ذلك، فقد وجد من حرمه وضعه المادي – فقره – من التعلم، ففي المصادر الـتي ترجمت **لابن الزقاق** (ت528هـ/ 1133م)[4]، ورد نص عن ذلك، حيث حرم المترجم له مـن السهر مـع الدراسة لا لشيء وإنما، لأنه يستعمل الزيت للإضاءة، وهم فقراء لا مصدرا ماليا لشراء ذلك، فكـان والـده ينهاه عن إشعال الزيت، لأن لا يد له في توفيره عند انقضائه[5].

و أمر الفقر أوقع أحدهم في إيقاف ابنه عن العلم رغم حرصه الشديد، كما حصل مع **أبي العباس بـن العريف**(536ه/1141م)[6]، حيث إن ترجمته تذكر حينما مستهم الحاجة« فحمله والده إلى حائك ليعلمه، وأبى هو إلا تعلم القرآن، و تعلق الكتب فكان ينهاه و يخوفه، و دار له معه ما كاد أن يتلفه إلى أن تركه»[7].

بينما حرم البعض من العلم ليس لمال أو فقر، وإنما خطأ الوالد في النظر إليه على أنه غير كفء، وعقله لا يليق بالعلم، وكان والده ذا حرفة، فكان يرى في اشتغال ابنه حرفته أحسن له[8]، كما حصل ذلك مـع **أبي الحسن بن لب** (ت نحو539 ه/1144م)[9] .

---

(1) ابن عبد الملك: المصدر السابق، س1، ق1، ص475.

(2)" هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي الإشبيلي المالكي، ولد بإشبيلية سنة ثمان وستين وأربعمائة من قـضاة الاندلس وحفاظ الحديث، له تصانيف كثيرة أهمها "العواصم من القواصم" و"أحكام القرآن" وتوفي بمدينة فاس سنة ثلاث وأربعين وخمسائة". النباهي: المصدر السابق، ص137، 138. الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، مطبعة الدولة التونسية، تونس، ط1، 1872/1289، ص6. ابن عيشون الشراط: الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تحقيق زهراء النظام منشورات كلية الآداب ، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ط1، 1997، ص322، 323. ابن بشكوال: المصدر السابق، ص459، 460. ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب في أعيان المذهب، تحقيق مأمون بـن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996، ص ص376- 378.

(3) المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص27.

(4)" علي بن عطية بن مطرف، أبو الحسن اللخمي البلنسي، المعروف بابن الزقاق، شاعر مشهور، توفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وعمره دون الأربعين". الكتبي: فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بـيروت، دط، دت، ج3، ص47. ابن دحية: المصدر السابق، ص100. المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج4، ص19.

(5) المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج3،ص289.

(6)" هو أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي، أصل أبيه من طنجة، ولد بالمرية يكنى أبا العباس ويعرف بـابن العريـف، روى وسمع شيوخا بلده قصد للإقراء بالمرية ثم ولي الحسبة ببلنسية من أهل الزهد في الأندلس، توفي بمراكش مسموما سنة ست وثلاثين وخمسمائة". ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، دار الكتاب العـربي للطباعـة والنشر، القاهرة، دط، 1967/1387، ص15_19. ابن بشكوال: المصدر السابق، م1، ص81،82. ابن صعد التلمـساني: النجم الثاقب فيما لاولياء الله من مفاخر المناقب، مخطوط الخزانة العامة، الرباط رقم: ك 1292، ظ35و.

(7) ابن الأبار: المعجم، المصدر السابق، ص15.

(8) ابن عبد الملك: المصدر السابق، س5 ، ق1،ص213

(9)"هو علي بن محمد بن لب بن سعيد يكنى أبا الحسن ويعرف بالباغي، من دانيه، وسكن اشبيلية كان مقرئا محـدثا". ابـن الأبـار: التكملة لكتاب الصلة، المصدر السابق، ج3، ص 188،189.

وإذا ألقينا نظرة في الحياة العلمية للمرأة في الأندلس، فليس بغريب في المجتمعات الإسلامية خاصة الأندلسية، حيث حرص الأندلسيون على تعليم الأنثى، فهؤلاء الموحدون مثلا: قد ألزموا بالتعليم للذكر والأنثى على السواء(1)، فكان منهم من اختار لتعليم بناته خصيصا أحد التقاة، والفضلاء من العلماء(2)، على عكس العامة التي كانت تستهزئ بتعليم المرأة، و ترى أنها لا تليق التعليم أو بالتعلم (3).

و لم يكن هدف الأندلسيين من تعلم المرأة إلا تنبيه عقلها، و إنارته، لتعلـق لهـا المسؤوليات المختلفة، خاصة في حياتها الأسرية فيما بعد(4)، و يشرح ذلـك **ابـن سـعيد الأندلـسي المغـربي** (ت685هـ/1286م) أنه إذا كان الذكر يتعلم عند الأندلسيين من أجل العلم، لا لكي يستفيد بعائد مالي، فمن الطبيعي أن الأنثى، و قد تنحت عنها مسؤولية النفقة، أن بقصد بتعليمها نفع نفسها ومجتمعها(5)، فتلقت العلوم عن مختلف الجهات، و الأطراف، عن أبيها، وعن أقاربها، وعن الشيوخ، ونجد ذلك ضمن تراجم النساء المختلفة التي تخصص لها معظم كتب التراجم في آخر الكتـاب(6)، **فمـسعدة بنـت أبي الحسين** (ت593هـ/ 1198م)(7) مثلا، قد أخذت، و روت عن أبيها، و أخيهـا، و زوجهـا(8)، و **أم السعد** (ت640هـ/ 1242م)(9) التي روت أيضا عن أبيها و جدها و غيرهما(10)، و **أم العز بنت محمـد بن علي بن أبي غالب العبدري**(ت610هـ/ 1213م)(11)،التي روت هي الأخرى عن أبيهـا صـحيح البخاري مثلا(12).

---

(1) مجموع رسائل موحدية، تحقيق ليفى بروقسال، المطبعة الاقتصادية، المغرب الأقـصى، دط، 1941، ص131. المنـوني: حـضارة الموحدين، المرجع السابق، ص21.

(2) ابن عبد الملك: المصدر السابق، س5،ق1، ص400.

(3) انظر المثل:" قطر العويدة، تقرا وتفسر"، الزجالي: المصدر السابق،، ق2،ص416.

(4) مكي الطاهر: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1980، ص92.

(5) المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ً220.

(6) ابن الزبير: صلة الصلة، وابن بشكوال، الصلة، وابن عبد الملك: الذيل والتكملة، وابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة.

(7)"هي مسعدة ابنة أبي الحسن علي بن أحمد الأنصاري، كانت من ذوي الذكاء والدين، توفيت بغرناطـة سـنة ثـلاث وتـسعين وخمسمائة". ابن الزبير: المصدر السابق، ق5، ص314.ابن عبد الملك: المصدر السابق، س8، ق2، 492.

(8) ابن الزبير: المصدر السابق،ق5،ص314.

(9) "هي أم السعد بنت عصام الحميري من أهل القرطبة، تعرف بسعدونة كانت أديبة شاعرة، توفيت بمالقة في سنة أربعين وستمائة". ابن الأبار: التكملة، المصدر السابق، ج4، ص264، 265.المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج4، ص166. زينب بنت علي العاملي: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط1، 1316، ص53.

(10) ابن عبد الملك: المصدر السابق، س ـ،ق2، ص492.

(11)"هي أم العز بنت محمد بن علي بن أبي غالب العبدري من أهل دانية، توفيت سنة ست عشرة وستمائة". ابن الأبار: التكملـة، المصدر السابق، ج1،ص263. ابن عبد الملك: المصدر السابق، س8، ق2، ص482.

(12) ابن عبد الملك: المصدر السابق، س8،ق2،ص482.

وأخذت أيضا عن جهـــات أخرى غير أقاربهـــا، كالشيـــوخ، و نذكر هنا إحداهـــن علـــى وجه الاستدلال، وهي **طونة بنت عبد العزيز** (ت506هـــ/ 1112م)[1]، التي قد تعلمت على يد أبـــرز شيوخ عصرها، **كابن عبد البر** (ت463هـــ/1071م)، و**أبي العباس العذري** (ت478هـــ/1085م)[2]،كما تعلمت أخريات عن النساء المعلمات،**كأم العز بنـــت أحمـــد بـــن علـــي بـــن هـــذيل البلنـــسية** (ت636هـــ/1238م)[3].

وقد أتيح لبعضهن، وسنحت لها ظروفها، فلم تحرم من الرحلة العلمية، فتنقلت لأجل ذلك، ورغم قلة المعلومات، إلا أننا ارتأينا أن نأخذ إحدى التراجم، التي توفرت للاستدلال على ذلك، وهي كمـــا يذكر المقري: **فاطمة بنت سعد الخير**(ت600هـــ/ 1203م)، التي قد حظيت بالرحلـــة مـــع أبيهـــا إلى المشرق، و حصلت العلوم على يد شيوخه[4].

4-أهم العلوم وأوليات تلقينها الابن:

أما عن العلوم، و ترتيبها في تلقينها للابن، فقد اهتم بها الكثير من علماء الإسلام، و كان لكـــل رأي فيها، رغم أن عموم الأندلسيين كانت لهم طريقة تميزوا بها، ذكرها ابن خلدون في مقدمته، فقال: «إن أهل الأندلس مذهبهم تعليم القرآن، و الكتاب من حيث هو، و هذا الذي يراعونـــه في التعلـــيم، (...) بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر،(...)و أخذهم بقوانين العربية، و حفظها، و تجويد الخط، والكتاب»[5].

و ينتقد القاضي **ابن العربي** هذا الأسلوب من التعليم، و يرى أن أسلوب أهل المـــشرق أحـــسن وأصوب، « و أنه يجب على الولي في الصبي المسلم أبا كان، أو وصيا، أو حاضنا، أو الإمام ذا عقل، أن يلقنه الإيمان، و يعلمه الكتاب، و الحساب، و يحفظه أشعار العرب العاربة، و يعرفه العوامل في الإعراب، و شيئا من التصريف، ثم يحفظه إذا استقل، و استبد في العشر الثاني كتاب الله، وهو أمر وسط متـــساو

---

(1)"هي طونة بت عبد العزيز بن موسى بن طاهر تكنى أم حبيب، من النساء المتعلمات، ولدت سنة سبع وثلاثين وأربعمائة، وتوفيـــت سنة ست وخمسمائة". ابن الزبير: المصدر السابق، ق5، ص308. ابن بشكوال: المصدر السابق، م2، ص534.

(2) ابن بشكوال: المصدر السابق، م2،ص534.

(3) ابن عبد الملك: المصدر السابق، س8، ق2، ص483.

(4) المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص663.

(5) ابن خلدون: المصدر السابق، ص615. أبو بكر بن العربي: العواصم من القواصم، تحقيق عمار طالبي، دار الثقافة، الدوحـــة، ط1، 1992/1413، ص 367.

Ali Mezahar: *La vie quotidienne des musulmans au moyen age*,Librairie Hachette, 1951,p131

بين أهل المشرق، ثم يحفظ أصول سنن الرسول،(...)،و يأخذ بعد ذلك بعلـــوم القـــرآن، و معـــاني كلماته»[1].

كما أعجب بأسلوب أهل مكة، فعبر عن ذلك في قوله: «و للقوم في التعلم سيرة بديعة، و هـــي أن الصغير منهم إذا عقل، بعثوه إلى المكتب، فإذا عبر المكتب، أخذه بتعليم الخط، و الحساب، و العربية، فإذا حذقه كله، أو حذق منه ما قدر له، فرج إلى المقرئ، فلقنه كتاب الله فحفظ»[2].

ويتضح من هذه الأقوال أن الاختلاف يكمن في تقديم، وتأخير تحفيظ الصبي القرآن، فالأندلسيون يقدمونه قبل كل العلوم، وأهل المشرق يؤخرونه بعد أن يعي الصبي، ويقرأ العلوم التي بها يمكنه فهم القرآن.

وانطلاقا من حرص الأندلسيين على تعليم القرآن فقد ابتدأ بعض التربويين الطفل بعد الحـــضانة والرضاعة بتعلم القرآن، وأضاف إليه فقط أحاديث الأخبار، وقصص الأبرار[3]، ورأى بعض المغاربة أن تعليم القرآن للطفل هو: على وجه ترغيب الوالد في تعليم ولده محاسن الأخلاق في سن لا يملك لنفسه فيها نفعا، ولا ضرا، بل وتعليمه، وتأديبه على الصلاة، والوضوء لها، ليتعلم الألفة على ما هو حـــسن، وصحيح[4]، وهذا الحرص الشديد جعلهم يقدرون حفظه القرآن، فكانوا يحتفلون بـــالابن إذا حفـــظ القرآن وختمه أو جزءا منه، واصطلح على هذه الحفلة بالحدقة، كما ورد في المصادر المختلفة[5].

اتخذ بعض الآباء الأسلوب المتميز في تعليم أبنائهم، فأرادوا توجيههم نحو العلـــوم الـــشرعية[6]، ويتجلى هذا على سبيل التمثيل، فيما يسرده لنا **ابن العربي** عن خطواته العلمية، وكيف برمجها والده منذ صغره حتى سن شبابه، وفي كل ذلك حرص على اختيار المؤدبين، والمواد التي يدرسها حسب تدرجه في السن، فقال:« وقد كان من حسن حظي أن الله قيض لوالدي في طفولتي وفتوتي وشبابي، أن يختـــار لي مؤدبين يعلمونني القرآن حتى حفظته، وأنا ابن تسع سنين، ثم هيأ لي ثلاثة مؤدبين، أولهم: ليكمل معرفتي بالقرآن، والثاني: ليعلمني اللغة، والثالث: ليعلمني الحساب، فلما بلغت السادسة عشر، غـــدوت عالمـــا لعشر من القراءات...»[7]، فيما أراد آخرون توجيههم نحو العلوم الطبية **كابن زهر**، الذي كان « أول طلبه ألزمه أبوه موضعا من داره وبناه عليه و لم يترك منه إلا موضع يدخل منه الطعام والشراب إليـــه،

(1) أبو بكر بن العربي: العواصم من القواصم، المصدر السابق، ص370

(2) أبو بكر بن العربي: أحكام القرآن، تحقيق محمد علي البجاوي، دار إحيـــاء الكتـــب العربيـــة، ط1، 1378/ 1958، ص 1882، 1883

(3) الغزالي أبو حامد: المصدر السابق، م3، ص78.

(4) القابسي: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين، نشرت ضمن كتاب أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، المرجـــع السابق، ص289.

(5) ابن الخطيب: معيار الاختيار في ذكر المعهد والديار، تحقيق محمد شبانة، دط، دت، ص87. ابن قزمان: المصدر السابق، ص62.

(6) ابن عبد الملك: المصدر السابق، س6،ص491.

(7) أبو بكر بن العربي: قانون التأويل، تحقيق محمد السليماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1990، ص ص 69-74.

وأقسم ألا يخرجه منه حتى يستظهر كتاب "حلية البرد" لجالينوس، فلم يمر يوم عليه إلا أمد قليل حتى فرغ من حفظه...» [1]

وفي ذلك كله خصص العلماء للأنثى، وحرصوا على تقييدها العلوم دون الأخرى، فأبعدوا عنها الشعر، وتعلم الخط، ورأوا أن ذلك ليس من مصلحتها [2]، رغم أن الأنثى في الأندلس بصفة عامة، قد أخذت من مختلف المناهل، فحفظت القرآن، وروت الحديث، و تعلمت الفقه، و حفظت، و نظمت الشعر، وحتى الخط كانت تجوده[3].

أما عن التوجيه السلبي، فقد وصلتنا نصوص في كتب التراجم، و تردد ذكرها كثيرا، أخذنا منها نصين لمعالجة ذلك، أحدهما: يشير إلى الذي نشأ على العفة، وكتب الزهد، فلامه والده، وحضه على معاشرة الأدباء، والظرفاء، فجعل منه رجل متهتكا في الخلاعة، بدل أن يكون عفيفا زاهدا[4]، **كأبي بكر ابن الملح** (ت500هـ/ 1106م)[5].

وهذا هو الأسلوب، الذي حذر منه علماء التربية المسلمين، وحرصوا على أن يبعد الابن عن مخالطة الأدباء، لاتسامهم بالظرف، ورقة الطبع، حيث يغرس في نفوسهم بذور الفساد[6]، فكثرة استماع الشعر تأخذ إلى مهاوي الأمور، فيصبح الابن بذلك متهتكا.

أما النص الآخر: فتضمن من كان الآباء موجها لابنه توجيها سلبيا، إلا أنه ليس بقدر سلب الأول، فيشير إلى أن أحدهم أراد التعلم، و نهاه والده، لكن لم يوجهه إلى فساد الأمور، و إنما أراد له حرفة يرتزق منها، و هي الحياكة، و رغم محاولة الأب منعه، إلا أنه لم يرضخ لذلك، حتى خلى سبيله، و في آخر الترجمة، تذكير بأن الوالد قد ندم عن هذا التصرف في آخر حياته[7]، و قال لزائريه: «رأي ابني كان أرشد من رأيي»[8].

و هذا المثال الأخير ليس إلا دليلا على أن بعض الآباء في الأندلس، يسيئون التصرف في توجيه أبنائهم، إلا أنهم لا يريدون لهم إلا خيرا، في الوقت الذي يشير فيه النص الأول أن منهم أساء التصرف، وتعمد ذلك.

(1) أبو بكر بن العربي : العواصم من القواصم، المصدر السابق، ص11. المقري: النفح، المصدر السابق، ج2، ص43.

(2) القابسي: المصدر السابق، ص289.

(3) ابن الزبير: المصدر السابق، ق5، ص313_315.

(4) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، المصدر السابق، ج1، ص384. المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص468.

(5)"هو أبو بكر، فرد من أفراد عصر الطوائف والمرابطين، وهو من بيت أصالة...توفي في شهر رمضان سنة خمسمائة".ابن بسام: المصدر السابق، م2، ص270، 271. ابن سعيد: المغرب، المصدر السابق، ج1، ص383. الفتح بن خاقان: قلائد العقيان، المصدر السابق، ص195، 196.

(6) الغزالي أبو حامد: المصدر السابق، ج1، ص78.

(7) ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، المصدر السابق، ص05.

(8) المصدر نفسه، ص نفسها. والابن هو "ابن العريف" المترجم له سابقا.

واعتبر الأندلسيون التعلم سبيلا للسعادة، أو بمعنى آخر ضرورة من ضروريات الحياة، متمثلا ذلك في حرص الأسر على تعليم أبنائها ذكورا و إناثا، رغم فقر البعض، أو سوء التصرف في التوجيه، لكن بصفة عامة، لاحظنا أن الأسرة الأندلسية، حرصت حرصا شديدا على التحصيل العلمي المفيد لأبنائها، مستغلة في ذلك شتى الطرق، لينهل أبناؤها من شتى المناهل.

و مجمل الدراسة، أن الأسرة الأندلسية، كانت مثالا في الاهتمام بالطفل قبل، و بعـــد ولادتـــه، فرعته، و حضنته، و خصصت له التربية الروحية، وعندها تغذى الأخلاق، وجهته ليتغذى من بحـــور العلم، و يحصلها، و لم تفرق أو تميز في كل ذلك بين الطفل الأول، و الثاني، أو بين الذكر، و الأنثـــى، فقط أرادت به فردا مستقبليا فعالا، خاصة الأنثى صاحبة المهام في الأسرة و المجتمع ، وهذا ما سنراه مع دراسة حياة المرأة كفرد في الأسرة الأندلسية.

المبحث الثاني

مكانة المرأة ودورها في الأسرة

تعتبر المرأة أحد أفراد الأسرة، حيث تكون إما أما أو بنتا أو أختا أو غير ذلك، فتساهم في توجيه الأسرة، وتنظيمها،رغم أنها لا يرد ذكرها إلا مقترنا بالرجل بوصفها قريبية أو خادمة له(1)، ولما كانت كذلك، فقد منحها الإسلام حقوقها، وحدد واجباتها ، وأزال تلك الفوارق التي بينها وبين الرجل إلا بالعمل الصالح(2)، ولأكبر حظ لها أن الرسولﷺ قد أوصى الرجال بها خيرا (3)، وأكثر من ذلك قدرها الإسلام وأعطاها المكانة، و لم ينظر إلى كونها حرة أم أمة، بل نظر إلى دينها وخلقها ودورها (4).

ولهذا قد ارتأينا أن نناقش دور المرأة الأندلسية، ومكانتها حرة كانت أو أمة، فكما كان للمرأة الحرة المكانة والدور، فحتى الأمة لم تكن على منأى من ذلك، حيث إن الأمة تلحق بالحرة خاصة عند الأسر الغنية، ولمراعاة ذلك لا يمكننا دراسة وضعية المرأة، ودورها داخل أسرتها إلا بالوقوف على وضعيتها داخل مجتمعها بالنظر إلى مواقف الشرائح الاجتماعية منها، مثلما يرى بعض الباحثين (5).

وانطلاقا من المصادر، يركز بحثنا على المرأة المسلمة بوحه خاص، والأمة اللاحقة بها حيث إن المعلومات عن النساء الأخريات قليلة ونادرة.

(1) فيغيرا" **أصلح المعالي عن المترلة الاجتماعية لنساء الأندلس**"، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى خضراء الجيوشي، مركز دراسات الوحدة العربية، ج2، ص1002.

(2) فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني(دراسة سياسية وعمراني واجتماعية وثقافية)، دكتوراه دولة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر،1995، ج1، ص289.

(3) «....استوصوا في النساء خيرا فإنما هن عندكم عوان...» الشوكاني: نيل الأوطار، دار الجيل، بيروت، 1973، ج6، ص282.

(4)﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾سورة النساء، الآية:03.

(5) بوتشيش ابراهيم القادري: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص43. Salah: *op*,*Cit*,p38

أولا :مكانة المرأة الأندلسية الحرة ودورها في الأسرة :

1–مكانة المرأة الأندلسية الحرة:

إن دراسة مكانة المرأة في أسرتها متعلق بوضعيتها في مجتمعها لذلك لا بد من دراسة نظرة المجتمع أو الشرائح الاجتماعية إزاءها وفي أي موضع ومكانة وضعت.

أ_نظرة الشرائح الاجتماعية إلى المرأة:

تزخر كتب الأزجال، و الأمثال، وغيرها بمادة طيبة عن نظرة المجتمع إزاء المرأة في الأندلس فأمدتنا بنصوص متعددة تضمنت النظرة السلب والإيجاب، أما النظرة الأولى فتعتبر المرأة مصدر شقاء وهدم في المجتمع، وأن لا خير ولا ثقة فيها،ولو كانت أما، أو أختا، وذلك فيما جاء في أمثالهم: « **لس في النساء خير ولا فمي**»(1)،«**لا تثق ولو كانت أختك**»(2).

ويحذر ابن قزمان منها، ويرى أن الابتعاد عنها أحسن سبيل؛ لأنها غادرة، وغير مؤتمنة ، بل وجردها من كل قيمة إنسانية ، ويجمع هذا في قوله:

النسا كما في علمك   الهروب منهم غنيمة
ليس يرى لواحد منهم   ما بقت في الدنيا قيمة(3).

ثم إنها لا تليق لشيء إلا بالضرب بالعصا، ويلعن كل من يعامل المرأة، أو زوجته بلباقة، فيقول:

«لعن الله من يعامل   لمرا بمت فليقة»(4) .

ويواصل الحديث فيشبه تصرفاتها باليهود، حيث لا عهود لها، ولا مواثيق، فيحذر منها،ويرى خلطتها مفسدة :

لسم النسا على شيئ   لا عهود ولامواثيق
حنه الخلطة معهم   حتى يظفروا بعاشق

---

(1) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص280.

(2) المصدر نفسه، ق2، ص465.

(3) ابن قزمان: المصدر السابق، ص590.

(4) المصدر نفسه، ص562.

فتـــرى بعـــد مـــا لتيـــه وتـــرى مـــن الـــمخارق

وتضيـــق عليـــك الأشـــيا ولا يرحموك في ضيقه[1].

وصل أحد الجغرافيين المعاصرين للفترة إلى تصنيف عقل المرأة، فجاء في كتابـــة :«... وعقـــول العوام أكثر من عقول النساء، وعقول النساء أكثر من عقول الصبيان ...»[2] ، ويريد بهـــذا وضـــعها موضعا يفهم منه استصغاره لها .

وحتى الشريحة السياسية المتعلقة بالمجتمع ليست بعيدة عن ذلك، فكان منها من وقـــف الموقـــف نفسه ، وتذكر مصادر الحسبة أحد الفقهاء الذي اعتبر « الجهل والخطأ في النساء كثير... »[3] ، **وابن رشد الحفيد** (ت 595هـــ/1198م)، الذي اعتبرهن عبئا على الرجل وأنهن سبب الفقر في المجتمعات [4]، ويعود ذلك إلى عدم الاستقرار التي عرفته الفترة، وخروج الرجال إلى ميدان الحرب، وغيابهم طويلا[5]، ويلخص ذلك **ابن قزمان** متأسفا في قوله:« والربض لا شيوخ ولا حجاج وأرامـــل مـــلاح بـــلا أزواج»[6]

و لم تتوقف نظرتهم السلبية إلى هذا الحد ، وإنما تجاوزها إلى العجوز، حيث نظروا إليها نظرة أسوأ من سابقتها، فجاء المثل ليصور ذلك في قولهم : « **إذا ريت العجوز اذكر الله وجوز** »[7]، فلم يرحموها حتى في أرذل العمر ، ووضعوها موضع الشيطان الذي يذكر اسم الله ، والتعوذ منه، لإبعاد شره عـــن النفس البشرية ولعل تشاؤم هذا المجتمع من المرأة هو أن عدد النساء كبير في هذا العصر، كما يقول **ابن رشد الحفيد:**« أنهن يمثلن الأغلب بل مرتين من عدد الرجال، فنتج عن ذلك الفقر في المجتمع» [8].

---

(1) نفسه،ص592.

(2) أبو حامد الغرناطي: تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2003/1423، ص15.

(3) ابن عبدون: المصدر السابق، ص45.

(4) ابن رشد الحفيد: الضروري في السياسة، مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، نقله عن العبرية إلى العربيةشحلان أحمد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، سبتمبر1998. ص125.

Claudio Sancher Albomor: *L'Espagne musulmane*, Traduction Claude Faraggi, OPN, Puplished1985,p280.

(5) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ص 184ـــ 363. ابن الخطيب: أعمال الأعلام. أو تاريخ اسبانيا الإســـلامية، تحقيـــق ليفـــي بروفسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004/1424، ص ص 241ـــ 274.

(6) ابن قزمان: المصدر السابق، ص 138.

(7) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص12.

(8)ابن رشد الحفيد: الضروري في السياسة، المصدر السابق، ص125.

وكانوا بذلك لا يعرفون قيمتها إلا إذا فقدت أو قورنت بالأمة، وفي ذلك تكمن حينئذ نظرة المجتمع الإيجابية فيكون من تزوج حرة أحسن، و أعز ممن تزوج أمة، لقول العامة:« **لس يدر أحد لا مرا قيمه حتى يتخذ مع سوده**»(1)، ومن المؤرخين من وصفها حين وصف المرأة الغرناطية بالأدب ونبل الكلام وحسن المعاشرة، ومحاورة الآخرين (2)، وأن منهم من كان يقدرها بل ويسترد حقوقها، **كالمنصور الموحدي**، الذي «وقف للمرأة، والضعيف، وأخذ لهم الحق»(3).

إضافة إلى من اهتم بوصفها في مظهرها، فكان يرى فيها الجمال الباهر، جعلته ينساق في الحديث عنها بإعجاب، فهذا **ابن قزمان** الذي قد رأى فيها في موضع آخر، أنها غير مؤتمنة، وتتصف بكل صفات القبح، وذلك نقد في تفكيرها وطريقة تعاملها مع الآخرين ، أما عن مظهرها، فقد وصفها بشتى صفات الجمال فقال :

«من رأى مليح بلح هلال
كتفاح بعيني من تحتي الدلال
حواء السمر وأملح من غزال»(4)

فيشبه جمالها بالهلال بنوره عند طلوعه،وكالتفاح في انجذابه، ويضيف إلى ذلك:

«شط بيض   مثل القطون
عين كحل   وحاجب مقرون»(5)

فيصفها بملامحها سواء في لون بشرتها كونها بيضاء كالقطن،أو عيونها السوداء،أو حواجبها الكثيفة المتواصلة.

وابن الخطيب (ت776هـ/1374م)الذي وصفها أيضا بأحسن وصف يمكن أن تنعت به المرأة في جمالها، فجاء في كتابه الإحاطة: «وحريمهم حريم جميل،موصوف بالسحر،وتنعم الجسوم،واسترسال الشعور،ونقاء الثغور،وطيب النشر وخفة الحركات(...)إلا أن الطول يندر فيهن»(6).

ويتمثل هذا الوصف في الجمال الساحر والشعور الطويلة والنظافة الراقية وغير ذلك،إلا أنه يستثني فيها تلك الصفة التي تعتبر من معايير الاختيار في الزواج،و بالضبط المستقبحة، وهي القصر السائد

---

(1) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص 279.

(2) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج1، ص40.

(3) ابن خلكان: المصدر السابق، ج7، ص10. محمود مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزاوي ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت: دط، دت، م1، ص472.

(4) ابن قزمان: المصدر السابق، ص336.

(5) المصدر نفسه، ص نفسها.

(6) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج1، ص40.

فيها،ويظهر في كلامه أنه متأسف بعد إعجاب،وهذا كله دون أن ننسى ما ذكر سابقا أثناء الحديث عن نظرة المجتمع من تزويج الأنثى[1].

وعلى كل وانطلاقا من المادة المتوفرة للدراسة، فرغم تباين نظرة المجتمع بين إيجاب وسلب، إلا أن النظرة بالسلب كانت الأغلب، ولعل ما يفسر ذلك هو أن العامة هي أكبر الشرائح الاجتماعية، إضافة إلى الشرائح الأخرى كالفقهاء .

وعلى حد ما سبق، فأمر المرأة في هذا المجتمع يدعو للتساؤل، فما وضعيتها في مجتمع ينظر إليها هذه النظرة؟

ب–وضعية المرأة في الأسرة والمجتمع:

هناك الكثير من التساؤلات التي تستدعي نفسها لتعرض على المرأة كفرد من أفراد الأسرة والمجتمع ولذلك كيف تعامل هذه المرأة في أسرتها ومجتمعها؟وكيف لها أن تتصرف؟وما مدى حريتها وقيدها في المجتمع الأندلسي؟

وللإجابة على هذه التساؤلات نورد بعض النصوص التي تناقلتها المصادر المختلفة للفترة، خاصة منها الفقه والحسبة، حيث إن المرأة في عصر المرابطين،كانت تتمتع بالحرية فتخرج في مسرات الأسرة وأحزانها، ونستقي ذلك مما نهى عنه **ابن عبدون** من اختلاط النساء بالرجال، ليس لحرمانها من الخروج، وإنما الحرص على فصلها عن الرجل حفاظا عليها، و ما يدل أيضا على خروجها هو الخروج بمفردها لزيارة القبور[2] .

ولحرص المجتمع وحفاظه على المرأة، فقد نهى المحتسبة عن جلوس النساء على ضفة الوادي في فصل الصيف،إذا ظهر الرجال فيه[3]،وعن خلو الحجام بالمرأة في حانوته مثلا[4]، وإن أكبر حرية تمتعت بها كالتي ذكرها **المقري** في نفحه، وهو تعبير عن مشاعرها دون أي حائل[5]، وهذا ما يؤكده بعض الباحثين المعاصرين، حيث إن المرأة وصلت إلى حد البوح بمشاعرها خاصة فيما تنظمه من شعر[6] .

---

(1) عد إلى التمهيد.

(2) ابن عبدون: المصدر السابق، ص 45. حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، مصر،دط، 1980، ص45.

(3) ابن عبدون: المصدر السابق، ص236.

(4) المصدر نفسه، ص نفسها.

(5) المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص192، ج4، ص298.

(6) فيغيرا: المرجع السابق، ص999. المني نعيمة: المرجع السابق، ص77.

ويرى أحد الباحثين أن: « المفهوم الأكثر تحررا المتعلق بوضع المرأة قد انبثق من الجو الذي خلقته العادات المسيحية »[1]، ولكن يرد عليه آخرون بأنه كيف يمكن أن يعتبر التجاور مع المسيحيين مؤثرا في تحرر المرأة الأندلسية، في عصر ساد فيه الظلم وعدم إعطاء حق أو مشاورة للمرأة عند المسيحيين، بما تشير إلى ذلك مدوناتهم [2] .

وحقيقة هل أن مجتمعا كان الرجل فيه تحت رحمة الكنيسة ورجال الإقطاع، أن تكون فيه المرأة حرة؟ فإضافة إلى تلك المدونات، يذكر أحد الباحثين أن« خلال العصور الوسطى كانت العناية بالمرأة الأوربية محدودة جدا تبعا لاتجاه المذهب الكاثوليكي الذي كان يعد المرأة مخلوقا في المرتبة الثانية، وقد حرصت القرون الوسطى أن تحد من سلطة المرأة الأوربية ألا تمنحها، أي لون من النفوذ، فيما عدا المجال الضيق الذي تعيش فيه»[3].

بل هناك من المسيحيين الباحثين الذين أقروا بأن المرأة الأندلسية حقا كانت متحررة دون تأثير مسيحي [4] ،و رأوا أن المرأة المسلمة قد احترمتها أسرتها بل ومجتمعها أيضا ، وأعطاها وسمح لها بالمناقشات العائلية، وهذا كما يرون طبقا لما يقتضيه المثل الأعلى البربري الذي يقوم على احترام الأمومة [5] ، حتى إنه علق عليه بعضهم أنه "لا نظير له وفاقت به المرأة في الأندلس على غيرها" [6] ،فكانت المرأة في عصر المرابطين و عصر الموحدين تتمتع بحرية خاصة انطلاقا من أن كل منها بربريا فكانت فيهم صفات البربري بإعطائه الحرية للمرأة كما أدلى بذلك أحد الباحثين أيضا[7].

وإذا ألقينا نظرة في حجاب المرأة الأندلسية، ففي هذه الفترة، أي عصر المرابطين خاصة أن المرأة كانت سافرة الوجه[8] ، وليس سفورها بالغريب في المجتمع المرابطي _ أي العامة_، حيث إن من

---

(1) فيغيرا: المرجع السابق، ص1000. دندش عصمت: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، المرجع السابق، ص316.

(2) بوتشيش ابراهيم القادري: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المرجع السابق، ص46. بلغيث محمد الامين: دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار التنوير للنشر والتوزيع، ط1، 1426/2006م، ص66.

(3) شلبي أحمد: تاريخ التربية الإسلامية، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، دط،1954، 318، 319.

(4) ليقى بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة عبد العزيز سالم ومحمد صلاح حلمي، مراجعة لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، دط، 1990، ص299. مارية خيسوس روبيرا متي: الأدب الأندلسي، ترجمة وتقديم أشرف علي دعدور، المجلس الأعلى للثقافة،دط، 1999، ص130.

(5) ليفي بروفنسال: المرجع السابق، ص299. Pierre Guichard*: Structures sociales, op,cit,* p57,60

(6) زغريد هونكة: شمس الله تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، مراجعة مارون عيسى الخوري، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط7، 1406/ 1982، ص473.

(7) Pierre Guichard Structures sociales, op,cit:, p60

(8) السفور عند المسلمين في الأندلس لا يعني نزعها حجابها كاملا، وإنما إظهار وجهها. ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص132. ابن الأبار: تحفة القادم، المصدر السابق، ص197. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص354. ابن القطان: المصدر السابق، ص97.

عادات المرابطين كما يذكر المؤرخون هو وضع الرجال اللثام، وعكس ذلك عند النساء[1] ، وجاء على لسان صاحب كتاب "أعز ما يطلب" ذاكرا ومستقبحا ذلك في المرابطين، فيقول:« وكذلك المحسمين يشبهون النساء في تغطية الوجوه والتلثم والتنقب، وتشبه نسائهم بالرجال في الكشف عن الوجوه بلا تلثم ولا تنقب »[2] ،أما عند الأسر الحاكمة فالمرأة كان يفرض عليها الحجاب[3]، وإن دل ذلك على شيء إنما يدل على حرص الأندلسيين على حرمة المرأة، والغيرة عليها، وما يدل مثلا على حرية المرأة في عصر الموحدين هو خروجها للبيع في الأسواق كسوق الغزل مثلا[4].

وبقدر ما حظيت المرأة بالحرية في الأندلس في هذه الفترة، فقد أدى ذلك إلى انحراف بعضهن حيث: « كانت النساء يذهبن بمفردهن بداعي زيارة القبور التي تصبح بذلك أماكن مواعيد ...» [5]، ناهيك عن نساء الحواضر فانحلالهن جعل **ابن عبدون** ينهى النساء عن التحلي بالزينة، بل ونهى الراقصات من كشف رؤوسهن[6].

وقد حافظ المجتمع أيضا وكان غيورا على المرأة، فلم ينهها الفقهاء عن الخروج يوم العيد وإنما نهوا الشباب عن الجلوس في الطرقات؛ لأن في ذلك اعتراضا لها [7]، ونهوا عن تجمع النساء في المقابر ومواضع التنزه ، وبعض الأسواق ومخالطة الفساق[8]، وعن تبرجها بأنواع الزينة وكل أسباب التجمل[9].

وهذا كله ليس قيدا من الفقهاء المرابطين والموحدين، وإنما حفاظا على المرأة من الذئاب البشرية ومنعدمي الضمير ، فحريتها غير مقيدة وإنما هي حرية تحت رعاية المجتمع وأهل الصلاح كالفقهاء .

وقد أزال القضاء الأندلسي كل الفوارق التي بينها وبين الرجال ، فكانت تطبق عليها الأحكام كالرجل ، فيذكر لنا **ابن الحاج** أنه :« نزلت وذلك أن رجلا زوج امرأة ، وعقد نكاحها ، ثم أظهر أنه

---

(1) ابن القطان: المصدر نفسه، ص97. السيد محمود: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، دط، دت، ص112.

(2) المهدي بن تومرت: أعز ما يطلب، تحقيق عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1985، ص97.

(3) ابن المناصف: تنبيه الحكام على مآخذ الأحكام، نشر منصور عبد الحفيظ، دار التركي للنشر، تونس، 1988، ص340. عصمت دنش: أضواء جديدة على المرابطين، المرجع نفسه، ص 163. عبد العزيز عتيق: الادب العربي في الاندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1396/1986. ص144.

(4) ابن المناصف: المصدر السابق، ص340

(5) بيير غيشار: **التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين**، الحضارة العربية في الأندلس، المرجع السابق، ج2، ص 985.

(6) ابن عبدون: المصدر نفسه، ص45.

(7) المصدر نفسه، ص217.

(8) ابن المناصف: المصدر السابق، ص340

(9) المرجع نفسه، ص نفسها.

ليس بولي لها فأجاب على ذلك بأن أدبها بسجنها ...» [1]، إلا أنهم قد أعطوا لها قيمة خاصة ، فحتى وإن طبق عليها حكم السجن ، فلا تسجن مع الرجال حفاظا وتحرزا بالاختلاط مع الرجال حتى عند العقوبة ، وكلف الفقهاء في ذلك امرأة أمينة أو شيخا ورعا تقيا[2].

ولأكبر مكانة حظيت بها كما حللها أحد الباحثين هو اعتزاز الرجال بالانتساب إلى أمهاتهم[3]، وهذا الأخير قد انتشر في الأندلس بصفة واسعة خاصة في فترة الدراسة ، فانتسب القادة والأدباء إلى أمهاتهم **كابن عائشة** (كان قائد في ولاية **يوسف بن تاشفين** (462–500/1069–1106) [4]، **كابن اللبانة** (ت507هـ/1113م)[5]، **وابن القابلة** (ت539هـ/1144م)[6]، **وابن الرومية** (ت637هـ/ 1239) [7]، **ابن غانية**(ت543هـ/1148م) [8].

لكن هناك عدة تساؤلات تبادر أذهاننا حول هذا الانتساب، فهل يعود لاعتزاز الرجال بالانتساب إلى أمهاتهم كما ذكر سابقا؟ أم أن المرأة في هذا العصر تحكمت في زمام الأمور كما يرى آخرون في قولهم: « وتخاذل المرابطون(...) وطاعتهم للنساء»[9] أو استيلائهن على الحكم كما ذكر آخرون:

---

(1) ابن الحاج: المصدر السابق، و66.

(2) ابن عبدون: المصدر السابق، ص17.

(3) بوتشيش ابراهيم القادري: الأندلس والمغرب في عصر المراطين، ص51,52.

(4 هو أبو عبد الله المعروف بابن عائشة صاحب بلنسية، حيث ولاه يوسف بن تاشفين، من القادة الأخيار، لكن في آخر حياته اعتل في بصره الضبي: المصدر السابق، ص54. ابن سعيد: المغرب، المصدر السابق، ج2، ص314. ابن الكردبوس: الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971، ص101. ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، المصدر السابق، ج1، ص34، 25.

(5) هو محمد بن عيسى بن محمد بن أبي بكر اللخمي الأندلسي، المعروف بابن اللبانة له مجموعة من التصانيف لم تصلنا، "مناقل الفتنة" ونظم السلوك في وعظ الملوك... بميورقة سنة سبع وخمسمائة. ابن دحية: المصدر السابق، ص 178. ابن سعيد: المغرب، المصدر السابق، ج2، ص409.

(6) أبو بكر بن محمد بن محمد بن عثمان الشلطيشي يكنى أبا الحسن، يعرف بابن القابلة، كان عالما عارفا بعلم الأصول، رحل حاجا والتقى الكثير من العلماء وأخذ عنهم العلم ثم عاد إلى قرطبة ومنها كان الانتقال حتى توفي بمراكش سنة 565هـ ابن سعيد: المغرب، المصدر السابق، ج1، ص352. ابن الزبير: المصدر السابق، ق4، ص103,104.

(7) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج النباتي المعروف بابن الرومية ولد سنة إحدى وستين وخمسائة من أهل اشبيلية، من علمائها الكبار في علم النبات والادوية خرج من الأندلس حاجا وفي طريقه مر بمصر ثم الحجاز ثم عاد إلى المغرب ثم بلده، له عدة تصانيف أهمها، تفسير أسماء الادوية المفردة، وتوفي سنة سبع وثلاثين وستمائة . ابن الأبار: التكملة: المصدر السابق، ج1، ص107. ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج1، ص538.

(8)" هو يحيى بن علي بن يوسف المسوفي المعروف بابن غانية أول من ولي بالأندلس من بني غانية ولد بقرطبة وشب في مراكش، كان صالحا عارفا بالفقه ولي مدينة بلنسية ثم قرطبة وخاض معارك مع الإفرنج، وظل مواليا للمرابطين أيام ظهور الموحدين توفي بغرناطة سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة". . ابن عذاري: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص32،33.

(9) المني نعيمة: المرجع السابق، ص84.

«واستولى النساء على الأحوال وأسندت إليهن الأمور »[1] أم لانتماء أمهاتهم إلى الطبقة السياسية أم أن غياب الرجل، وانشغاله بالحروب، جعل المرأة مسؤولة في الأسرة والمجتمع؟ أم أن هؤلاء الأبناء يتامى منذ صغرهم؟ أم لاشتغال المرأة بحرفة أو عمل معين ومع طول المدة عرفت بذلك فانتسب إليها أبناؤها؟ أم أن هناك خشية اختلاط الأنساب حيث إن هناك مثلا اثنين لهما اسم الأب نفسه والجد وحتى المكـــان، فاختير الانتساب إلى الأم للتفرقة بين الاثنين؟

لكن هذه التساؤلات لم نجدلها إجابات إلا ما قد صرحت بها بعض المصادر مثلا **ابن اللبانة** قـــد صرحت ترجمته أن أمه كانت تبيع اللبن [2] **وابن الرومية** الذي أطلقت عليه هذه النسبة لكـــون أمـــه أعجميه[3] **وابن غانية** الذي اشتهر بنسبه إلى أمه لأنها من قريبات **يوسف بن تاشفين**[4].

ومن كل هذا يمكن أن نقول بأن هناك تناقضا بين نظرة المجتمع إلى المرأة وصفتها بكل صـــفات الشر والقبح والجهل، وبين احترام هذا المجتمع لها والحفاظ والغيرة عليها، وكل ما يفسر أن المرأة قـــد حظيت بمكانة متميزة في الأندلس أسرة ومجتمعا.

2–دور المرأة الحرة:

انطلاقا من وضعية المرأة الأندلسية التي اتسمت بالتقدير والاحترام ، والمكانة الرفيعة في أســـرتها ومجتمعها فيمكن لهذه المرأة أن يكون لها الدور إلى جانب أفراد الأسرة والمجتمع، في شتى المجالات وعلى معظم الأصعدة داخل أسرتها وفي مجتمعها سواء منه الاجتماعية أو السياسية أو الفكرية أو الاقتصادية.

أ–الدور الاجتماعي:

لقد وردت في المصادر إشارات كثيرة عن دور المرأة في أسرتها ومجتمعها، وبصفة خاصة كتـــب الفقه:

ففي أسرتها: عموما المرأة تقوم بأشغال متعددة، ومادام ذكرها يرد مقترنا بالرجل ، فمثلما كانت للرجل مهام خارج الأسرة فالمرأة لها من المهام ما تقابل مهام الرجل حيث تقوم بأشغال البيت .

---

(1) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، دط، دت، ص154.

(2) ابن سعيد: المغرب، المصدر السابق، ج1، ص352.

(3) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج1، ص538.

(4) الزركلي خير الدين: الأعلام، القاهرة، ط3، 1376/ 1956، ج8، ص158،159.

فتقوم المرأة في الأسرة الأندلسية عموما بالأشغال داخل البيت بتدبير شؤون الأولاد والتنظيف [1]، أو حتى مساعدة زوجها في توفير مصدر عيش الأبناء [2]، غير أن المرأة في الأسر المترفة ما كانت تقوم بهذه الأشغال حيث تتولاها الخادمة [3].

وأعمال المرأة في مترلها قد حصرها ابن رشد الحفيد في الإنجاب وتكثير النسل وخدمة الأزواج ورعاية الأطفال والرضاعة ، وأنها لا تصلح للعمل خارج المترل [4] .

وفي مجتمعها: ما نستشفه من المصادر هو أن المرأة كان لها دور في مجتمعها، فنجدها أعانت أحد أقربائها فأشركته في مالها: «وتصدقت عليه بشقص[5] لها في مجشر»[6]، وتصدقت بإعانات للمساكين،وذلك أنها: « أوصت بمرضها بإخراج ثلثها للمساكين»[7]، وأن: « بعض زوجات أمراء قرطبة حلفت في شي بصدقة ثلث مالها للمساكين»[8]،كما أن الحرة **حواء بنت تاشفين** عندما توفي زوجها أمرت بإخراج ثلث مالها على المساكين وحررت العبيد[9].

ومن كل ما تقدم يتضح أن المرأة الأندلسية قد برزت بأشغالها داخل أسرتها ثم أضافت إلى ذلك مشاركتها في الحياة العامة في مجتمعها، وما الأشغال إلا دور من أدوار المرأة كفرد داخل أسرتها ومجتمعها.

ب–الدور الاقتصادي:

إضافة إلى أن المرأة كان لها دور فعال في أسرتها حيث تقوم بأشغال البيت ، فقدت تعدت ذلك إلى أن كانت ذات دور في اقتصاد الأسرة أو المجتمع.

---

(1) عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، المرجع نفسه، ص317. Salah:*OP,Cit*, p39

(2) ابن سعيد: المغرب، المصدر السابق، ج2، ص409. الضبي: المصدر نفسه، ص78،110.

(3)Claudio:*OP,Cit*, p280

(4) فيغيرا: المرجع السابق، ص1001. Claudio:*OP,Cit*, p280

(5)" الشقص والشقيص: الطائفة من الشيء والقطعة من الأرض". ابن منظور: المصدر السابق،ج7، ص48.

(6) الونشريسي: المصدر السابق، ج9، ص166.

(7) ابن رشد: المصدر السابق، ج2، ص1043. الونشريسي المصدر السابق، ج6، ص498، 499. محمد بن عياض: مذاهب الحكام، المصدر السابق، ص190

(8) الونشريسي: المصدر السابق، ج9، ص166.

(9) الأهواني عبد العزيز: "مسائل ابن رشد" مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد 4، ج1، ماي1958، شوال 1377، ص75.

ولذلك فقد أوردت كتب الفتاوى نصوصا في غاية الأهمية، أشارت إلى أن المرأة كانت صـــاحبة أموال كثيرة تتصرف فيها كيف شاءت[1]، فصرفتها في أن أمتعت زوجها منها[2]، أو أنها تصدقت بجزء من مالها على أحد أقربائها[3]، وبهذا فقد شاركت زوجها وعائلتها بمالها.

وكانت أيضا مالكة لعقارات وأراض[4]، وكان لها النصيب في ملكية المعادن[5]، ولم تتوقف عند هذا الحد، وإنما كانت تعقد البيوع كما ذكر في نازلة خوطب بها **ابن رشد الجد** في مدينة بلنـــسية[6]، تضمنت عقد مبايعة بين امرأتين في ملك[7]، وكانت أيضا تشرك الرجال في أملاكها[8]، وأجـــاز لهـــا الفقهاء البيع حتى وإن كانت بكرا في حالة الحاجة، **كالقاضي ابن بشتغير** (ت516هـــ/1112)[9]، الذي قال: «إذا باعت البكر فشهدت أن بيعها كان لحاجة وفاقة... فالبيع تام ...»[10].

ثم إن المرأة ولأجل أسرتها، وعيش أبنائها كانت تشرك زوجها ببعض الأعمال الاقتصادية سواء داخل الأسرة خاصة في القرى، حيث تذكر لنا إحدى النوازل أن المرأة كانت تقوم بعملية غزل الكتان ونسجه، وعمل الأصواف أيضا[11]، أضف إلى ذلك ما تقوم به من تربية لدود الحرير وعمل الـــصفية، وخدمة الزرع[12]، ثم تقوم بالتجارة بذلك الغزل من القطـــن والكتـــان فتكبـــه، وتقـــوم ببيعـــه في الأسواق[13]، ودائما تقف المرأة مع الرجل لتوفير مصدر العيش للأبناء، فهذا ابن اللبانة يروي فيما نقله ابن سعيد أن أمه كانت تبيع اللبن لأجل حياة أبنائها[14].

---

(1) الونشريسي: المصدر السابق، ج9، ص166.

(2) ابن جزي: المصدر السابق، ص140.

(3) الونشريسي: المصدر السابق، ج9، ص166.

(4) المصدر نفسه، ج9، ص166. ابن الحاج: المصدر السابق، و106.

(5) عز الدين عمر موسى: المرجع السابق، ص213.

(6) " مدينة بشرق الاندلس، سهلية على نهر جار كثيرة الفواكه والثمار عرفت بمدينة التراب لحسنها وجمالهـــا وكثـــرة مواردهـــا". الرشاطي وابن خراط: المصدر السابق، ص45،118. الحميري: المصدر السابق، ص97.

(7) ابن رشد: فتاوى ابن رشد، المصدر السابق، ج2، ص1071.

(8) البرزلي: المصدر السابق، ج3، ص429.

(9) " هو أحمد بن سعيد بن خالد بن بشتغير اللخمي: من أهل لورقة، يكنى أبا جعفر، كان واسع الرواية، توفي سنة ست عشرة وخمسمائة". ابن الأبار: المعجم، المصدر السابق، ص6. القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص68. ابن بشكوال: المصدر السابق، ص78.

(10) ابن بشتغير: المصدر السابق، و33.

(11) ابن الحاج: المصدر السابق، و80.

(12) المصدر نفسه، ص نفسها.

(13) ابن عبدون: المصدر السابق، ص247. المنوني وآخرون: التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، شركة النشر والتوزيع المـــدارس، الدار البيضاء، ط1، 1412/ 1991، ص202.

(14) ابن سعيد: المغرب، المصدر السابق، ج2، ص409.

ويستفاد من هذا أن المرأة قد وقفت مع الرجل خاصة زوجها في توفير المصدر المالي للأسرة بامتلاكها الأملاك والأموال، أو بمشاركتها في الصناعة أو خروجها للبيع في الأسواق.

جـ–مساهمة المرأة في الحياة الفكرية:

لقد اهتم الأندلسيون كما ذكرنا آنفا، بتعليم المرأة لتنبيه عقلها وإنارته بل إفادة نفسها ومجتمعها، وحرصوا على ذلك فجعلوا منها أستاذة معلمة أو أدبية نافذة أو طبيبة، واشتهرت الكثيرات في شتى المجالات فمنهن الأستاذة **حفصة بنت الحاج** (ت586هـ/ 1190م) التي كانت من الأديبات الشهيرات في عصرها والتي أصبحت مدرسة النساء في عصرها، وقد ورد ذكرها في عدة مواضع[1]، ففي إحدى تراجمها: « كانت أديبة نبيلة جيدة الشعر (...)وكانت أستاذة، انتهت إلى أن علمت النساء في دار **المنصور**... »[2].

وأختا الحفيد **أبي بكر بن زهر** اللتان كانتا عالمتين بالطب فأفادتا به النساء حيث كانت« لهما خبرة جيدة بمداواة النساء، وكانت تدخلان إلى نساء **المنصور** » [3].

و لم ينته علم المرأة إلى هذا بل كانت معلمة الرجال، فجلسوا إليها آخذين العلم عنها، فكانت **الحرة تاج النساء بنت رستم أخت زاهر** قد كتب عنها أخوها[4]، **وأم العفاف نزهة بنت الحسين** أيضا والتي شد الرجال إليها الرحال[5].

وتركت لمجتمعها ذخرا فكريا مكتوبا لم تصلنا منه غير الإشارات عنها أثناء الترجمات لتلك النساء فكانت: «**فاطمة بنت زكرياء** كاتبة تكتب الكتب الطوال »[6]، **وأمة الرحمن** التي ألفت كتابا في القبور والمحتضرين[7].

واستغلت علمها حتى في معاملاتها، فكانت بنظمها للشعر تخفف آلام أسرتها فتذكر لنا ترجمة **أم الهناء**[8] مثلا: « لما ولي أبوها قضاء المرية دخل داره وعيناه تذرفان وجدا لمفارقه وطنه، فأنشدته بارتجال مجموعة أبيات أرادت منها التخفيف عنه[9].

ومن هذا القليل يمكن أن نستفيد بأن المرأة قد ساهمت حقا في ذخر المجتمع الفكري، وأكثر من ذلك استغلت ذخرها لتشارك أسرتها في سرائها وضرائها.

---

(1) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، مراجعة دائرة المعارف، مطبعة دار المأمون، دط، دت، ج3، ص228. الزركشي: المصدر السابق، ص7. ابن الزبير: المصدر السابق، ق5، ص313.

(2) ابن الزبير: المصدر نفسه، ص نفسها.

(3) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج2، ص113.

(4) ابن عبد الملك: المصدر السابق، س1، ق1، ص309.

(5) المصدر نفسه، س1، ق2، ص654.

(6) ابن بشكوال: المصدر السابق، م2، ص533.

(7) ابن الزبير: المصدر السابق، ق5، ص312.

(8) "هي أم الهناء ابنة القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية من أهل العلم والفهم كان أبوها قاضي المرية". زينب بنت علي العاملي: المصدر السابق، ص54. المقري: النفح، المصدر السابق، ج4، ص292. ابن الأبار: التكملة، المصدر السابق، ج4، ص248.

(9) المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج4، ص292. قالت في هذه المناسبة:

يعين صار الدمع عندك عادة   تبكين في فرح وفي الأحزان

د–مشاركة المرأة في الحياة السياسية:

لم تكن المرأة مشاركة في الحياة الاجتماعية فقط، وإنما في العائلة الحاكمة وقد كانت لها مشاركة سياسية، ورغم أن المادة عن ذلك قليل؛ إلا إن باقتران المرأة بالرجل يمكن معرفة الكثير عن المـــرأة في حياتها السياسية خاصة في عصر المرابطين حيث نجد المادة مصرحا بها في مصادر الفترة أو بعدها، وعلى حد تعبير أحد الباحثين أن المرأة قد اجتاحت كل الميادين حتى الخاصة بالرجال[1].

فجاء في بعض المصادر الموحدية استيلاؤها على الحكم وتحكمها في زمام الأمـــور[2]، إلا أن في القول مبالغة لأن ذاكر الخبر مؤرخ يكتب عن حكم المرابطين بمنظار موحدي فالمرأة حقيقة قد شاركت في الحكم، إلا أنها لم تكن الحاكم أو المدير على كل الأمور،فكان لها الكتاب[3] والسلطة في عزل القضاة وتعيينهم بل توسطت إحداهن لأحد القضاة من أجل رده إلى منصبه كان قد عزل منه [4]،وقد ذكـــر **القاضي عياض**(544هـــ/1149م)أن أحدهم قد امتحن على يد **زينب** زوجة الأمير **يوسف بن تاشـــفين** وقيد أليها مكبلا[5]، وقد لعبت بها الغيرة أيضا عندما مدح القاضي **ابن مخلـــوف** ، **الحـــرة حـــواء** ، ووصفها بالجمال وفضلها على سائر النساء، فأمرت بعزله، فجاءها القاضي مستعطفا حتى سمحت لـــه بمقابلتها فمدحها ارتجالا في أبيات كانت سببا في رده إلى منصبه[6] .

وانطلاقا من هذا الأخير، فقد نتج عن التغني بفضائل المرأة ما عرف بأدب المرأة، حيث كانـــت المرأة تفيض الشعراء بالعطايا لنظمهم فيها[7]، فمثلا **ابن خفاجة** قد كتب مستشفعا مادحا الأميرة **مريم بنت أبي بكر بن تفلويت** قصيدة طويلة، فنفذت عهده بأنواع العطايا والأموال[8].

---

(1) جودت مدلج: الحب في الأنـــدلس، دراســـات العـــرب، بـــيروت، ط1، 1405/ 1985، ص117. Manuela Marin: *Individio y sociedad en al_Andalus*, Spain,Espasa, Pinted, 1992,p189

(2) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 154.

(3) ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج3، ص532.

(4) بوتشيش: القادري الإسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر، القاهرة، ط1، ص1995، ص231.

(5) القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج8، ص168

(6) دندش عصمت: أضواء جديدة على المرابطين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991، ص169،170. قال هذا القاضـــي في هذه الأميرة:

أنت بالشمس لاحقة   وهي بالأرض لاصقة
فمتى ما مدحـــــتها   فهي من سير طالقة

(7) ا بوتشيش لقادري: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المرجع السابق، ص49.

(8) ابن خفاجة: المصدر السابق، ص96_98.

وفي عصر الموحدين تنقل المصادرخبر إحدى النساء وهي **زرقاء المردنيشية**(1) زوجة **يوسف بن عبد المؤمن**، والتي أشارت على زوجها بتعيين بعض قرابالها في بعض المناصب(2).

و أكثر من ذلك شاركت المرأة الرجل في ميدان المعارك(3)، و كانت أكثر استبسالا كما ساهمت بأموالها في فك رقاب الأسرى (4).

وكانت بعلمها وورعها وأمانتها عونا للقاضي، فيؤكد **ابن عبدون** أنه: « يجب أن يسجن القاضي من وجب عليها السجن في حكم من الأحكام عند امرأة قابلة، قد عرف القاضي فضلها ...»(5).

رغم أننا اختصرنا الحديث عن هذا الجزء إلا أنه يظهر جليا من خلال تقديمنا لبعض النقاط أن المرأة استطاعت بنباهة عقلها أن تشارك زوجها حتى وهو حاكم فكانت مستشارا ومعينا له.

ثانيا :مكانة المرأة الأمة ودورها في الأسرة :

إن الحديث عن الأمة متعلق بالحديث عن الأسر التي تكون فيها المرأة في حاجة تامة للخادمة التي تساعدها بل وتحيطها الرعاية فكانت الجواري في هذه الأسر مقسم إلى صنفين إما جواري خدمة وإما جواري أداء(6)، وهذا للتفرقة بين من كانت ذات قيمة حتى أصبحت أم ولد فيما بعد، وبين من يؤتى بها لأجل أشغال المترل فقط.

1-مكانة المرأة الأمة:

هناك تصنيف في كتب الحسبة يعتمد الأقاليم التي تنسب إليها الإماء وفيما تصلح أن تشتغل، فصنفها **السقطي** مثلا بين: «الخادم البربرية اللذة، والرومية لحيطة المال والخزانة والتركية لإنجاب الولد، والزنجية للرضاع والمدنية للشكل والعربية للطرب ...» (7) .

ثم أردف مرتبا حسب مهامهن ومصنفا ذلك في أن: « البربريات أطبع خلق الله على الطاعة، وأنشطهن للعمل وأصلحهن للتوليد، وأحسنهن للولد وبعدهن اليمنيات ويشبهن العرب، والنوبة أكثر الخلق إذعانا للموالي، وكأنما فطروا على العبودية، وفيهم السرقة وقلة الأمانة والهنديات لا يصبرن على

---

(1) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص271. بنعبد الله عبد العزيز: معجم أعلام النساء بالمغرب الاقصى، المكتب الدائم لتنسيق التعريف في العالم العربي، جامعة الدول العربية، ، مطبعة فضالة، المحمدية،دط، 1970، ص14

(2) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص361.

(3) شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية، دار الكتاب الإسلامي القاهرة، دط، دت، ج3، ص9.

(4) ابن عبد الملك: المصدر السابق، س8، ق2، ص487.

(5) ابن عبدون: المصدر السابق، ص17.

(6)Salah: op,cit, p14

(7) السقطي: المصدر السابق، ص49.

الذل،ويرتكبن العظائم، ويسهل عليهن الموت، والزنجيات أشد خلق الله، وأجلدهن على الكـــد(...)، وفي الأرمينيات الحسن والبخل وقلة الانقياد... »[1].

فمن القول نستشف أن الأمة البربرية وبعدها السودانية هن أحسن الإماء حيث يتسمن بالطاعـــة والعمل وإنجاب الولد وإرضاعه وكلها أشغال مترلية وهناك قول آخر يؤكد على إماء الخدمة وهو لأحد جغرافي العصر في قوله: « وسائر السود ينتفع بهم في الخدمة والعمل ...»[2].

ومن كل هذا يستفاد أن الخادمة أو الأمة إما أن تكون لإنجاب الولد أو لرعايته أو للقيام بأشغال البيت أو للغناء والرقص، فكن مقربات من أسيادهن حتى أصبحن أمهات أولاد حيث يقر لها ســيدها بذلك[3]، كما فعل الأمير المرابطي **يوسف ابن تاشفين** (حكم462ــ1069/500ــ 1106)، حيــث رزق من جارية له تدعى "**ضوء الصباح**" بابنه "**تاشفين**"[4]، ومن جاريته الرومية التي تدعى "**قمــر**" بابنــة "**سير**"[5] .

ولمكانة الأمة وقربها من سيدها فقد ابتاع أحدهم لجاريته الرومية خمرا لأنها تحبذه، مع علمه بحرمــة ذلك ومدى حظورته عليه أمام القاضي، إلا أنه آثرها على نفسه[6].

واهتمت الأسرة بالأمة بتشجيعها على التعلم، **كالعلياء البلنسية**، التي كانت مملوكة لأحد الأعيان فاهتم بها وأدبها وعلمها، ففاقت بنات جنسها، فكانت أديبة شاعرة[7].

وهذا بمعنى إن الأمة لم تكن لأشغال البيت فقط، وإنما قد اهتمت بها الأسرة وأعطتها مكانتــها واعتبرتها فردا من أفر ادها، فوجهتها مثلا إلى التعلم.

2–دور المرأة الأمة:

تقوم الأمة بعدة أشغال وأدوار في الأسرة اللاحقة بها، أو حتى بمجتمعها، ولذلك فإنها تقوم بكل أمور الخدمة المترلية من عجن، وطبخ، وكنس، وعمل السرير، واستقاء الماء، وغسل الثياب[8]، كمــا

---

(1) المصدر نفسه، ص50.

(2) أبو حامد الغرناطي: المصدر السابق، ص18.

(3) محمد بن عياض: مذاهب الحكام، المصدر السابق، ص271.

(4) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص165.

(5) ابن القطان: المصدر السابق، ص245.

(6) ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص93،94.

(7) ابن الزبير: المصدر السابق، ق5، ص311.

(8) بنمليح عبد الإله: ظاهرة الرق في الغرب الإسلامي، منشورات الزمن، الرباط، 2002، ص26.

كان لابن قزمان جارية سوداء تدعى زاد المال تولت شؤون منزله، ذكرهـا في عـدة مواضـع مـن أزجاله[1].

واشتهرت الإماء بأنواع الطبخ كالسودانيات اللواتي كن يتقن صنع أصناف الحلوى و الأطعمـة الطيبة[2]، ولعلمهن بصناعة الهريسة مثلا، نسب إلى حرفتهن سيدهن لاشتهار جواريه وخدمه بصنع هذا النوع من الطعام، فأصبح يدعى **أبو الحسن الكيا الهراسي**(505ه/1110م)[3].

وقامت الخادمة بأعمال أخرى تدخل ضمن رعاية الأسرة كالتمريض، فأمير بلنسية مثلا أرسـل خادمته لتمريض أحد المحدثين المقربين منه[4] بمدينة دانية [5]، وتولت أيضا استـقبال الزائـر حـتى في الليل[6]، وتعدى عملها داخل البيت إلى خارجه حتى أنها تقضي حاجات الأسرة من السوق[7].

وكل هذا لم يمنع من مشاركتها في اقتصاد الأسرة والمجتمع، كما يشير أحد المـؤرخين بزيـادة الإنتاج في عصر الموحدين حيث «كثر عند الناس الخدم وامتدت النعم»[8]، وساهمت بقيامهـا بعمـل الغزل وبسط الصوف[9].

وقد شاركت في الحياة الفكرية فكانت أديبة شاعرة[10]، وملقنة معلمة أخذ عنها الرجال كـالتي أخذ عنها سيدها ضبط أسماء الأدوية[11]، واشتهرت البعض منهن بالغناء والرقص إلا أن المعلومات عن هذا نادرة إلا ما ورد في عصر متقدم كعصر الخلافة الأموية في الأندلس[12].

(1) ابن قزمان: المصدر السابق، ص138،139. الأهواني: الزجل في الأندلس، المرجع السابق، ص71.

(2) البكري: المصدر السابق، ص58.

(3) ابن عبد الملك: المصدر السابق، س5،ق2، ص583،584. وسئل أحد تلاميذه عن معنى هذا اللفظ فقال معنى الكيا: الحبر، وكـان لأبيه عبيد يعملون الهريسة فنسب إلى ذلك.

(4) ابن الأبار: المعجم، المصدر السابق، ص133.

(5)" مدينة بشرق الاندلس على ساحل البحر وحواليها سبخة من اهم ميزاتها الشجر الكثيف بالتين والكـروم" الحمـيري: المـصدر السابق، ص231، 232. العذري: المصدر السابق، ص19.

(6) ابن قزمان: المصدر السابق، ص138،139. الأهواني: الزجل في الأندلس، المرجع السابق، ص71.

(7) المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص218.

(8) ابن عذاري: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص145.

(9) ابن قزمان: المصدر السابق، ص134. الأهواني عبد العزيز: الزجل في الأندلس، المرجع السابق، ص71.

(10) ابن الزبير: المصدر السابق، ق5، ص311.

(11) ابن عبد الملك: المصدر السابق، س1،ق1نص239.

(12) المقري:نفح الطيب، ج3، ص140

ولمكانة الأمة عند سيدها فقد أصبحت من المقربات واعتلت الرتب حتى أصبحت لها واجهة واضحة في الحياة السياسية كالجارية **"قمر"** التي لعبت دورا سياسيا كبيرا في إمرة **"علي بن يوسف بن تاشفين"**، واستطاعت إقناعه بولاية عهد لابنها "سير"(1) .

ومن هذه الإشارات القليلة والنادرة حاولنا إلقاء نظرة على الأمة وحياتها في الأسرة الأندلسية في فترة من فترات حكم المسلمين في الأندلس.

ومن جملة ما تقدم، فإن المرأة الأندلسية في عصر المرابطين والموحدين، قد تمتعت بمكانة مرموقة في أسرتها ومجتمعها، رغم نظرتهم إليها بعين التشاؤم والاستقباح، ولعل ذلك كثرة عدد النساء في هذا العصر كما رأينا ذلك في بعض المصادر، وكانت بمثابة ركيزة من ركائز الأسرة، حيث تحملت أعباء الأسرة داخل البيت وتعدت بذلك إلى مجتمعها، فكانت مساعدة للأقارب ومطعمة للمساكين، ووقفت جنبا إلى جنب الرجل في توفير ماديات الأسرة، فاشتغلت الصناعة بل وتاجرت، ثم إنها ساهمت بعلمها فكانت معلمة أستاذة ، وصاحبة تآليف، وناظمة شعر ...إلخ ، وصلت إلى استشارتها في الأمور السياسية والأخذ برأيها، وهذا كله يعود تفسيره إلى أن المرأة الأندلسية قد كانت فردا فعالا في مجتمعها وبصورة خاصة في أسرتها، فكونت مع الرجل والأبناء كلا متكاملا للأسرة.

---

(1) ابن القطان: المصدر السابق، ص104. دندش عصمت: أضواء جديدة على المرابطين، المرجع السابق، ص175_182. بنعبد الله عبد العزيز: المرجع السابق، ص22.

المبحث الثالث
الروابط والمشكلات الأسرية

إن استمرار حياة الأسرة في المجتمع، متعلق بتعامل أفرادها المستمر، حيث تربطهم روابط عديدة كالنسب والقرابة،إضافة إلى التعاون، والإفادة، والخدمة، وحسن الجوار، فيكمل الواحد منهم الآخر، إلا أن هناك ما يعكر صفو هذه العلاقات من حين لآخر، فسوء التفاهم في معظم الحالات يسبب خلافات، ومشكلات بينهم.

وهذا كل ما تعيشه كل الأسر، ومنها الأسرة الأندلسية، التي سيعرفنا البحث، كيف كان يتعايش أفرادها وكيف توطدت العلاقات بينهم، ثم ما هي أهم النقاط التي تجعل من التفاهم سوءا يصل أحيانا لحد النزاع، وكيف كانت الأسرة الأندلسية تعالج، أو تتفادى هذه النزاعات.

أولا :الروابط الأسرية :

أهم مظهر يمكن أن تعرف بها الأسرة أنها متكاملة فيما بينها أم لا، هو تعامل أفرادها وتعايشهم فيما بينهم، ولذلك فقد بدأنا بهذه العلاقة، حيث إن الأسرة الواحدة هي مثال عن الكثير من أسر المجتمع الواحد، وتختلف العلاقة بين أفراد الأسرة بين علاقة الزوج بزوجته، وعلاقة الزوجين بالأبناء، ثم علاقة الإخوة فيما بينهم.

1–علاقة الزوج بالزوجة (العلاقة الزوجية):

لقد حرص الدين الإسلامي على احترام المرأة وإعطائها حقها، وحث على ذلك في مواضع عدة من القرآن الكريم، والحديث الشريف -ذكرت سابقا – فكانت المرأة في المجتمعات الإسلامية تحظى بالاحترام والتقدير في أسرتها ومجتمعها.

إلا أن هناك من كان يظن أن المعاملة الحسنة مع المرأة غير لائقة فالضرب هو أحسن أسلوب يصلح للتعامل معها (1)ولعل عدم نجاح حياته الزوجية(2)، وانتهائها بالطلاق، قد رسخت عنده هذه الفكرة ، فأصبح لا يرى في المرأة إلا الغدر، ويلعن من يعاملها معاملة إنسانية.

تعتبر العامة تعاون الزوجين على أمر معين،واستشارة الزوج لزوجته، وطاعتها في بعض المواقف ضعفا منه وإهانة له، فحثوا على عدم استشارتها، وعدم الأخد برأيها بل والتعامل معها بكل أساليب

---

(1) ابن قزمان: المصدر السابق، ص562.

(2) المصدر نفسه، ص126,154.

الشدة فقالوا:« **طاعة النساء أفن، وابتاعهن وهن** »[1] وقولهم هذا لابد أن له سببا، ولعله يكون صادرا من معايشتهم الرجال الذين كانوا يحترمون نساءهم ويأخذون برأيهن، ويطيعونهن، بل منهم من فقد حقيقة شخصيته الرجولية أي لم يعد له أي قرار في الأسرة أو حتى في المجتمع ،إلا أن هذا الأخير لا يعني أن المرأة هي صاحبة القرار، وإنما هذه حالة من الحالات، فالعموم هو مبدأ العصمة التي منحها الإسلام للرجل لكن بقدر ما منحه العصمة أوصاه بالمرأة خيرا.

وهذا ما نجده فعلا في الأسر الأندلسية، فهناك من كان يعامل زوجته معاملة ود واحترام، وتلك القصائد التي نظمت في رثاء النساء لدليل على تلك المعاملة، حتى أن القصائد تواصلت بعد وفاة الزوجات، فنظم بذلك مثلا الشاعر **الأعمى التطيلى**(ت525هـ/1130م)[2] قصيدة مطولة في رثاء زوجته[3]، فأشاد بفضائلها وعزى نفسه لفقدها، و**أبو القاسم محمد بن أبي العباس** الذي رثى أيضا إحدى زوجاته في نظمه، حيث ابتدأه بالبكاء عليها، ثم ذكر فضائلها ووصفها بكل صفات الحسن، في قوله (بحر الوافر):

وقل للحد يعرف من يواري ... وهل يصغي الجماد من الزحام
أصابك يا قمير إمحاق ... وما أبدرت في أفق التمام
وكنت كزهرة نظراء جفت ... بقرب العهد من شق الكمام
ولم يبسم زمان عنك إلا ... وصدته المنون عن ابتسام
ولم تفضض ختام الكون إلا ... وعاد الكون مسدود الختام[4].

(1) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص 242.
(2) "هو أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن هريرة الأعمى التطيلي، له أدب بارع، وديوان شعر، توفي سنة خمس وعشرين وخمسمائة". ابن سعيد: المغرب، المصدر السابق، ج2، ص451. ابن بسام: المصدر السابق، ج2، ص429.
(3) الأعمى التطيلي: ديوان الأعمى التيطيلي ومجموعة من موشحاته، تحقيق إحسان عباس، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، دط، دت، ص19_21، 43_47.
(4) التجيبي المرسي: المصدر السابق، ص156.

الإشارات كثيرة في كتب الأدب خاصة[1].

ثم إن النساء أيضا قد بادلن أزواجهن المعاملة نفسها، فكن يحرصن على ود أزواجهن كما يذكر **ابن الحاج** في إحدى نوازله في قوله:« المتعارف فيما وسع النساء به على أزواجهن من أموالهن، إنما يردن بذلك استجلاب مودهم واستدرار صحبتهم وجميل عشرتهم »[2].

غير أن هناك من النساء من حرصت على تقدير زوجها دونما تقديم مال أو أملاك كزوجة **محمد ابن عبد الله المعافري المالقي** (ت 665/1266)، وإنما جاء في ترجمته أنها كانت من أصلح النساء وأفضلهن فأعانت زوجها على دينه أي أن الزوجة بفضائلها و مكارم أخلاقها كانت خير سند لزوجها في الحفاظ و التمسك بدينه ليس فقط الحفاظ على وده[3].

وهناك الكثير من النوازل تذكر لنا من حين لآخر تلك العلاقة الزوجية، فكانت المرأة مساهمة أو مساعدة أو واهبة لزوجها أموالا، فتكون قد أعانته على نفقات الأسرة بل وأعانته على توفير بيت الزوجية ، فأسكنته دارها التي تملكها[4]، أو ساهمت في شراء منزلهما[5] كما أنه وهبته صداقها أو كالئها[6] ، ووهبت أخرى نصف صداقها[7]مثلا،ثم إنها وبامتلاكها الأموال والعقارات قد أمتعت زوجها حباله[8]، وساعدته في النفقة فقدمت له ما تملكه من حلي[9]،وأضعف ما قدمته المرأة لزوجها أنها أسلفته مالها على أعوام، فأسلفت بعضهن زوجها مائة دينار[10]، وبعضهن أكثر من ثلاثين مثقالا[11]،

---

(1) ابن حمديس: ديوان ابن حمديس، تصحيح وتقديم إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1379، 1960، ص477. ابن الأبار: ديوان ابن الأبار، قراءة وتعليق عبد السلام الهراس، الدار التونسية للنشر، دط، 1405/1985، ص88. يقول ابن حمديس في ذلك: (بحر الخفيف)

أي خطب عن قوسه الموت يرمي   وسهام تصيب منه فتصمي
يسرع الحي في الحياة ببرء   ثم يفضي إلى الممات بسقم
فهو كالبدر ينقص النور منه   بمحاق وكان من قبل ينمي.

(2) ابن الحاج: المصدر السابق، و05.
(3) ابن عبد الملك: المصدر السابق، س6، ص286.
(4) ابن سلمون: المصدر السابق، و12.
(5) ابن رشد: المصدر السابق، ج1،ص134. البرزلي:المصدر السابق،ج1، ص90.
(6) ابن رشد: المصدر السابق، ج1،ص177. ابن سلمون: المصدر السابق، و115.
(7) البرزلي: المصدر السابق، ج1، ص89.
(8) ابن رشد: المصدر السابق، ج1، ص281. محمد بن عياض: مذاهب الحكام، المصدر السابق، ص190.
(9) ابن سلمون: المصدر السابق، و12.
(10) الونشريسي: المصدر السابق، ج1، ص429.
(11) ابن الحاج: المصدر السابق، و53.

واستمرت المرأة وفية لزوجها حتى بعد وفاته، فهذه **الحرة بنت تاشفين**، تنقل عنها المصادر أنها وعند وفاة زوجها أقسمت ألا تعود إلى دار الإمارة أبدا(1).

وهناك أمثلة أخرى نذكرها على سبيل التأكيد على وجود تلك العلاقة الزوجية الوطيدة، فقد نجحت الكثير من الأسر في علاقاتها، ويذكر **ابن حمديس الصقلي** (ت527هـ/1132م)(2) في ديوانه عند رثاء ابنته المتزوجة، حياتها الأسرية، ومدى نجاح علاقتهما الزوجية، المتسمة بتبادل الزوجين الاحترام والتقدير وحسن المعاشرة(3).

ونستخلص من هذه الأمثلة الفقهية والأدبية على وجه الخصوص أن هناك الكثير من الأسر قد كانت فيها العلاقة الزوجية وطيدة لحد وفائهما لبعضهما بعد وفاة أحدهما، وتغير حياته، وعدم استبدال أحدهما بشخص آخر.

2– علاقة الآباء بالأبناء :

يحيط الآباء الأبناء الحنان والعطف، فبمجرد التغيب عنهم يشتاقون لرؤيتهم والحنو إليهم ، فهذا **محمد بن عياض** (575ه/1179م) يذكر لنا عند التعريف بوالده ذلك الاشتياق الذي عبر عنه والده عندما تغيب عن أولاده انتقالا للقضاء بعيدا عن الأهل، ولو كان في استطاعته لوصلهم في ذلك الحين(4)،وهذا مثال عن تلك الأمثلة الكثيرة التي ذكرت في كتب الأدب خصوصا(5)، وهذا الحنين الذي يعتبر أكبر دليل عل العلاقة التي اتسمت بالحنان والعطف .

أما أمر هبة الوالد ابنه الأملاك والأموال ، فهذا أمر مألوف في الأندلس ، حيث إن الكثير منهم قد منح ابنه الأملاك المختلفة ، وذلك فيما جاء في كتب النوازل، وكتب الوثائق والعقود التي احتفظت لنا بعقود تقدم فيها الأب بمنح الابن ملكا عن رضا منه_كما رأينا في الفصل الأول_ وهذا الرضا عن

---

(1) الأهواني: مسائل ابن رشد، المرجع السابق، ص76. الونشريسي: المصدر السابق،ج2، ص65.

(2) هو أبو محمد بن عبد الجبار بن أبي بكر محمد بن حمديس الصقلي دخل الأندلس زمن المعتمد بن عباد أحد أبرز شعراء عصره، توفي سنة سبع وعشرين وخمسمائة. ابن دحية: المصدر السابق، ص54. ابن بسام: المصدر السابق، ج2، ص192.

(3) ابن حمديس: المصدر السابق، ص364. يقول في ذلك: (بحر الطويل)

وأنكحتها من بعد صدق حمدته   كريما فلم تذمم معاشرة البعل

(4) محمد بن عياض: التعريف بالقاضي عياض، تحقيق محمد بنشريفة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المغرب، دط،دت، ص300. ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص484.

(5) التجيبي: المصدر السابق، ص81، 82، 115. ابن الخطيب: جيش التوشيح، تحقيق هلال ناجي،ومحمد ماضور، مطبعة المنار، تونس، ط1، 1967، ص274. السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ص183. ابراهيم المراكشي: المصدر السابق، ج3، ص55.

الهبة يدل على أن الأب مهتم بمستقبل ابنه، وكانت العلاقة مستمرة حتى بعد زواج الأبناء ، فمثلا **ابن حمديس** قد رثى ابنته المتزوجة في أبيات بينت حاله المفجعة بفقدها[1].

ورغم أنه بين الحين والآخر يقع سوء تفاهم بين الأب والابن حيث يصل الأب إلى درجة فائقة من توبيخ ابنه ، إلا أن احترام الابن لوالده يحول دون التراع حيث تجد الابن صامتا ومنصتا لحديث والده[2] ولو أن فيه حدة وشدة ،وبصفة عامة فإن علاقة الآباء بأبنائهم في الأسرة الأندلسية قد تطبع العطف والحنان الذي قوبل باحترام الأبناء وتقديرهم للآباء ،فجمع بينهما الود والاحترام .

3- علاقة الإخوة فيما بينهم :

إن العلاقات التي اتسمت في الأسرة بين الزوجين وبين الآباء والأبناء ، قد أثرت وزرعت في الأبناء علاقة وترابطا أخويا، ساد بين الإخوة سواء داخل الأسرة ، أو بعد انفصالهم عنها .

وقد اتسمت هذه العلاقة بالتقارب والاحترام ، فنجد المدح والإشادة لبعضهم البعض فكان منهم من نظم في إخوته القصائد وذكر فضائلهم **كابن خفاجة** الذي أشاد وذكر تلك العلاقة بينه وبين أحد أشقائه[3] ،بل منهم من فضل السكن أو التجاور مع إخوته في السكن بمدينة واحدة حيث يحس بالاستئناس بهم ، فمثلا الفقيه **ابن أبي الخصال**(ت540هـ/ 1146م)[4]، قد سكن مع إخوته في قرطبة، رغم أنهم من **شقورة**[5] ، فجاورهم هناك[6] بل واجتمعوا حيث يكون الإحساس بالاتحاد والتقارب أكثر، ويشارك الأخ أخاه في أفراحه وأحزانه ،وينظم في رثائه ، فيعزي نفسه وأسرته قبل أن يذكر فضائل أخيه[7].

وللحديث عن العلاقة الأخوية ، دونما نزاع أو منافسة ، نجد الكثيرين ممن تنازل عن نصيبه في الإرث ، فمن الإناث من علمت بنصيبها في الأرض، وتنازلت عنه، وسامحت الإخوة في ذلك[8] ، لا لشيء و إنما لتوطيد العلاقة ، وعدم التنازع مع الإخوة لمجرد نصيب في الإرث، وحتى الذكور الذين قد

---

(1) ابن حمديس: المصدر السابق، ص364.

(2) ابن عبد الملك: المصدر السابق، س5، ق1، ص230.

(3) ابن بسام: المصدر السابق، ج3، ص397، 398. يقول ابن خفاجة في شقيق له (بحر الكامل):

ياحبذا والبرد يزحف بكرة	حسبما رحيق دونة وحريق
أخذ الربيع عليه كل ثنية	فبكل مرقب و لواء شقيق

(4) هو أحمد بن أبي الخصال الغافقي من أهل شقر سكن قرطبة وتولى الأحكام بها توفي سنة أربعين وخمسمائة. ابن بسام : المصدر السابق،ج3، ص511، 513.ابن الأبار: التكملة، المصدر السابق، ج1، ص40. ابن دحية: المصدر السابق، ص188.

(5) هي جزيرة بالأندلس قريبة من شاطبة يحيط بها واد من جميع جهاتها حسنة البقعة كثيرة الأشجار والثمار.الحميري: المصدر السابق، ص349. العذري: المصدر السابق، ص19.

(6) ابن الأبار: التكملة، المصدر السابق، ج1، ص40.

(7) التجيبي المريسي: المصدر السابق، ص155.

(8) الونشريسي: المصدر السابق، ج6، ص502.

عرف عنهم التنافس في امتلاك الأموال والعقارات ،فقد كان منهم تنازل عن إرثه لأخيه ، مثلما فعل **القاضي عياض** الذي ترك لأخيه نصيبه من الإرث مع علمه بطيب مكسب والده[1] ،فهو لم يتنازل لأنه يتحاشى المال الحرام وهو من فقهاء المجتمع ، وإنما يذكر المصدر أن المال حلال وعلم القاضي بذلك إلا أنه ود ذلك المال لأخيه متنازلا عن رضا.

ومن كل ما تقدم فإن العلاقة داخل الأسرة قد طبعها الاحترام والعطف والحنو والود ، والأخوة سواء بين الزوجين أو بين الآباء والأبناء ، أو حتى الإخوة فيما بينهم ،فعاشت الأسرة الأندلسية عموما علاقة ترابط بين أفرادها ، رغم ما يكون من خلافات_ ستذكر فيما بعد-

4-علاقة أفراد الأسرة بغيرهم:

تتعدى علاقات الأسرة فيما بينها إلى علاقاتها مع غيرها حيث إن النسب والتجاور والخدمة يجعل الأسرة توسع علاقاتها، فكانت تتعامل مع الأقارب ومع الخدم وحتى الجيران والأصدقاء ،وتمثلت هذه العلاقة فيا يأتي:

أ-علاقة أفراد الأسرة بالأقارب :

من المصادر المتوفرة للدراسة ، يمكن استخلاص تلك العلاقة التي ربطت أفراد الأسرة بأقاربهم ، من حيث تزاورهم وتعاونهم وتعاملهم إلى غير ذلك، فجاء في كتب الأدب على صيغة المدح ذكر محاسن الأقارب خاصة منهم الأخوال الذين كانت العلاقة بهم أكثر بروزا في المجتمع الأندلسي ، فنظموا فيهم الشعراء القصائد ،فهذا أحدهم يصف خاله والعلاقة التي كانت تربطه به ، ذاكرا أهم فضائله[2] ويشبه أحدهم متانة العلاقة بميثاق ود استلمه من خاله[3].

وكما مدح الأندلسيون أخوالهم، فقد شاركوهم في أحزانهم، حيث يحضر أحدهم جنازة خاله، ويكون هو المصلي عليه[4] فيكون المعزى والمعزى في وفاة خاله.

ويخشى الخال على ابن أخته ويفديه بنفسه، فتشير إلى ذلك مثلا ترجمة **ابن أخت غانم**(ت 525هـ/ 1130م)[5] الذي نصحه خاله الذي تلقى على يديه العلم ، أ ن يخرج من قرطبة ليسكن مالقة ليس إبعادا له عنه ،وإنما إذا امتحن الخال أي محنة ،لا يجر معه ابن أخته بل يريد منه أن يخلفه[6].

---

(1) المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج5، ص84،85.

(2) ابن بسام: المصدر السابق، ج3، ص 394. التجيبي المرسي: المصدر السابق، ص99.

(3) ابن خفاجة: المصدر السابق، ص77. يقول(بحر الوافر): رأيت بخاله في صحن خده فؤاد محبه في نار صده
فخفت وقصر نفسي رسم فيه فأعطانيه ميثاقا بوده

(4) ابن عبد الملك:المصدر السابق، س5، ق1، ص106.

(5)" هو أبو عبد الله محمد بن سليمان النفزي المعروف المعروف بابن أخت غانم ولد سنة سبع وثلاثين وأربعمائة أصله من مالقة وسكن بها ثم لزم قرطبة كثيرا ثم رجع إلى مالقة التي توفي بها سنة خمس وعشرين وخمسائة كان بارعا في النحو والأدب".
القاصي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص33، 35. السيوطي: المصدر السابق، ج1، ص166، 167.

(6) السيوطي: المصدر السابق، ج1، ص166،167.

وعن الخال أيضا تلك العلاقة التي وصلت إلى حد تأليف كتاب بينهما[1]، حيث ابتدأه القاضي **أبو عبد الله بن عسكر** (ت636ه/1238)[2]، واستكمله **ابن خميس** (كان حيا سنة462/1263)[3]، وفي إحدى صفحات الكتاب، نجد أن الخال هو من ربى وعلم **ابن خميس،** فأشاد به في مقولة مطولة نستقي منها ما يأتي:«... وإذا كان من العلم قد تعين شرعا واستحسن طبعا، فحقه على آكد الحقوق، وسكوتي عن الاعتناء بتخليد مناقبه ضرب من العقوق»[4].

و(ابن **أخت غانم**) لم يذكر باسمه وإنما نسب إلى خاله للعلاقة الوطيدة التي ربطته به ، وملازمته له حتى عرف به،وهناك علاقات أخرى غير هذه ففي تراجم أحدهم يذكر أنه كانت بينه وبين أحد أقاربه أو زوج عمته صحبة عدها نعمة من نعم الله[5] ، فلو كان صاحب سوء لما اعتبر صحبته نعمة نعمها الله عليه حيث جعل له رفيقا من أهله ، فحسنت صحبتهما.

وقد تعدت العلاقات مع الأقارب إلى علاقة أخذ العلم ، وهناك إشارات كثيرة تذكر من تعلم على يد أبناء عمومته[6]، ومنهم من تتلمذ على يد أخواله[7]، وكان من ورث ذلك عن أجداده[8]، فالعلاقة لم تكن علاقة قرابة فحسب، وإنما علاقة أستاذ وتلميذ ، ولابد أنها علاقة ذات امتياز وهي القرابة التي صبغت بصبغة العلم .

وفي مجال الأموال نجد من وهب أقاربه أموالا وأملاكا ، فتذكر النوازل أن هناك: جدة منحت حفيدتها مالا عند إقبالها على الزواج[9].

وحتى زوج البنت كان يحظى باحترام العائلة وودها، فهناك من الآباء من وفر له سكنا[10]، والتزم له ذلك أمد العصمة[11] ، وعقد معه أيضا بيوعا وشراكات[12]،وانتقلت تلك العلاقة إلى أبناء العمومة،

---

(1) الكتاب هو كتاب أعلام مالقة الذي ذكرناه سابقا

(2) هو محمد بن علي بن خضر بن هارون الغساني، المشهور بابن عسكر، يكنى أبا عبد اله، نشأ بمالقة، فأخذ عن علمائها، وله تصانيف كثيرة ، من بينها: نزهة الناظر في مناقب عمار بن ياسر والتكميل والإتمام لكتاب التقريب والإعلام، وغيرها، رحل الناس إليه وأخذوا عنه، توفي سنة 636، النباهي: المصدر السابق، ص158، 159. ابن عسكر: أعلام مالقة، ص175، 176، 192

(3) هو أبو بكر محمد بن محمد بن علي بن خميس. عبد الملك: المصدر السابق، ق6، ص451. ابن عسكر: المصدر السابق، ص73.

(4) ابن عسكر وابن خميس: المصدر السابق، ص176.

(5) ابن عبد الملك: المصدر السابق، س5، ق1، ص106.

(6) التنبكتي: المرجع السابق، ص213.

(7) المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص28. ابن عسكر: المصدر السابق، ص80،85.

(8) التنبكتي: المرجع السابق، ص300.

(9) الونشريسي: المصدر السابق، ج9، ص166.

(10) ابن رشد الجد: الفتاوى، المصدر السابق، ج1، ص176،177.

(11) ابن الحاج: المصدر السابق، و 66.

(12) ابن بشتغير: المصدر السابق، و10.

حيث أشركوهم في أملاكهم وأشغالهم[1]، حتى أصبحوا أولياء أمور في ترويج الأنثى خاصة عند يـتم البنت أو غياب وليها[2] .

وبهذا فقد تعددت فالعلاقة مع الأقارب بتعدد الأفراد المتعامل معهم وتعدد الطـرق والمجـالات والنقاط التي يلتقون فيها، فإما أن تكون علاقة عاطفية، أو علاقة أستاذ وتلميذ أو شراكة أو بيع أو إغاثة أو غير ذلك .

ب–علاقة أفراد الأسرة بالخدم:

إن الأمة والعبد كما لاحظنا سابقا قد كانت لهما مكانة دونما احتقار في الأسرة الأندلسية حيث تجاوز الأمر إلى اعتبارهما فردين من أفراد الأسرة .

وفي كتب التراجم و الفقه المختلفة نستقي بعض مظاهر تلك العلاقة التي كانت بـين العبيـد وأفراد الأسرة، فهناك من دفع كل تكاليف زواج عبيده والتزم بالنفقة على الزوجة[3]، و هناك من كان أقرب من ذلك و أصبح أحد أفراد الأسرة حقا، كما نلمس ذلك في ترجمة **أحمد بن أبي الحسن نبيـل الرومي**(ت669هـ / 1270) الذي كان والده عبدا لأسرة أمه فقربه والدها وزوجها إيـاه[4]، ووفـاء الأسرة للخادم بعد وفاته« بحسن معاملة زوجته وحفظ أمانته، وتجهيز ابنته للزواج»[5]

و حتى كتب التاريخ السياسي أفادتنا ببعض الإشارات الاجتماعية،فكما رأينا في الأجزاء السابقة أن إحدى الجواري قد حظيت بحب سيدها حتى أصبح يقوم لأجلها بما هو خطر عليه ، حيث يـشتري لها خمرا لاشتهائها له، مع علمه أنه في خطر إذا قبض عليه أعوان المحتسب أو القاضي[6].

وإذا كان العبيد لا حق لهم في التعلم فإن في الأسرة الأندلسية ظاهرة لافتة للانتباه حيث تـتعلم الأمة و تنهل العلوم كالأديبة **العلياء البلنسية** التي ذكرت سابقا.

ثم نجد أحدهم يبكي لفقد أمته **كابن حمديس** الذي رثى جارية له كانت قد ماتت غريقة في عدة مواضع من شعره و كان رثاؤه متضمنا لكل أشكال و معاني التفجع و الأسى و الهم لفقدها[7].

---

(1) البرزلي: المصدر السابق، ج3، ص133.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص197.

(3) الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص400.

(4) ابن عبد الملك: المصدر السابق، س1، ق2، ص553.

(5) ابن عسكر: المصدر السابق، ص368.

(6) ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص93، 94.

(7) ابن حمديس: المصدر السابق، ص212، 517.

أما علاقة الزوجة بالعبيد فقد اتسمت في معظم الأحايين بالتنافر خاصة مع الأمة لخشية الزوجة وحرصها على ود زوجها حتى لا يجعل منها أم ولد[1]، تشاركها فيه ثم تصبح متساوية معها في الحقوق.

جـــ–علاقة الأسرة بالأصدقاء:

لقد تعددت علاقات الأسرة بأفراد المجتمع بين صداقة و خدمة و جوار و كانت علاقة الـــصداقة بالأخص علاقة ربطتها عمليات التراسل بالهدايا و التهاني في مختلف المناسبات: عند ازدياد مولـــود أو زواج فرد من أفراد الأسرة، فيتقدم الأصدقاء بالتهاني خاصة منهم الشعراء بنظم أبيات شعرية مهنئين بها الأسرة[2].

و تعددت صور الهدايا فكانت بأشكال متفاوتة، نذكر بعضها حسب ما جاء في المصادر، كمن يهدي صديقه جزرة كبش في عرس أو مناسبة ميلاد[3]، أو أن تكون تلك الهدية شيئا بسيطا كباقة ورد و زجاجة خمر[4]، أو تفاحة[5]، أو قلة من ماء الورد[6] ، المهم أن تكون تلك الهدية بنية توطيد علاقـــة الصداقة حيث لا يهم التكلف فيها، «**فَالهَدِيَّة مَقْبُولَة، وَلَو كَانَت فُولَة**»[7]،وبهذا وهي عندهم بمعناها لا بثمنها حجمها.

و لم تكن العلاقة توطدها الهدايا و التهاني فقط، و إنما المساعدة وقت الضيق أيضا، فتمدنا إحدى المصادر أن أحدهم :–ابن زهر الحفيد– قد ساعد أحد أصدقائه في ضيق مالي يوم لم يجد مالا يتجهز به لابنته فكفاه أمر ذلك و استحلفه ألا يرد المال[8]. و هذا و إن كان قليلا فهو يدل، علـــى حـــرص الأندلسيين على علاقاتهم فيما بينهم.

حقيقة إن الأسرة الأندلسية كغيرها من الأسر تمثلتها علاقات و روابط جعلت منها بنية كاملـــة تقابل بنيات أخرى داخل المجتمع الواحد، فكانت ذات روابط داخلية كرابطة الزوجية و رابطة الأبوة و الأمومة و رابطة الأخوة كذلك، و روابط خارجية تمثلت في أهم علاقات الأسرة و تعايشها مع أطراف مختلفة في المجتمع كالأقارب و العبيد و الأصدقاء.

---

(1) بنمليح عبد الإله: المرجع السابق، ص63.

(2) الرصافي: المصدر السابق، ص46. المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص109،110.

(3) ابن بشتغير: المصدر السابق، و 26.

(4) العماد الأصفهاني: المصدر السابق، ج3، ص359. ولعل القارئ يستغرب من كون الخمر مشروبا للمسلمين يتهادونه بينهم، ولكن لا غرابة في المجتمع الأندلسي، وهذا ما سنناقشه في الجزء الخاص بالمشروبات.انظر الفصل الثالث، ص....

(5) ابن بسام: المصدر السابق، م3، ص336

(6) المصدر السابق، م3 ، ص337. الضبي: المصدر السابق، ص420.

(7) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص42.

(8) عد إلى الفصل الأول تجهير البنت.

ثانيا :المشكلات الأسرية :

رغم وجود تلك العلاقات الرابطة بين أفراد الأسرة فيما بينهم أو مع غيرهـم، إلا أن في بعـض الأحيان يحدث سوء تفاهم، إذ يمكن أن يتفاقم أمر حتى يصبح نزاعا تنحل به تلك العلاقـة، فتنقطـع انقطاعا مؤلما خاصة تلك التي بنيت على أساس النسب و القرابة، و السؤال الذي يراودنا في هذا الأمر هو: ما أسباب هذه التراعات، أو ما هي نقاط شعلة التراع؟، ومن أهم الأطراف المشاركة فيه؟ ثم كيف حاولت الأسرة الأندلسية و أفرادها معالجة ذلك التراع أو كيف تجاوزته؟

1-التراع بين الزوجين:

إن تقديمنا لهذا الشكل من التراع قبل غيرة باعتباره يعود إلى أكبر عقد و علاقة نقلتها المـصادر المختلفة، فجاءت التراعات أيضا في مصادر مختلفة و بمظاهر متعددة فوجدناها على شـكل نـوازل أو شكاوى أو ضرب أمثال و نحاول في دراستنا هذه أن نجد الأسباب المختلفة وبعض حلولها من خلال ما يأتي:

أ-أسباب التراع بين الزوجين:

لقد أفادتنا المصادر المختلفة خاصة كتب الأمثال و الفقه من خلال بعض الشكاوى أو النـوازل عن أهم تلك الأسباب التي ما رأت العامة في إحدى أمثالها إلا أن تقول بأنه هناك عدم التوافق و الوئام منذ بداية بناء الأسرة[1]إلا أنها من حين لآخر تضرب الأمثال في بعض المواقف، فجاء على لسانها تعبيرا على الخيانة الزوجية في قولهم: «**بَين ذَا وَذَا زَوْجْهَا قَدْ جَاء**»[2] و نذكر الحياة الزوجية **لابـن قزمـان** الذي طالما وصفها بالفاشلة و اعتبر سبب ذلك في الزوجة ذات المساوئ المتعددة[3]، التي لا يمكن البقاء معها طويلا، و التي سببها رفض الزواج مرة أخرى.

وجاءت بعض أسباب ذلك في شكل نوازل تضمنتها عدة كتب كان محتواها أن كلاما و شاجرة حادة بين الطرفين[4] و أحيانا تكتفي المصادر بذكر أن هناك ضرر دون التعريف[5].

وتكون أحيانا بزواج الرجل للمرة الثانية و التي تعتبر أكبر ضرر نفسي على المرأة التي قد تمثلتها العامة بقولها:«**مَشْيَه لَلْحُفْرَة وَلاَ مَشْيَه لْبِيتْ أُخْرَى**»[6]، رغم أن الدين الإسلامي يجيز ذلك[7].

---

(1) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص131. انظر المثل" **بْدِيتْنِي بَالرْقَاد الْمَعَوَّج**"

(2) المصدر نفسه، ق1، ص124.

(3) ابن قزمان: المصدر السابق، ص126.

(4) ابن رشد الجد: الفتاوى، المصدر السابق،ج2،ص950. ابن سلمون: المصدر السابق، و12.

(5) ابن رشد الجد: الفتاوى، المصدر السابقن ج2، ص952.

(6) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص350.

(7)﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ ﴾ سـورة النساء، الآية: 03.

وأحيانا أخرى يكون الزوج سببا رئيسا في التراع من خلال بعض المساوئ التي يقوم بها، وخلال المصادر الفقهية خاصة النوازل، أمكننا الاطلاع على أهمها، وهي أن يتجاوز الزوج تلك الشروط التي قد اتفقا عليها يوم كتابة العقد، ونقض بنود ذلك العقد، كأن يتزوج ثانية وقد اشترطت عليه عدم الزواج[1] أو أن لايأخذ شيئا من مالها إلا بإذنها ثم يفعل غير ذلك فيأخذ المال غصبا[2]، أو أن يتسرى ويتخذ أم ولد، وقد اشترطت عليه عدم فعل ذلك[3]،أو أن يغيب عنها غيبة بعيدة ولا ينفق عليها[4]،وأكثر من ذلك الجهل الذي يصدر من بعض الرجال كالذي يحلف لزوجته إن ولدت له أنثى بالقتل[5].

وكل هذا ينجر عنه يتم الأولاد والآباء أحياء، فتختلف بذلك مستويات حياتهم، ومحيط جمعهم بين: بقائهم مع الأم ونفقة الوالد عليهم وكسوتهم[6]، أو زواج الأم مرة أخرى وأخذ أبنائها معها كربائب لزوجها الجديد حيث يتكفل برعايتهم[7]، غير أن معظمهم يبقى هؤلاء الأولاد في حضن الأقارب كالجدة أو الأخ أو الخال أو العمة[8].

ب-معالجة التراع بين الزوجين أو تفاديه:

أمام هذه المشكلات يقف أفراد الأسرة ومن يليهم من القرابة عدة مواقف تكون إما لتفادي المشكلة والتخفيف منها أو معالجتها بالفصل بين الزوجين، ورغم أن الطلاق كما يقول الرسولﷺ: «أبغض الحلال»[9] إلا أن هناك من الحالات ما يستوجب ذلك، فكانت العامة في معظم الأحيان تراه أحسن الحلول في قولها "**اثْفَرَّاقُ تْعِيشُ**"[10]، فمن القول يمكن أن نستنتج أنه هناك تفاقم في الأمر حتى أصبح الطلاق رحمة لكلا الطرفين، وهذا الحل _الطلاق_ يكون بعد أن يصل أمر الزوجين إلى القضاء

---

(1) ابن رشد الجد: الفتاوى ، المصدر السابق، ج1، ص173،174.

(2) الونشريسي: المصدر السابق، ج3 ص48.

(3) ابن الحاج: المصدر السابق، و76، 84. الجزيري : المصدر السابق، و312.

(4) أبو إسحاق الغرناطي: المصدر السابق، ص23.

(5) ابن الحاج: المصدر السابق،و288.

(6) ابن الحاج: المصدر السابق،و36، 90، 95، 96. ابن سلمون: المصدر السابق، ظ21و. البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص188.

(7) ابن رشد الجد: الفتاوى، المصدر السابق، ج1، ص295، 296، 338. الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص19.

(8) ابن الحاج: المصدر السابق،و61. ابن العربي: أحكام القرآن، ج1، ص202، 204، 207. محمد بن عياض: مذاهب الحكام، المصدر السابق، 183، 184.

(9) قال الرسول صلى الله عليه وسلم:« أَبْغَضُ الحَلاَلِ إلى اللهِ تَعَالَى الطلاَّقُ» أبو داوود: المصدر السابق، كتاب الطلاق، باب طلاق السنة، ج2، ص255.

(10) الزجالي المصدر السابق، ق2، ص86.

أو المفتي فيفصل في الأمر بعقد الطلاق بين الطرفين[1]، وقد احتفظت لنا كتب العقود والوثائق على بصيغ مختلفة عن ذلك [2].

وأحيانا يكون الطلاق بطلب الزوجة لضرر لاحق بها[3]_أو ما يسميه الفقهاء الخلع أو محاولة الفصل في الأمر بإرضاء الطرف المتضرر وإعطائه حقه كما كان يجتهد بعض القضاة[4].

أما الحلول التي ليس لها أي صلة بالقضاء كالتي حلف لها زوجها بالقتل إن ولدت له أنثى، فنجد في النازلة أن خشية المرأة القتل، تحل الأمر بإلقاء ابنتها عند ولادتها عند الباب[5]، رغم أنها في حزن وشدة.

2_النزاع بين مختلف أطراف الأسرة:

أ-أسباب النزاعات:

تفردت كتب النوازل بذكر هذه النزاعات التي قد تنوعت حسب الأطراف المتنازعة، إلا أن أبرزها في هذه المصادر النزاع حول التركة أو إرث كل فرد من تركة المتوفى.

فنجد تنازع الإخوة على تركة أبيهم، وعدم الرضا بالقسمة[6]، أو أن يستولي أحدهم على كل التركة دون أن يعتبر لأحدهم أي اعتبار خاصة إذا كان الشريك للمستولي أختا بنتا، ولذلك نجد في إحدى النوازل شكوى وطلب الأخت لنصيبها في الإرث فتكون نقطة سوء تفاهم مع أخيها[7]، كما يكون النزاع بين الأبناء وإخوتهم من الأب، وكلها نزاعات حول الإرث[8].

وأحيانا أخرى يكون النزاع بين ورثة الزوجة والزوج عما تركت الزوجة أو عكس ذلك بين الزوجة وأهل الزوج[9] .

إضافة إلى هذا السبب هناك عدة أسباب ثانوية كالنزاع بين الأب وابنه على أرض قد وهبها إياه[10]، أو بين الأب وصهره، وفي هذا عدم التفضيل في المصادر، حيث تذكر أن هناك سوء تفاهم بين الأب وصهره، كانت له نتائج عادت بالدرجة الأولى على البنت[11] .

---

(1) ابن رشد الجد: الفتاوى، المصدر السابق، ج2، ص ص250_252.

(2) أبو إسحاق الغرناطي: المصدر السابق، ص22، 23.

(3) الونشريسي: المصدر السابق، ج3،ص48.

(4) ابن سلمون: المصدر السابق، و12.

(5) ابن الحاج: المصدر السابق، و288.

(6) ابن رشد الجد: الفتاوى، المصدر السابق، ج2، ص701، 702.

(7) المصدر نفسه، ج1، ص349.

(8) ابن الحاج: المصدر السابق،و110

(9) الونشريسي: المصدر السابق، ج10،ص390،391.

(10) ابن الحاج: المصدر السابق،و40.

(11) المصدر نفسه، و68. البرزلي: المصدر السابق، ج5، ص66.

وينتقل النزاع من جنس الرجال إلى النساء، والذي يكون أشد وأكثر دواما كالذي يحدث بين الأم وزوجه الابن، ولعل هذا مستمر إلى يومنا هذا، ففي الأندلس دهاء الأمر جعل العامة تضرب المثل فيه بقولها" **من يريد الحسنة يذبح الختنة**"[1]

ومن القول يفهم أن الختنة أو زوجة الابن هي السبب في النزاع لذلك أراد العامة من قولهم هذا إراحة الأم منها.

ب-معالجة النزاعات:

إضافة إلى الحل الذي رأته العامة لإراحة الأم من زوجة الابن، فإن ما يخص الإرث هو اللجوء بصورة عامة إلى القضاء حيث يكون الفصل، وباجتهاد الفقهاء فقد اتفق في معظم الأحيان إعادة تقسيم التركة والعدل وإعطاء كل ذي حق حقه[2].

وأحسن ما نجده أحيانا هو تنازل الإخوة عن الإرث تفاديا للنزاع، حيث تنازلت إحداهن على نصيبها في الإرث لإخوتها وسامحتهم في ذلك[3]. ويفيدنا المقري في كتابه أزهار الرياض بنص في غاية الأهمية فيذكر فيه أن القاضي عياض _كما ذكرنا آنفا _ تنازل عن إرثه لأخيه وتفادى النزاع معه[4].

أما النزاع الذي يحدث بين الأب وصهره فكان ينتهي دائما من خلال النوازل المختلفة إلى حل واحد وهو الابتعاد عن بعضهما البعض بفسخ العقد خاصة إذا كان قبل البناء بالبنت[5]، ولو أن في هذا الحل بعض الضرر على البنت إلا أنه كان لازما لذلك.

وأخيرا ذلك النزاع بين الأب وابنه، فرغم العاطفة التي يحيط بها الأب ابنه إلا أنه يتنازع معه أحيانا، خاصة إذا كان الأب كما تذكر النازلة من أهل العز في الدنيا والقدرة والتمكن، حيث لا يقبل أي مجادلة أو مطالبة من أبنائه خاصة، والحل الوحيد الذي كان بذلك هو أن يشهد الوالد الناس على أنه قد تراجع عن الهبة لابنه، وهذا ما جاء في إحدى النوازل في رجل « ابتاع لابن صغير بمال كان ورثه من والدته، ومال كان وهبه الأب للابن المذكور، فلما كبر الابن وملك نفسه طلب الابن المذكور من الأب وأن يخرج له منه، فأبى الأب ذلك فاجتمع الأب مع الناس، وقال لهم: إن عقد ابتياع قد تلف،

(1) الزجالي: المصدر السابق،ق2، ص338.

(2) محمد بن عياض: مذاهب الحكام، المصدر السابق، ص191.

(3) الونشريسي: المصدر السابق، ج10، ص391.

(4) المقري: أزهار الرياض، تحقيق سعيد أعراب وعبد السلام الهراس، إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات المتحدة، دط، 1980، ق5، ص84، 85.

(5) البرزلي: المصدر السابق، ج5، ص66.

فـــأشهدوا بالابتياع منكم فأشهدوا على ذلك، وكان الأب من أهل العزة في الدنيا والقدرة والتمكن، وممن لا يراجع ولا يقدر على مراجعة الأب في ذلك كله وبقي الملك بيد الأب إلى ان توفي... »[1]

ومما تقدم نخلص إلى أن حياة الأفراد في الأسرة تنتاها بعض التراعات خاصة الـــتي تكـــون بـــين الزوجين أو بين الورثة، وبشكل خاص فإن أهم الحلول لذلك، والفصل في التراع هو الطلاق ، واقتسام التركة بالعدل إضافة إلى بعض التراعات الأخرى التي تكون أخف فتأتي حلولها بالتفـــادي أو ســـهلة المعالجة.

(1) ابن الحاج: المصدر السابق، و40.

الفصل الثالث

عادات وتقاليد في حياة الأسرة الأندلسية

المبحث الأول : هندام الفرد ومظهر المحيط .

المبحث الثاني : غذاء الأسرة وشؤون صحتها .

المبحث الثالث : الأسرة بين الاحتفال والترويح .

.

المبحث الأول
هندام الفرد ومظهر المحيط

أول ما اخترنا دراسته والتعرف عليه من عادات الأسرة الأندلسية، عادة المظهر التي نريد بها شكل اللباس وزينة الفرد ومظهر المحيط، لذلك فالتساؤلات التي تبادر إلى ذهننا هي: ماهي أهم الألبسة التي ارتداها الفرد الأندلسي؟ وما ذوقه في زينته وجمال مظهره؟ أضف إلى ذلك ما شكل مأوى الأندلسي؟ وكيف اهتم به بناء وتزيينا؟

أولا :زي الفرد :

1-أنواع اللباس واعتباراته:

-ألبسة صرح بارتدائها كل من المرابطين والموحدين:

ذكرت بعض النصوص أهم ما ارتداه كل من المرابطين والموحدين وتميزوا به، بحيث ذكرها صاحب **الروض الهتون** أثناء حديثه عن المرابطين أن زيهم:« اللثم والغفائر[1] القرمزية(...)والعمائم ذوات الذؤابات...» [2]،ففي هذا القول تصريح بألبسة ارتداها المرابطون، وهي: الغفائر، والعمائم ذوات الذؤابات ووضع لثام يغطي الوجوه[3].

وهذا الأخير تؤكده المصادر الأخرى،ككتاب" **أعز ما يطلب**"، الذي يذكر لنا استقباح الموحدين للباس المرابطين، ولا سيما: «تغطية الوجوه والتلثم والتنقب»[4]، إضافة إلى ماذكرته كتب النوازل[5].

---

(1) سبق التعريف بها في الفصل الأول

(2) ابن غازي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق بنمنصور عبد الوهاب، المطبعة الملكية، الرباط، ط3، 1420/ 1999، ص19.

(3) هذا الأمر قد تتبع دراسته القادري بوتشيش في كتابه المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص ص75-80.

(4) المهدي بن تومرت: أعز ما يطلب، المصدر السابق، ص 247.

(5) البرزلي: المصدر السابق، ج1، ص369.

أما العمامة، فاستقاء من أقوال عامة الأندلس، هي لباس المرابطين، الذي ضربوا فيه الأمثال، في قولهم: «**طالع هابط، بحل عمام في راس مرابط**»[1] في صورة الاستهزاء والسخرية من مرتديه.

و لم تكتف بعض المصادر بوصف لباس عامة المرابطين، وإنما نجد في ثناياها معلومات هامة حول زي أمرائهم «**كيوسف بن تاشفين** [الذي] لم يلبس إلا ثياب الصوف...» [2]، ولعل في القول مبالغة، وإن لم يكن كذلك، فتعود إلى شخص الأمير الذي يمكن أن يميز من اللباس أنه كان زاهدا في أمور الدنيا، فاكتفى بلباس الصوف، وكما هو معلوم أن لباس الصوف لباس خشن لا رقة فيه.

بينما يذكر باحثون آخرون بأن المرابطين كانوا يرتدون: «جلابة بسيطة من الصوف الخشن على أجسامهم صيفا وشتاء»[3]، فيفهم أن المرابطين اقتدوا في لباسهم بأميرهم ثم عمت الظاهرة.

أما عن لباس الموحدين، فقد وردت بعض الإشارات توضح لباس بعض الفئات دون الأخرى، **فابن عذاري** يذكر لباس الأمير **المنصور الموحدي**، المتمثل في: «...غفارة زبيبية، وعلى رأسه عمامة صوف...» [4]، وفي القول إشارة أيضا إلى اللباس الذي ارتداه الموحدون،وهي الغفارة والعمامة التي أيضا كانت لباسا مفضلا للمرابطين، إلا أن هذه العمامة كانت من صوف، و الصوف دليل على خشونة اللباس.

أما **ابن الخطيب** فقد تحدث عن **المنصور الموحدي**، وأشار إلى ظاهرة هامة، وهي لباس خدمه ونسائه، في قوله: «كان نساؤه وخدمه يلبسن غفائر حمراء، منسدلة عليهن في زي غريب» [5]،فصاحب النص يتعجب من اللباس، ويعتبره زيا غريبا، وهذا ما يدعو للتساؤل، فهل أن **ابن الخطيب**_ونحن نعلم أنه عاش في عصر متأخر عن عصر الموحدين_ يستغرب اللباس في كونه مختلف عما كان في عصره؟ أم أنه يستغرب في كون هذا اللباس المتواضع هو: لباس أهل البلاط؟ أم أنه استقى هذه المعلومة من مصادر الفترة الموحدية، وكان فيها صاحبها مستغربا أيضا؟

-ألبسة تميزت بها فئة اجتماعية:

تبعا لما يحويه المجتمع من فئات ، فإن ذلك تطلب منا تقسيم الدراسة إلى عدة أجزاء، نحاول خلالها معرفة زي أهم الفئات ، التي تنتمي إليها الأسر الأندلسية، وهي كالآتي:

---

(1) الزجالي: المصدر السابق، ج2، ص246.

(2) ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى،نشر عبد الوهاب بنمنصور، دار المنصور، الرباط، دط، 1972، ص31. الناصري السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص60.

(3) جان وجيرم طارو: أزهار البساتين في أخبار الأندلس والمغرب في عهد المرابطين والموحدين،ترجمة وتعليق أحمد بلافريج ومحمد الفاسي،المطبعة الوطنية، الرباط، دط،1349، ص78.

(4) ابن عذاري: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص44.

(5) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، اسبانيا الإسلامية، المصدر السابق، ص277.

فئة العلماء: امتاز زي العلماء والفقهاء والقضاة في الأندلس بميزات تختلف كثيرا عما كانت ترتديه الفئات الأخرى، وذلك في: لباس الغفارة ، الذي حصرته الأمثال في فئة معينة هي فئة الفقهاء، ، في قولها:« **ثلاثة من الناس ما يلباس غفار: صياد بصنارة، وميار بحمارة، وجنان بخطـارة**»[1]،أي أن هذا اللباس لا يرتديه عامة الناس وإنما متعلق بفئة المثقفين والعلماء.

ثم نجد بعض الإشارات تؤكد على أن هذا اللباس تميز به العلماء[2]، حيث ذكروا مادتها ونوعها ولونها، فلبسوها من صوف، وصبغوها اللون الأحمر والأخضر، بعيدين عن الأصفر الذي كان خاصا لليهود[3]،والأكثر تأكيدا لذلك ما ورد في أحد مجالس الشعراء، حيث ارتدى الشاعر **ابن قزمان** غفارة صفراء، فواجهته الشاعرة **نزهون بنت القليعي** مستهزئة به، وقرنته مباشرة باليهود ببقرة بني إسرائيل ولونها[4]، والتي ذكرها القرآن الكريم[5].

وهناك نوع آخر من اللباس ارتداه العلماء الأندلسيون، وهو الطيلسان الموضوع على الرأس[6]، كما جاء في أحد المصادر:«لا تجد في خواص الأندلس، وعوامهم من يمشي دون طيلسان، إلا أنه لا يضعه على رأسه منهم غير عظماء الشيوخ»[7]، فالطيلسان زي يختلف فيه بين العلماء والفئات الأخرى في طريقة وضعه، حيث لا يضعه على الرأس إلا العلماء الكبار، أما الآخرون، فيضعونه «على الكتف مطويا طيا طريفا»[8]، ثم إن العلماء قد اختصوا بتلك الذؤابة، التي لا يضعونها على أكتافهم، وإنما تسدل تحت الأذن اليسرى[9]، أو ما يعرف بالتحنك[10].

وارتدوا أيضا العمامة، فهناك إشارات كثيرة واردة في تدل على أن الفقهاء والقضاة والعلماء كانوا يرتدون العمائم [11]؛ لكن هذه العمامة التي لم يرتديها العالم فقط، وإنما قد اختص بها أمراء المرابطين

---

(1) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص170.

(2) المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ق4، ص04. المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص233.

(3) المقري: نفح الطيب، المصدر نفسه، ج1، ص233، ج2، ص611.

(4) ابن سعيد: المغرب، المصدر السابق، ج1، ص121. زينب العاملي: ربات الخدور، المصدر السابق، ص519. ابن الخطيب: الإحاطة، ج2، ص355.

(5) وهذا ما جاء بقوله تعالى:﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ سورة البقرة، الآية69.

(6) العمري: المصدر السابق، س4، ص106.

(7) المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص223.

(8) العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، إصدار فؤاد سزكين وآخرون، معهد تارخ العلوم العربية والإسلامية، جامعة فانكفورت، ألمانيا،دط، دت، س4، ص106.

R.Dozy*: Dictionnaire detaille des noms des vetements chez les arabes*
,Amesterdam,Jean Muller,1845 p280

(9) المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص223.

(10) أحمد مطلوب: معجم الملابس في لسان العرب، مكتبة لنبان، ط1، 1995، ص23.

(11) المقري: نفح الطيب، ج1، ص222. ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص38.

والموحدين أيضا[1]، غير أن العمامة التي كان يرتديها الأندلسيون كانت كبيرة جدا إذا ما قورنت بالعمامة التي كان يرتديها العرب المشرق[2]، ورغم استهزاء العامة بهذا النوع من اللباس[3]، فإن الشواهد التاريخية تؤكد أن العمامة كانت رمزا وتاجا عربيا، لبسها سادتهم ورؤساؤهم في الجاهلية والإسلام[4].

ويؤكد **المقري** ذلك بقوله: «...لا تكاد ترى فيهم قاضيا ولا مفتيا مشارا إليه إلا وهو بعمامة...» [5]، ويضيف **ابن الخطيب** بأن العنصر العربي هو الآخر كان يرتدي هذه العمائم بقوله: «...ما شاء في شيوخهم وقضاتهم وعلمائهم، والجند العربي مثلهم...» [6].

ولذلك فإن هذا اللباس كان تاجا عربيا، ورمزا لأمراء البربر، واختصاص علماء وقضاة الأندلس، غير أن ما يدعو للتساؤل هو: لماذا كان الأندلسيون يستهزئون بهذا النوع من اللباس، ونحن نعلم أن المجتمع الأندلسي يحترم العلماء والقضاة والفئات المثقفة، فكيف تصدر من عامتهم هذه الأمثال التي تقلل من شان العمامة التي تلبسها هذه الفئة، أو أن هذا اللباس كان زيا للمرابطين الذين كما يعتبرون قد استولوا على الأندلس، لكن هذا ليس كافيا؛ لأنهم قبل دخول المرابطين إلى الأندلس كان الأندلسيون يستهزئون بهم باعتبارهم رعاة جمال[7].

وهل الاستهزاء بالعمامة كان في منطقة جغرافية دون غيرها، ولا سيما في الأرياف كما تذكر بعض المصادر: « أن العمائم تقل في زي أهل الحضرة»[8]، وأن: « أهل الأندلس لا يتعممون»[9]، و"الغالب على أهل الأندلس ترك العمائم ولا سيما في شرق الأندلس،أما أهل غربها فلا تكاد ترى فيهم فقيها أو قاضيا مشارا إليه إلا وهو بعمامة، وكثيرا ما يتزيى سلاطينهم وجنودهم بزي النصارى المجاورين لهم"[10]، رغم أن أهل المدن الغربية كانوا يلبسون عمائم؛ ولكنها أصغر كثيرا من تلك التي كانت مستعملة في المشرق العربي[11].

(1) ابن غازي: المصدر السابق، ص19. ابن عذاري: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص44.

(2)Dozy :*Dictionnaire*,*op*,*cit*,p307.

(3) الزجالي: المصدر السابق، ق1، ص210،ق2، ص246.

(4) الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، 1968، ج3، ص97.

(5) المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص222.

(6) ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج1،ص38.

(7) المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص نفسها.

(8) ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص38.

(9) العمري: المصدر السابق، س4، ص106.

(10) المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص223،222.

(11) شلبي أحمد: المرجع السابق، ص 262.

أهل الحضرة هم أهل المدن، وربما أطلق عليهم ذلك لأنهم أكثر استقرارا من أهل غربها، ثم إن أهل شرق الأندلس، قد تركوا العمائم، وأصبحوا مكشوفي الرؤوس تأثرا بالنصارى المجاورين لهم، ولذلك فتأثرهم هذا جعلهم يستهزئون بهذا اللباس في منطقة دون المناطق الأخرى.

وكما تأثر المسلمون في الأندلس بمجاوريهم من الفرنجة فتركوا العمامة أو جعلوها صغيرة، فقد أثروا بلباسهم ، إذ أن زي العلماء والفقهاء المسلمين قد وجد طريقه إلى أعظم جامعات أوروبا، وهو حتى عصرنا، الزي الرسمي للطلاب والمدرسين بعد أن دخل عليه بعض التغيير[1].

الزهاد:

إضافة إلى لباس العلماء، فإن الزهاد قد تطبعوا ببعض أنواع الألبسة، التي تشير إليها بعض المصادر، فورد أن أحدهم:« أكثر لباسه جبة صوف لا شعار لها...» [2]،كما كان أحدهم « يرتدي عباءة من صوف»[3]، وكان آخر« رجلا صالحا متبتلا متقشفا يلبس الصوف »[4]وارتدى أحدهم أيضا لما أراد التزهد ثوب صوف[5]، وآخر عباءة[6]

فالملاحظ من هذه الأمثلة أن الجبة أو العباءة من الصوف كانتا لباس الزهد، لبساطته وخشونته البعيدة عن كل تنميق وبهرجة.

اليهود:

أما فئة اليهود، فقد اختصت —كما ذكرنا آنفا–باللون الأصفر في لباسها، الذي طالما سخر منه الأندلسيون، و لم تقف عند هذا اللباس، فارتدى أفرادها لباس المسلمين، وخصوصا عليتهم، كما يذكر **ابن عذاري** أنهم:«شاركوا الناس في الظاهر من أحوالهم، فلا يميزون من عباد الله المؤمنين»[7]، ولذلك فقد كان **المنصور الموحدي** أمام تجديد لباس هذه الفئة، فأضاف إلى حضارة الأندلس زيا جديدا، يتمثل في إلزامهم لباس "**الشكلة**"[8]، والذي يصفه **ابن عذاري** بـ:«صفة كحداد ثكلى المسلمين: أردان

(1)المرجع نفسه، ص 262، 263.

(2) ابن عبد الملك: المصدر السابق، س5، ق1، ص170.

(3) ابن عبد الملك: المصدر السابق س8، ق1، ص250.

(4) ابن عسكر: أعلام مالقة،المصدر السابق، ص352.

(5) القاضي عياض:الغنية،المصدر السابق،ص71.

(6) عبد الواحد المراكشي:المعجب، المصدر السابق، ص220.

(7) ابن عذاري: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص228.

(8) الزركشي: المصدر السابق، ص16. محمد المغراوي: الموحدون وأزمات المجتمع،جذور للنشر، الرباط، ط1، 2006، ص114. هويثي ميرندا: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة عبد الواحد أكمير، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، دط، 2003، ص77.

قمصهم طول ذراع في عرض ذراع زرق وبرانيس زرق، وقلانس زرق...»[1]، وقد وصف هذه الشكلة أيضا صاحب كتاب "**المعجب**"، حيث جاء وصفه في صورة أخرى إلا أنها تقترب في مجملها من وصف **ابن عذاري**، فذكر أنها كانت في أبشع صورة حيث تشبه البراديع[2].

واستمر هذا النوع من الالتزام حتى عهد **أبي عبد الله بن المنصور الموحدي**(595/1198-610/1213) الذي سمح لهم بعد التوسل إليه بتغييره إلى التزام أقل بشاعة في شكل: ثياب صفر، وعمائم صفر[3]، ولذلك نجد هذا النوع الأخير، قد تطرق إلى ذكره **المقري** في **نفحه**، حيث خص به اليهود، و سمح لهم بتغير تلك الشكلة إلى ثياب صفر[4].

إن تكليف اليهود بهذا اللباس، وتوحيده لهم، ذلك لتمييزهم عن عامة وخاصة المسلمين؛ لأنه من الصعب معايشة اليهود لنقضهم العهود، واعتيادهم الخداع، فجاء في أمثال الأندلسيين تعبيرا عن ذلك«**كل مع اليهودي وارقد مع نصراني**» [5]، والمقصود بذلك أيضا أن اليهودي إذا أكلت معه، فأنت في حالة يقظة، أما إذا أخذك النوم، فلا تعلم ما سيفعل بك من شدة حقده وبغضه للمسلم، ونلمس في المثل ائتمان المسلم للنصراني، وهذا استقاء من الآيات القرآنية المختلفة التي تقدم صورة كاملة واضحة عن هذه النظرة، وتعتبر أقرب أصحاب الديانات إلى المسلمين النصارى، وأبغضهم عليهم اليهود والمشركين[6].

المترفون:

أما إذا نظرنا إلى المجتمع، ودرسنا اللباس حسب الحال الاجتماعية للأفراد، فقد وردت في المصادر خاصة، منها الجغرافية نصوصا ساعدتنا على إحصاء بعض ألبسة المترفين على وجه الخصوص، وذلك فيما تذكره من ألبسة محكمة الصنعة بديعة الجمال، ففي **مرسية** و**المرية** و**مالقة** كانت تصنع « ثياب الحرير الموشاة بالذهب ذات الصنائع الغريبة»[7]،وفي **سرقسطة** «الثياب الرقيقة المعروفة

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص228.

(2) عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص 304. وقوله واصفا تلك الشكلة:«...أكمام مفرطة السعة إلى قريب من أبدانهم وبدلا من العمائم كلوتات على أشنع صورة كأنها البراديع تبلغ إلى تحت آذانهم...»

(3) عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص305.

(4) المقري: النفح، المصدر السابق، ج2، ص18.

(5) الزجالي :المصدر السابق، ق2، ص .

(6) نذكر منها الآيتين: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ سورة المائدة، الآية:82.

(7) ابن سعيد: الجغرافيا، المصدر السابق، ص140.

بالسرقسطية»[1]،وصناعة السمور أي الثياب الرقيقة المطرزة[2]، أضف إلى ذلك حلل الحرير النفيسة والديباج[3]،والسقلاطون[4] والاصبهاني[5] والمعاجر[6] وغيرها [7] .

وسمحت لنا كتب التراجم بالتعرف على عادة لباس المترفين، بالإشارة المباشرة، عندما ذكرت حياة أحد المترجمين لهم، وكيف أصبح يرتدي ذلك النوع من اللباس، حيث:«عمد إلى أزياء الملابس التي جرت على عادة المترفين بارتدائها في فصل القر (...)ثياب الملف والقباطي[8]والبرانس... »[9].

عامة المجتمع:

أما العامة، فلم ترد في المصادر إشارات مباشرة، أو خاصة بها، إلا ما ذكر عند الحديث عن لباس كل المرأة والرجل والطفل.

اللباس حسب الجنس:

إن المعلومات في المصادر المتوفرة بين أيدينا، يمكن لها أن توضح لنا أهم الألبسة التي ارتداها الأندلسيون إناثا وذكرانا

كبارا وصغارا، فقد وردت فيها نصوص تشير إلى كل ذلك.

فكان لباس الرجل في الأندلس مما ذكرنا سابقا غفارة وطيلسان وعمامة، وعباءة وجبة، وغير ذلك، بل هناك إشارات واضحة على تلثم وتنقب رجال المرابطين وغيرهم من أفراد المجتمع، فقد ارتداه غير المرابطين، ليس تأثرا بهم أو تقليدا لهم، وإنما استغله الأندلسيون خاصة عبيدهم، ليوهموا الناس أنهم مرابطون، فيهابهم الناس ويعملوا على برهم[10]، وهذا ما جعل أحد المحتسبة ينهى عن ارتدائه غير

---

(1) الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج3، ص240.

(2) ابن غالب: المصدر السابق، ص287، 288. العذري: المصدر السابق، ص22.

(3) محمود مقديش: المرجع السابق، ج1، ص159.

(4) نوع من الثياب الحريري المزخرف . R.Dozy : *supplément,op,cit,t1*,p663

(5) لعله نسبة إلى اصبهان.

(6) مفردها معجر، وهو ثوب تلف به المرأة رأسها. ابن منظور: المصدر السابق، ص 2115.

(7) الإدريسي:القارة الافريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1983، ص289.

(8) نسبة إلى الأقباط، ولعله يكون مصريا. R.Dozy : *supplément,op,cit*,t2,p302.

(9) ابن عبد الملك: المصدر السابق، س1، ق2، ص565.

(10) إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت، ط5، 1978، ص46، 47.

المرابطين، ونهى نهيا كاملا الحشم والعبيد(1)، إضافة على البرنس كلباس بربري انتقـــل إلى الأنـــدلس، وارتداه –كما رأينا سابقا- حتى المترفون(2).

وتأثروا بالنصارى المجاورين لهم خاصة الأمراء كما ذكر **المقري**(3)، فلبسوا مثلا الزنار(4) الـــذي امتاز به نصارى الأندلس وغيرها من البلاد كالمشرق(5)، وتذكر أزجال **ابن قزمان** نوعا من اللباس في قوله:

عسى عنـــكم عفـــات كـــاس صبـــرى حـــلوه

ثـــم ساق لي تـــزمرات لم يكف لي فيها شهوة(6).

حيث يفسر محقق الديوان أن لفظ "**تزمرات**" من التزمير ورأى أنه مشتق من الزمرة **البشكنسية** الأصل، التي تطلق على سترة خشنة يلبسها أهل الجبال(7). ومن المحتمل أن يكون هذا اللباس قد ارتداه أهل البشكنس في شمال شرق الأندلس(8)، حيث الجبال، فلبسها المسلمون هناك.

أما المرأة الأندلسية، فقبل أن نذكر ونحيط بأهم الألبسة التي ارتدتها، يمكن الإشارة إلى الخطـــوط العريضة لزيها، فتذكر المصادر المختلفة أن أغلب الحرائر الأندلسيات ارتدين الحجاب، كأهل المـــشرق، أما إماؤهم فكان يتسامح مع حجابهن، أما المرابطون فغير ذلك، حيث إن نساءهم على عكس رجالهم المنقبين المتلثمين، كن حاسرات الوجوه، كاشفات(9).

---

(1) ابن عبدون: المصدر السابق، ص26.

(2) سحر عبد العزيز سالم: "**ملابس الرجال في الأندلس**"، المرجع السابق، ص176. ابن عبد الملك: المـــصدر الـــسابق، س1، ق2، ص565. محمد أبو الفضل: شرق الأندلس في العصر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، 1996، ص237.

(3) انظر ص من هذا الفصل.

(4) الزنار هو خيط غليظ أو حزام من الإبريسم ، يشد على الوسط، وعند أهل الأندلس معطف يرتديه الرجل. الجرجاني: التعريفات، تحقيق عبد المنعم حنفي، دار الرشاد، القاهرة، دط، دت، ص130. عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، المرجع السابق، ص304. Dozy: *dictionnaire,OP,Cit,*p 197

(5) المقري، النفح، المصدر السابق، ج2، ص818.

(6) ابن قزمان: المصدر السابق، ص182.

(7) الاهواني عبد العزيز: على هامش ديوان ابن قزمان، المرجع السابق، ص 183، 184.

(8) انظر الخريطة في الملحق رقم(07) حيث تحدد موطن هؤلاء البشكنس وتضاريسه المتمثلة في الجبال.

(9) انظر الفصل الثاني، ص .

أما تفصيلا، فقد كانت المرأة مغطاة الرأس، حيث عرف عنها الخمار الذي عادة ما يكون من حرير أو كتان أو غير ذلك[1]، واستعملت المعاجر لتغطي وجهها أو تشد بها رأسها[2]، ووضعت أيضا المقنعة حيث تلفها حول رأسها و تدليها على كتفيها[3] ، و لعادة المرأة المسلمة ارتداء هذا الخمار، فقد تأثرت بها المرأة المسيحية و أصبحت تضع على رأسها خمارا كما يشير أحد المستشرقين [4] ، و في مقابل ذلك يذكر لنا **اللخمي** إحدى الألبسة التي ارتدتها المسلمة، و لم تكن من لباس البربر أو العرب، و إنما تأثرا بالمرأة المسيحية، و هو لباس الكنبوش[5] ، الذي كانت تضعه على رأسها تحت مقنعها، و لعله يعود لأصله اللاتينيCAPPUCION[6]

ثم إنها ارتدت من حلل الحرير الأنواع و الأشكال، كالأردية الموشاة بالديباج[7]، و صنوف الجوهر، و ألوان الصباغة المختلفة[8]، و لكثرة تلك الطرز منع **المنصور الموحدي** النساء منها و كفاهن الساذج القليل[9]

ورغم المفارقات في اللباس بين الجنسين إلا أن هناك عدة ألبسة يشترك فيها الجنسان، و المصادر المتوفرة تفيدنا ببعضها، خاصة ما جاء في النوازل، فيما تأخذه المرأة للرجل في جهازها، أوعند افتراق الزوجين، و ما يفرض على الرجل من توفيره للأم الحاضنة لأبنائه، و أهمها: القمصان، و السراويلات[10]، و مختلف ما يلبس للقدمين، أو ما يقابل النعل،، أو الحذاء من: أخفاف[11]، و أقراق[12] ، و هراكس[13]، و بلغ[14].

أما الطفل، فقد حاز هو الآخر بألبسة، تذكر المصادر بعضها في شكل نوازل، بداية من كونه رضيعا، حيث خص لفائف الكتان و حزام و نبيقات و محشو و فرو و قميص و جويربات[15] ، إضافة

---

(1) الإدريسي: المصدر السابق، ص289. اللخمي: المصدر السابق، ص148.

(2) الإدريسي: المصدر السابق، ص289.

(3) البرزلي: المصدر السابق ، ج 2 ، ص 390. ابن الحاج : المصدر السابق،و90.

(4) أميركو كاسترو: حضارة الإسلام في إسبانيا ، ترجمة سيلمان العطار، الدار الثقافية للنشر،القاهرة،ط1، 2002، ص 35.

(5) اللخمي: المصدر السابق، ص180.

(6) الأهواني عبد العزيز:ألفاظ مغربية، المرجع السابق،ج2 ص 309.

(7) محمود مقديش: المرجع السابق،ج1،ص 159.

(8) محمد أبو الفضل : المرجع السابق ، ص 240.

(9) ابن عذاري: المصدر السابق، قسم الموحدين،ص 174.

(10) البرزلي : المصدر السابق،ج 2،ص 390. ابن الحاج: المصدر السابق،و 90,92. الونشريسي: المصدر السابق، ج 3 ،ص 122.

(11) البرزلي : المصدر السابق،ج 2،ص 390. ابن الحاج: المصدر السابق،و 90,92. الونشريسي: المصدر السابق، ج 3 ،ص 122.

(12) ابن عبد الملك : المصدر السابق، س5، ق1، ص 322. ابن قزمان: المصدر السابق،ص 246. السقطي: المصدر السابق،ص 64.

(13) الزجالي: المصدر السابق ،ق 2، ص 26.

(14)Dozy:*supplement,op,cit*,p113.

(15) ابن الحاج: المصدر السابق، ج1، ص90. البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص390.

إلى الخرقة التي توضع على عنقه؛ لتصون ثيابه من اللعاب، والتي يطلق عليها الأندلسيون اسم البيطر[1]، وعند يكبر الرضيع و يصبح صبيا، فإن لباسه قميص و محشو و طويق و غفيرة و ملحفة و قرق و جرموق و جويربات[2].

اللباس حسب المناسبات و الفصول:

أما في المناسبات المختلفة، فقد أبرزت المصادر لباس أحزان الأسرة بوجه خاص، و فصلت فيه الحديث، و ذلك أنه رغم اتخاذ المرابطين السواد شعارا لهم، حين نادوا بسيادة العباسيين، إلا أن أفراد المجتمع بقي على عاداته[3]، المتمثلة في ارتداء البياض في الأحزان، فكانوا بعيدين عن كل تغيير سلطوي، وهذا اللباس يعود إلى الأمويين الذين تقلدوه نقضا للعباسيين، و استمر عليه المجتمع الأندلسي، فأصبح من عاداته[4]، التي تكلم عنها الشعراء في مختلف دواوينهم، فقال **أبو الحسن الحصري** مثلا: (بحر الوافر)

إذا كان البياض لباس حزن ... بأندلس فذاك من الصواب

ألم تروني لبست بياض شيبي ... لأني قد حزنت على الشباب[5].

و قد أعجب أحدهم بأهل الأندلس و لباسهم، فقال: (بحر الوافر)

ألا يا أهل أندلس فطنتم ... بلطفكم إلى أمر عجيب

لبستم في مآتمكم بياضا ... فجئتم منه في زي غريب

صدقتم فالبياض لباس حزن ... ولا حزن أشد من المشيب[6].

و في أيام الأعياد كالجمعة كان الأندلسي يخرج للصلاة مرتديا أحسن الثياب وخصص لذلك لباسا، و كان لا يرتديه إلا في هذا اليوم، كالغفارة[7] والطيلسان المحنك الذي شاع استعماله في صلوات الجمعة[8]، وقد وصف **ابن الخطيب** هذه الهيئة في قوله:« فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار

---

(1) الأهواني عبد العزيز:ألفاظ مغربية،المرجع السابق،ج1، ص146.

(2) البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص384،395. ابن الحاج: المصدر السابق، و90.

(3) عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص147.

(4) ابن دحية: المصدر السابق، ص81. آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية أبو ريدة محمد عبد الهادي، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1986، ج2، ص653. ابن بسام: المصدر السابق، ج3، ص572.

(5) ابن دحية: المصدر السابق، ص81.

(6) المقري: النفح، المصدر السابق، ج2، ص440، 441.

(7) ابن الحاج: المصدر السابق، و90.

(8) سحر عبد العزيز سالم: "**ملابس الرجال في الأندلس**"، المرجع السابق، ص172.

كأنهم الأزهار المفتحة»[1]، أما في الأعياد الأخرى كعيد الفطر و الأضحى، فقد اعتاد الأندلسي أنظف، وأحسن الثياب، و يذكر لنا **ابن قزمان** ذلك الاهتمام، فيقول:

كنـــريد نلبس فـــذا العيد   محشوا جديد مشاكل

حسن التفصيل مليح جيد   واع التربيع كامل[2].

و لم يكتف بهذه المناسبات، و إنما قد خص للفصول ألبسة أيضا تذكرها المصادر المختلفة، كما جاء في الإحاطة :«الملف المصبوغ شتاء، و الكتان و الحرير و القطن و الأردية الإفريقيـــة و المقـــاطع التونسية و المآزر المشفوعة صيفا» [3] ، وقبل أن نستخلص من القول لباس الشتاء والـــصيف، فهنـــاك إشارة لافتة للنظر، تلك المتمثلة في انتقال اللباس الإفريقي و البربري إلى الأندلس،أما الصبيان، فقد كان لباسهم القمصان و السراويلات في فصل الصيف، والفرو والمحشو في فصل الشتاء[4].

وكل واهتم أهل الأندلس بتغيير اللباس حسب الفصول، لخصته العامة في إحدى أمثالهـــا قائلـــة :«**إذا ريت الخوخ و الرمان فكر في ثيابك أيها العريان**»[5]، فالخوخ و الرمان كما نعلم فاكهة مـــن فواكه فصل الخريف، فهي رمز من رموز هذا الفصل، لذلك نصحت العامة في التفكير بتوفير ما يجـــب ارتداؤه في الفصل القادم، مستعيرة بهذه الرموز إلى تغيير اللباس الصيفي الخفيف بلباس أخشن و أدفـــأ لفصل الشتاء .

كما أن للنساء لباسا مترليل خاصا، يتمثل في ثياب أفواها ضيقة، وتخرق في الأسفل إلى الساق، حيث يساعدهن على ممارسة أشغالهن المترلية[6]، والاهتمام أكثر عند تخصيصهم للنوم ثيابا[7].

و بهذا يمكن القول: إن الأسرة الأندلسية غنية كانت أو فقيرة قد اهتمت باللباس، و ســـعت إلى تغيير في مختلف المناسبات و الفصول.

---

(1) ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص36.

(2) ابن قزمان: المصدر السابق، ص662.

(3) ابن الخطيب: المصدر السابق، ج1، ص36.

(4) البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص384.

(5) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص04، والعبارة نفسها في ديوان ابن قزمان:"إذا ريت الخوخ أو الرمان كدا انظر لنفـــسك أيهـــا أعريان"، ص 134

(6) ابن عبدون: المصدر السابق، ص52.

(7) الضبي: المصدر السابق، ص94.

بعض المعتقدات اللاحقة باللباس :

ظهرت بعض المعتقدات في حياة الأسرة الأندلسية، ففي عادات اللباس كان الأندلسيون يتشاءمون من ارتداء الجبــة تحت القميص[1]، و اعتبروا هذا اللباس نحســا على الذي ارتداه، أضف إلى ذلك المثل القائل: «**ثلاثة تدل على نحس المرء: إذا لبس ثيابه يجيه الأم لورا، و إذا رمى بقرقــه ليلبــسه يجــي وجهــه إلى الأرض...**»[2] ، فهم يتشاءمون من قلب الثياب، و تحويلها لغير الاستسقاء، أما قلب وجه الفرق أو الحــذاء، فيمكن أن يكون الاعتقاد نفسه في مجتمعنا اليوم، وذلك أنه علامة ملازمة صاحبه فراش المرض. و المعتقــدات كما هو معروف تتبع عموما من حدوث أمر بسبب معين في إحدى المرات على وجه الفجأة، فإذا تكــررت اعتقدها الناس حقيقة، و أصبحت عادة من عاداتهم.

واستخلاصا مما سبق، فإن الأسرة الأندلسية قد اهتمت باللباس، وراعت فيه جملة مــن الاعتبــارات، كالفصل و الجنس و الفئة، وفي كل ذلك تأثير وتأثر بين مجموع أفراد المجتمع، من مسلمين عربا كانوا أو بربرا ومسيحيين ويهود، وتلك العادات قد امتزجت أيضا ببعض المعتقدات، وأصبحت تميز اللباس الخاص بالأســرة الأندلسية.

2- زينة الفرد الأندلسي:

نظرا لقلة المعلومات وتناثرها في المصادر، فإنه لا يمكننا أن نلم بكل ما تميز به الفرد الأندلسي في المحافظة على جماله وحسن مظهره، إلا ما نحاول تبيانه في النقاط الآتية:

– اختيار الألوان و تنسيقها:

لقد كان الأندلسيون يرتدون الملابس حسب اللون الذي يتلاءم مع الفصل، وفي ذلــك يقــول صاحب مسالك الأبصار:« أكثر لباسهم في الشتاء الجوخ، و في الصيف البياض» [3] ، فهم يفرقون في لون لباسه بين لون قاتم لفصل الشتاء، وبياض في فصل الصيف، فالأول جاذب للحــرارة والــدفء، والثاني أقل جذبا، ويفهم من هذا أنهم يخصصون للأحوال المناخية اللون اللائق بها.

كما كانوا يختارون ألوانا خاصة لبعض الألبسة، مثل الغفــائر الــتي لا تكــون إلا حمــراء أو خضراء[4]، والحلل موردة[5]، والمعصفر من الثياب[6]، وأهم هذه الألوان هو الأخضر[7]، حيث شــبهه أحدهم بالذهب، واعتبر لابسه أكثر بهاء وجمالا[8].

---

(1) الزجالي: المصدر السابق،ق2، ص48.لاحظ المثل:«**النحس النحيس الجبة تحت القميص**»

(2) المصدر نفسه، ق2، ص172.

(3) العمري: المصدر السابق، س4، ص106.

(4) المقري: النفح، المصدر السابق، ج1، ص223، ج2، ص611. ابن قزمان: المصدر السابق، ص180.

(5) ابن سعيد: المغرب، المصدر السابق، ج1، ص268، ج2، ص518.

(6) ابن بسام: المصدر السابق، م3، ص402.

(7) المقري: النفح، المصدر السابق، ج2، ص611. المراكشي: الإعلام، المصدر السابق، ج3، ص39.

(8) المصدر نفسه، ج3، ص402.

واهتم الأندلسيون أيضا بتنسيق الألوان، حيث كان يختار مع كل لون اللون الذي يناسبه،كما يوضح **ابن قزمان** في مقطوعة من أزجاله أن الثوب الأزرق تلزمه غفارة خضراء فستقية، في قوله:

من لبس ثوبا سماويا مـن أقـامت المرية

لا تكون عليـه غفارة إلا خضرا فستقية[1].

وارتدوا أيضا « عمامة بيضاء (...) وغفارة حمراء على جبة خضراء»[2]، كما ارتدى آخر«ثوبا أصفر فوق أحمر»[3].

وما هذه الألوان إلا أمثلة حصلنا عليها من المصادر المختلفة حاولنا ضمنها أن نبين أن الأندلسي بقدر ما كان ينسق و يختار ألوان لباسه، فقد كان أيضا يختار الألوان التي نعتبرها اليوم ألوانا زاهية تضفي على الوجه جمالا وحسنا.

- **التطيب والتحلي**:

كان الأندلسيون يهتمون بالهندام ونظافته، وهو ما ذهب إليه **المقري** حين قال:«أهل الأندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون، وما يفرشون، وغير ذلك مما يتعلق بهم، وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه، فيطويه صائما، ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو عنها العين»[4].

كما اهتمت المصادر الجغرافية والرحلات، باعتبار أن الرحالة والجغرافيين هم أكثر ملاحظة للمجتمعات ومظاهر الحياة، فترد في كتبهم نصوصا كثيرة تشير على سبيل المثال إلى الاهتمام بتنظيف و غسل الشعر و اعتياد ذلك[5] .

و هذا ما نجده ضمن المصنفات الفقهية، كالحسبة، حيث عمل المحتسبة على نبذ كل من أطال شعره، و طبقوا فيه أحكام التأديب، من قص و حلق؛ لأنها ترى في الشعر الطويل شرا و ذعرا [6].

(1) ابن قزمان: المصدر السابق، ص180.

(2) المقري: النفح، المصدر السابق، ج2، ص611.

(3) ابن الأبار: تحفة القادم، المصدر السابق، ص112.

(4) المقري: النفح، المصدر السابق، ج1، ص223.

(5) الإدريسي: المصدر السابق، ص276. العمري: المصدر السابق، ق4، ص106.

(6) ابن عبدون: المصدر السابق، ص59.

ويشير **ابن قزمان** في إحدى أزجاله إلى مظهر من مظاهر الفرد في أسرته و مجتمعه، و هو العاشق الذي يجب أن يكون نظيف الثياب والجسم ، والتخصيص للعاشق، ذلك أن مظهره الحسن يكون أكثر استحسانا من المعشوق [1].

وقد استعمل الأندلسيون بعض المواد لتنظيف الأبـــدان، كمـــاء الـــسلق و دردي الـــشراب و الصابون[2]، ولحسن الرائحة و فوحها، قد استعمل الأندلسي أنواع الطيب، يذكر **المقري** أصـــولها في خمسة أصناف، وهي:العنبر والكافور والمسك والعود والزعفران [3]، و هذه الأصناف الخمسة أيضا قد عنيت بها المصادر الأخرى كالتراجم، التي تذكر أن أحدهم كان يكثر من استعمال أفضل الطيـــب [4] ،كما يذكر إحدى تلك الأصناف **ابن قزمان**، ويفضلها على سائر أنواع الطيب، ولا تطيب في نظـــرة إذا لم يستعمل العنبر [5]، في حين نجد إشارات أخرى إلى أن بعضهم يستعمل من الطيب مـــا لم يـــذكر آنفا، و هو ماء الورد القرطبي [6] .

وتستعمل العامة موادا لتطييب رائحة الإنسان، فلتطييب الجسد« اســـتعملت الـــصندل[7]، و الورد، و مرتك المربى بماء الورد، و الباخورات، و للثياب الذرور المطيبة» [8]، وحتى الأجزاء الأخـــرى من الجسد كالفم والأنف، فقد استعملت وصفات لإزالة وتغيير رائحتها،مثل«وصفة العـــود الرطـــب والكزبرة والفول وقشر الأترج أما الأنف فبسعوط من دهن الموز والبنفسج والنيلوفر واليـــاسمين» [9]، إضافة إلى ذلك، ما يتزين به الفرد من خضاب وحلي، فكان الفرد ذكرا أو أنثـــى يـــستعمل لـــشعره الخضاب، وكثيرا ما تعهد ذلك، واعتبره من سمات الجمال [10].

وكانت المرأة أكثر اهتماما بالزينة، خاصة ما عرفت به من شغفها بأنواع الحلي، التي تشير إليها المصادر المختلفة ، دالة في ذلك على أنه من زينة المرأة، كالخلخال والقرط والقلادة والسوار [11]، ولم تتوقف زينتها عند الحلي، وإنما صنعت وصفات خاصة بالجمال، كوصفة تحمير الخدود، التي أطلقـــت

---

(1) ابن قزمان: المصدر السابق، ص242.

(2) السقطي: المصدر السابق، ص52.

(3) المقري: النفح، المصدر السابق، ج1، ص199.

(4) ابن عبد الملك: المصدر السابق، س5،ق1، ص260.

(5) ابن قزمان: المصدر السابق، ص106.

(6) ابن صعد: المصدر السابق، و44.

(7) شجر هندي طيب الرائحة، يشبه شجر الجوز، يحمل ثمرا في عناقيد، وله حب أخضر. ابن منظور: المصدر السابق، ص2507.

(8) السقطي: المصدر السابق، ص52.

(9) المصدر نفسه، ص نفسها.

(10) العمري: المصدر السابق، ق2، ص106. ابن سعيد المغربي: اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، تحقيق ابراهيم الأبيـــاري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1400/ 1980، ص55.

(11) عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، المصدر السابق، ص474. ابن دحية: المصدر السابق، ص207. ابن ســـعيد: المغرب، المصدر السابق، ج1، ص397.

عليها الغاسول، المتمثل في:« دقيق الباقلا والكرسنة خمسة أجزاء ومن عروق الزعفران وبورق وحناء من كل واحد ربع جزء، ويغمر بذلك الوجه» [1]، ووصفة تغيير لون العينين من أسود إلى أخضر، بوضع لبن الأتان في عينيها [2].

ونستخلص من كل ما سبق، أن حياة الأندلسي اتسمت بالتميز، حيث كان نظيفا في مظهـره، تفوح منه رائحة الطيب، متحليا بأنواع ووصفات الزينة، كقص الشعر واستعمال الصابون والعنبر وماء الورد، وتميزت المرأة في ذلك أكثر، فإضافة إلى النظافة وأنواع الطيب، كانت تستعمل الحلي، ووصفات مختلفة تعطيها لمسات الجمال.

ثانيا :مظهرالمنزل :

بعد دراستنا لأهم خصائص وميزات زي الفرد الأندلسي، فقد لاحظنا أنه محيطه أيضا يتطلب الإشارة إليه، خاصة منزله الذي يحتويه، فهل أن الأسرة الأندلسية كان لها الاهتمام نفسه بشكل ونوع المنزل مثلما اهتمت باللباس أم لا؟ وإذا كان هناك اهتمام، فما هي أهم الخصائص التي عرف بها المنزل الأندلسي؟

1-شكل البناء:

إن البناء مثل كل أجزاء الحياة، ولذلك فدراسته تتطلب منا تتبع الطبقات الاجتماعية والمناطق الحضرية، فلا غرو أن يكون هناك اختلاف بين منازل الأغنياء ومنازل عامة المجتمع، وبين منازل المدن، ومنازل القرى ،ولذلك فقد ارتأينا أن نقسم المنازل في الأندلس حسب المناطق الحضرية، ثم الاهتمام بمنازل المدن على وجه الخصوص فقيرها وغنيها.

أ- منازل القرى:

كانت منازل القرى كما يذكر الدارسون تتميز بالبساطة، وفي أغلبها تتكون من طابق أرضي، بداخله عدة قاعات أو حجرات، منها ما يخصص للضيوف، ومنها ما يخصص لأفراد العائلة، مع وجود صحن تتضمنه حديقة صغيرة، فيها بعض الأزهار، وأحيانا أشجار الفاكهة[3]، ويتميز في هذه المنازل

---

(1) السقطي: المصدر السابق، ص50.

(2) المصدر نفسه، ص نفسها.

(3) عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، المرجع السابق، ، ص 298.

بأنه مكان التقاء أفراد العائلة، وأشغال المرأة المترلية، كما أنه مرتع للأطفال [1]، هذا إذا كان المترل على ضفاف المياه الجارية، أما إذا كان المترل منعزلا بعيدا عن مكان جلب المياه، فيتطلب من الأسرة حفـــر بئر، يتوسط بناء المترل، وتستغني الأسرة بذلك عن الصحن[2].

ب- منازل المدينة:

في المدينة تتواجد كل فئات المجتمع، التي تتفاوت فيما بينها تبعا للمصدر المالي، ولذلك فالمنـــازل الأندلسية في المدينة، تجرنا للحديث بعد تقسيم الدراسة إلى منازل الأغنياء ومنازل عامة المجتمع.

القصور:

تفيدنا المصادر الأندلسيـــة ببعض الإشارات عن قصور مختلفة، إلا أنها تكتفي فقــط بـــذكرها وأماكن تواجدها وأصحابها، ولا تلج بداخلها إلا أحيانا، وهذا ما يجعلنـــا نقتصر على الإشـــارة إليها بإيجاز، فقد كانت قصورا فخمة، واهتمم أمراء الأندلس ببنائها، والإكثار منها، والإبداع في زخرفهـــا، ومن بين هذه القصور: القصر الفـــارسي الذي يعتبر من القصور المخصصة للترهة بقرطبـــة[3]، وقصر شنيل الذي بناه الموحـــدون بمدينة اشبيلية[4]، إضـــافة إلى قصر المرج بمدينة ميورقة[5]، الذي يعتـــبره المؤرخون قصرا لأحد المرابطين المناهضين للموحدين[6]،وهناك الكثير[7].

منازل الأغنياء:

إضافة إلى تلك القصور، هناك المنازل ذات العمارة العظيمة، والتي ستحاول الدراسة الكـــشف عنها وعن خصائصها.

---

(1) توروس بلباس: الأبنية الإسبانية الإسلامية، تعريب علية إبراهيم العناني، مجلة المعهد المصري للدراسات الإســـلامية، الـــسنة الأولى، العدد الأول، 1953/1372، ص127.

(2) عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، المرجع السابق، ص299.

(3) المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج1،ص473.

(4) سامية مصطفى: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين، مكتبة الثقافة الدينيـــة، القـــاهرة، ط1، 1423/ 2003.

(5) هي جزيرة في شرق الأندلس قريبة من جزيرة منورقة كانت قاعدة من قواعد الحكم العامري في الأندلس.الحموي :معجم البلدان، المصدر السابق، ج5، ص285.

(6) يعقوب زكي(جيمس دكي): "**الحديقة الأندلسية –دراسة أولية في مدلولاتها الرمزية**" ،ترجمة محمد عصفور، الحضارة الإسلامية في الأندلس، المصدر السابق، ج2، ص1423.

(7) المقري: نفح الطيب ، المصدر الـــسابق،ج1،ص136، 377، 463، 465، 503، 527، 546، 625، 628. ج6، ص476. ج7، ص217.

ولذلك فإنها على شكل واجهات صماء يظن المار بها أنها خالية، بولوجه المترل، يتبين له ما يحويه من مختلف المرافق والأجزاء[1].

أما مدخل الدار فيتميز بباب صغير، خال تماما من الزخرفة، وهذا الباب هو الـذي يـؤدي إلى رواق على شكل دهليز أو ردهة، حيث بواسطته يكون الدخول إلى ما يسمى بالبهو[2].

وبالداخل تتبين تلك الأجزاء، التي تتمثل في الغرف المختلفة، والمأخوذة من نظام عمارة المنـازل الشامية، التي تميزت بقاعات، أبرزها الإيوان، أي الغرفة العالية السقف[3]،وهي كقاعـة للاسـتقبال، والجدير بالذكر، وجود تلك القاعات، التي بنيت حسب الفصول، فنجد قاعـات شـتوية في الجهـة الشمالية؛ لكونها عرضة لأشعة الشمس، وإدخال الدفء لتلك القاعات في فصل البرودة، وخص أيضا فصل الصيف أو الحرارة بقاعات جنوبية؛ لتخفيف الحر وترطيب الجو[4].

وتميزت أيضا بوجود طابق علوي فوق هذا الطابق الأرضي، الذي يمكن الصعود إليـه بـسلالم خشبية ضيقة عالية، ذات درجات في غاية الارتفاع، ويتميز هذا الطابق بالسقف المنخفض، إضافة إلى ما يحويه من غرف قد خصصت للنساء والحياة الخاصة[5]، أو غرفة علوية تكرى أو تجعل للخدم تدعى مصرية[6]، ويلحق بهذا الطابق نوافذ تدعى الشماسات أو الشمسيات الزجاجية[7]، حيث يسمح بدخول الهواء والضوء دون الإطلال على بيوت الجيران

ومن أبرز وأهم خصائص شكل البناء، تلك الباحة السماوية أو الفسحة أو الصحن، الذي يتوسط البناء، وتنفتح إليه كل الغرف[8]، وحتى غرف الطابق العلوي فهي تطل عليه بواسطة عدة نوافذ[9]، ولقد أرجع أحد الباحثين خاصية البيت الذي يحوي الصحن، أنه لم يكن بجديد في جزيرة الأندلس، وإنما هـو نمط وجد قبل مجيء المسلمين خاصة منهم العرب، ولما كان مناسبا لأذواقهم، فقد اتخذوه نمطا لمنازلهم[10]، وغدا هذا الصحن جزءا رئيسا لجميع المنازل في الأندلس، رغم الاختلاف في زينته.

---

(1) عفيف بهنسي: جمالية الفن العربي،مجلة عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطني للثقافـة والفنـون والآداب، الكويـت، ينـاير 1978، ص138، 139.

(2) توروس بلباس: المرجع السابق، ص124.

(3) السيد عبد العزيز سالم : في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دط، 1985، ص184.

(4) عفيف بهنسي، المرجع السابق، ص138. كما يغير الأندلسي لباسه من فصل لآخر، فكذلك راعى تغيير الغرفة التي يسكنها.

(5) توروس بلباس: المرجع السابق، ص127،124.

(6) المقري: النفح، المصدر السابق، ج1، ص541.

(7) توروس بلباس: المرجع السابق، ص124. السيد عبد العزيز سالم: **"بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية"**، صحيفة معهـد الدراسات الإسلامية مدريد، المجلد الخامس، العدد1و2، 1957/1377، ص246.

(8) عفيف بهنسي: المرجع السابق، ص 139. بنحمادة سعيد: الماء والإنسان في الأندلس، دار الطليعة للطباعة والنشر، بـيروت، ط1، 2007، ص106.

(9) توروس بلباس: المرجع السابق، ص124.

(10) توروس بلباس: المرجع نفسه، ص124. مسعد سامية مصطفى: المرجع السابق، ص55.

اهتم الأندلسيون بشكل الصحن حتى أصبح ذا طابع خاص في عصر المرابطين، الذين أحدثوا فيه التغيير، فاتخذ شكل المستطيل(1)، أزيح من وسط البيت قليلا إلى الجهة الجنوبية، حتى أصبح يتقدم القاعة الرئيسة في المترل-الإيوان-مشكلا ثلاثة عقود، و أوسطها أكبر من الآخرين(2)، فكان هذا الشكل بداية للتغيير في شكل الصحن بالمترل الأندلسي.

والجدير بالذكر والمناقشة هنا، هو ما ذكره بعض المؤرخين، من صفات المرابطين، الذين كانوا لا يعرفون إلا حياة التجول و الانتقال بأنعامهم و خيامهم(3)، ثم نجدهم يهتمون بشكل صحن البيت، فلا بد وأن هؤلاء عند دخولهم الأندلس، تأثروا بالحياة الأندلسية، فأقاموا المنازل عوض تلك الخيام، واستقروا بدل التنقل، بل إنهم -مما ذكرنا سابقا- اهتموا بشكل الصحن في المترل، حتى وصلوا إلى استكشاف شكل جديد له، وهذا ما يؤكده الفكر الخلدوني عن مراحل تطور الأمم، التي اعتبر ابن خلدون أصلها البداوة، وبتطورها وحصولها على أسباب الراحة، تركن إلى البناء والتوسع والاستمتاع، فتتأنق في أحوالها المختلفة كالملابس والمطاعم والمساكن(4).

وفي قول هؤلاء الباحثين أيضا، إشارة أكثر لفتا للانتباه، تلك التي تميز بها الموحدون في معرفتهم السابقة لمعنى البيت و معنى الحقل أو الحديقة(5)، على عكس المرابطين، كما لا يفوتنا الإشارة إلى وجود مرافق أخرى في المترل الأندلسي، كالمطبخ و بيت الخلاء،إضافة إلى أمكنة الخيول أو المكان المخصص كمقبرة لرئيس العائلة،كما جسدها أحد الباحثين في مخططات مختلفة(6) ، وأكثر من ذلك كانت بها حمامات خاصة على طراز الحمامات العامة فقط أصغر منها(7).

منازل العامة :

أما عن منازل عامة المجتمع الأندلسي، فقد تميزت بالبساطة و التواضع، و كما كان لمنازل الخاصة ذلك الأسلوب البسيط في الشكل الخارجي، فكذلك كانت منازل العامة، حيث يعتبر هذا الأسلوب عاما منتشرا انتشارا واسعا، و تشترك فيه معظم المنازل الأندلسية(8).

---

(1) توروس بلباس: المرجع السابق، ص128.

(2) المرجع نفسه،ص نفسها

(3) جان وجيروم طارو: المرجع السابق، ص 122.

(4) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص651، 658.

(5) جان وجيروم طارو: المصدر السابق، ص122.

(6) انظر الملحق رقم: (07)

(7) توروس بلباس: المرجع السابق، ص109.

(8) عبد العزيز سالم: في تاريخ و حضارة الإسلام في الأندلس . المرجع السابق، ص 184. توروس بلباس: المرجع السابق ، ص 124

ويتوفر المترل على مدخل يوصلنا إلى ممر منعرج أو منكسر على شكل زاوية قائمة، وفيها بابان؛ حيث إن الباب الأول ليس على منحى الباب الثاني، حتى لا يتمكن من بالخارج أو المار رؤية ما بالداخل[1].

ويصف **ابن قزمان** الحجرات الصغيرة، التي يتوسطها بئر[2]، و في بعض الأحيان نجد من تفوق عليهم بطابق علوي متواضع[3]، و كل ذلك يغطى بسقف من القرميد أو التبن[4] ، حسب الوضع المالي لأسر العامة،وتبعا لهذا فقد وصل أحدهم أن ابتنى أحدهم لنفسه بيتا سقفه حطب الشعر أو الطرفاء[5].

ويوجد في بعض منازل الأغنياء الصحن أو البهو على شكل مربع[6]، ولا سيما المنازل التي تتوفر على مياه الجلب أو على ضفاف الأنهار، أما المنازل التي تعذر وجود المياه بها، فقد كانت تستغني عن ذلك الصحن بآبار مياه[7]، كما هو الحال في كثير من مدن الأندلس[8]، وعلى سبيل المثال مدينة مالقة[9]، التي تصفها المصادر، بأن أهلها يشربون من الآبار[10]، ومعنى ذلك أنها قد استغنت عن الصحن بآبار في وسط المترل، ويرجع أحد الباحثين ذلك إلى افتقار هذه المدينة للمياه الجارية[11].

وصفوة القول أن منازل الأندلس تختلف في شكل بنائها بين طبقة الخاصة وطبقة العامة، رغم وجود عدة نقاط تشابه، كالمظهر الخارجي، المتسم بالبساطة، ووجود الصحن في معظم المنازل، ومدى مراعاة الأندلسي لشكل البناء، وتكييفه مع احتياجاته الضرورية، كالماء و الظروف المناخية، مركزا على تنوع حجراته، حسب فصول البرد و الحرارة.

---

(1) توروس بلباس : المرجع نفسه، ص 127 .

(2) ابن قزمان : المصدر السابق، ص 562، 588 .

(3) عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين، المرجع السابق ، ص 324

(4) ابن الحاج: المصدر السابق، و 245 .

(5) المقري: النفح، ج 3، ص 4. الضبي: المصدر السابق ص 84

(6) السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ و حضارة الإسلام في الأندلس ، المرجع السابق، ص 185.

(7) ابن الأبار : المعجم، المصدر السابق، ص 64

(8) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1991، ص 188. الحميري: المصدر السابق، ص 517 .

(9) مدينة بالأندلس على شاطئ البحر،تقع بين الجزيرة الخضراء والمرية، تحيطها أشجار التين من جميع جهاتها، يشرب أهلها من الآبار. الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج5، ص52. الحميري: المصدر السابق، ص217، 218. الرشاطي: المصدر السابق، 56.

(10) الحميري: المصدر السابق ، ص517

(11) توروس بلباس : المرجع السابق ، ص 127 . أضف إلى ذلك الخريطة الجغرافية للأندلس نظر ملحق رقم: (07)

2- تزيين المنزل:

- المظهر الخارجي:

لقد حدد بعض الباحثين، خاصة منهم الذين درسوا البيت كقطعة أثرية بالمشاهدة، وحددوا معالمها، فإن المظهر الخارجي للبيت الأندلسي، يتميز بالبساطة، ويشتمل على واجهات صماء بخلاف ما عليه من الداخل، على عاداته متواضعا[1]، ويعود عدم اهتمام الأسرة الأندلسية بالمظهر الخارجي؛ لأنها تبني مترلها لنفسها، كي تتمتع بالحياة في الداخل، مستقلة عن غيرها[2].

أما عن اختيار اللون أو صبغة الحيطان الخارجية للمترل، فهو الأبيض، فيمدنا **المقري** بنص يصف فيه **ابن سعيد،** اللون الخارجي المترل، المتمثل في هذا اللون لأغلب المنازل، خاصة منازل القرى [3]، التي لا تنفر العين عند رؤيتها، وهذا القول جاء بعد دخوله الديار المصرية، ورأى ما بها من سواد يضيق له الصدر وتكدر العين[4]، ويشبه **المقري** أيضا صورة ذلك البياض بـ:«نجوم في سماء الزيتون»[5]،حيث يظهر جمالها الناصع من مكان بعيد.

وحول المترل في معظم الأحيان، نجد حديقة متنوعة الأشجار والأزهار، وتعتبر شكلا من أشكال الحديقة الفردوسية، التي اهتم بها المسلمون.

ففي عصر المرابطين، قد فاق الاهتمام بالصحن التصور، حيث أقيمت عدة حدائق متميزة سواء التابعة للقصر أو غيرها، إلا أنها قد تميزت باحتوائها على شجر البرتقال على وجه الخصوص[6]، وتظهر كما يصف بعض من ذكر فضائل الأندلس، متكاثفة منقوشة في صور منمقة[7].

وكان الأندلسيون يطلقون عليها لفظ الجنات والبساتين [8]، والوصف الوحيد الذي أمكن للمصادر تقديمه هو: احتواء هذه الحدائق على الأزهار، والأشجار ذات الثمار [9]، وفي هذه الحدائق

---

(1) السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، المرجع السابق،ص184. عفيف بهنسي: المرجع السابق،ص139.

(2) توروس بلباس : المرجع السابق ، ص 123 .

(3) المقري: نفح الطيب، المصدر السابق ، ج1، ص205.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص202.

(5) نفسه،ج1، ص202.

(6) المرجع نفسه، ص1423،1422 .

(7) ابن صقلاب: رسالة في فضائل الأندلس، تحقيق محمود خياري، مجلة كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، العدد2، 2002/1423، ص193، ومجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية، السنة العاشرة، العدد 38، ربيع الآخر 1423، يوليو 2002، ص149.

(8) الحميري: المصدر السابق، ص59، 183، 317. العذري: المصدر السابق، ص18، 19. الزهري: المصدر السابق، ص82.

(9) الحميري: المصدر السابق، ص612، 119، 67، 394، 507، 606. الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج5، ص126. القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص222. العمري: المصدر السابق، س4، ص107، 211.

والجنات، كان الأندلسيون يستمتعون بالأحاسيس بالنظر وأصوات المياه وروائح الزهور....الخ، وحتى الفقراء ، فقد كانت حول بيوتهم جنات وحدائق صغيرة، يقتاتون منها بما يغرسون فيها من بقل وثمر[1].

-المظهر الداخلي للمنزل:

إن داخل المنزل تبرز الصورة الموحية بجمال العمران، فالزخرفة وأشكال التنميق تبدأ في الظهور بمجرد الدخول إلى وسط المنزل[2]، حيث يتواجد ذلك الصحن، الذي يمثل فتحة سماوية، تتوسطها بركة أو بحيرة[3]، ويتدفق إليها الماء عبر نافورات أو ينابيع، بأشكال حيوانية مختلفة[4]، وحتى البيوت الخالية من الصحن، فقد كانت تتميز بأحسن الأشجار[5].

فالبيت الأندلسي يتسم بالتزيين من الداخل، للاستمتاع به دون غيره، فإن ذلك الصحن الذي يحاط بالزينة والماء والاخضرار وألوان الأزهار، حقيقة يمتع الناظر من مختلف البيوت المنفتحة عليه[6]، فالماء والزهر يعملان على إنعاش، وتجميل المنظر، بل يعتبران مظهرا يبعث على الحركة والبهجة داخل المنازل الأندلسية.

وإذا دخلنا إلى البيوت المحيطة بالصحن، فنجد تلك الزخارف المختلفة، ذات صور نباتية وزهور ولوحات لمدن وبساتين[7]، حيث تختلف اختلافا واضحا عن تلك الصورة للمظهر الخارجي، الخالي من كل زخرفة، وتكسي جدران البيوت، وتبسط أرضها بنوع من الرخام، أو الزليج[8] ذو الألوان العجيبة[9]، وفي الأعلى طرز خشبية تلي مباشرة السقف الخشبي[10]، وهذه الكسوة يدعونها إزارا؛ لأنها على شكل الإزار اللباس، حيث يغطي الجزء الأسفل من الجسم[11]، إضافة إلى مختلف الخزائن الخشبية ذات طبقات[12]، و الأفرشة التي هي الأخرى تتفاوت في جمال تركيبها وغلائها وتوفيرها في المنزل حسب الانتماء الاجتماعي للأسرة، فالأفرشة في منازل الأغنياء، هي:" الأسرة المرصعة، والحصر الفتانة"[13]، والبسط الفاخرة والتنتلية التي اختصت بصناعتها بعض المدن الأندلسية[14].

---

(1) المقري: النفح، ج3، ص4. الضبي: المصدر السابق، ص84.

(2) عفيف بهنسي: المرجع السابق، ص139.

(3) عفيف بهنسي: المرجع نفسه، ص139. توروس بلباس: المرجع السابق، ص127. سعيد بنحمادة: المرجع السابق، ص106.

(4) عفيف بهنسي: المرجع السابق، ص139. عصمت دندنش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل، المرجع السابق، ص324.

(5) توروس بلباس: المرجع السابق، ص127.

(6) عفيف بهنسي: المرجع السابق، ص139.لويز يولتز:"**نباتات الصباغة والنسيج**" الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ج2، ص1389.

(7) المرجع نفسه، ص نفسها.

(8) الصخور الملساء. ابن منظور: المصدر السابق، 1851.

(9) المقري: نفح الطيب، ج1، 202.

(10) عبد العزيز سالم: **بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية**، المرجع السابق،ص244، 245.

(11) المرجع نفسه،ص نفسها.

(12) ابن عبدون: المصدر السابق،ص58.

(13) المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص201.

(14) المقري: المصدر نفسه، ج1، ص222. القز ويني: المصدر السابق، ص502.

أما منازل العامة، فكانت تفترش ببسط من صوف[1]، وحصر من حلفاء[2]، إضافة إلى إهاب الحيوانات التي يصطلح عليها العامة في الأندلس بـ"هيدورة"[3]، والحنبل كنوع من أنواع البساط[4].

ولذلك فقد كان المترل الأندلسي يتميز بصورته الجميلة، صب في قالب فني يشبه بناء البيت الشعري، الذي يظهر بشكله المتواضع المتمثل في شطرين، لكن إذا قرأنا وتمعنا فيه، تظهر فيه القيمة الفنية العالية، الخاصة بالوزن القافية ودلالات الألفاظ والبيان والبديع، وكل ما يعرف بزخارف الأبيات الشعرية، المتفاوت في البلاغة بين بيت شاعر وآخر حسب فصاحة صاحبه، فكذلك المترل الأندلسي، الذي يظهر ببساطة شكله الخارجي، وخلوه من كل تنميق، لكن داخله يتصف بمظاهر التنظيم والأبهة، المتمثلة في مجموعة البيوت، التي يتوسطها صحن أو بئر، مزين بأنواع الأزهار والأشجار الملتفة حول بركة، ويزيد الجمال أكثر بالولوج إلى بيوته حيث الزخارف المتنوعة و الأفرشة المختلفة، فقط بين الفقير والغني في درجات تنميقه وزينته.

وخلاصة قولنا مما حاولنا الاطلاع عليه ودراسته، أن الأسرة الأندلسية قد اهتمت بالمظهر، سواء مظهر الأفراد أو المحيط، فكما اعتادت اختيار أنواع الألبسة وألوانها ووسائل الزينة المختلفة، فقد اعتادت ذلك في بناء مترلها بشكل منظم متكرر في كل المنازل، مستخدمة في تزيينه كل الأساليب التي تجعل منه فسحة مروحة على النفس، فلم تهتم الأسرة بجانب على حساب آخر، وإنما حاولت بكل ما أتيح لها، أن يظهر أفرادها ومترلها في صورة فنية متميزة.

---

(1) الإدريسي: المصدر السابق، ص286. ابن قزمان: المصدر السابق، ص136.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، قسم الموحدين ص44.

(3) ربما أصلها الكلمة بربري، كما جاء في: الأهواني: ألفاظ مغربية، المرجع السابق، ج2، ص320، ولا يزال مستعملا عند الشاوية في بلادنا،بلفظ "**أهيدورث**".

(4)ابن بسام: الذخيرة ، المصدر السابق، م3، ص419. الأهواني: ألفاظ مغربية ، المرجع السابق، ج1، ص155.

المبحث الثاني

غذاء الأسرة وشؤون صحتها

أولت الأسرة الأندلسية اهتماما كبيرا بزيها وجماله ورونقه، فامتازت في هذا الجانب أيما امتياز، لكن هل كان لها الاهتمام نفسه بغذاء الأفراد وصحتهم؟ وهل اهتمت بالتربية الجسدية كما اهتمت بالتربية الروحية؟ خاصة إذا علمنا أن نوع الغذاء والاعتناء بالصحة، يعتبر معيارا لمعرفة المستوى الاجتماعي للأسرة، ومدى ثقافتها الوقائية والطبية، وهذا ما نحاول أن نستكشفه في العناصر الآتية:

أولا :أطعمة الأسرة وأشربتها :

يعتبر الغذاء أحد أهم متطلبات حياة الفرد، فهو مثل الماء والهواء، ويختلف فقط في قيمته ونوعيته، تبعا للمستوى المعيشي للأسرة، أو حسب عادات المجتمعات، أو حسب أذواق الأفراد، وانطلاقا من ذلك، نحاول دراسة غذاء الأسرة الأندلسية، ومعرفة أهم عاداتها، سواء في أنواع الغذاء أو أذواقه أو أطباقه، وقبل ذلك التعرف على محتويات مطبخها ومتطلباته، ويتبين ذلك في الآتي:

1-مستلزمات المطبخ:

إذا ما دخلنا أي مطبخ ولاحظناه سواء في القديم أو الحديث، فإننا نجد به ما يستخدم لإنجاز الأطباق الغذائية، وتتنوع هذه المستخدمات بين مواد غذائية، وأدوات ووسائل، ومطيبات ومستحضرات، وبتنوعها وتوفرها، تتنوع أذواق مائدة الطعام، وأهم هذه المستلزمات في مطبخ الأسرة الأندلسية ما يأتي:

أ-أهم الوسائل المستعملة في المطبخ:

-نار الطهي ووسائلها:

إن المعلومات المتوفرة عن أهم وسائل النار في المطبخ الأندلسي كثيرة، إلا أنها إشارات فقط إلى أسمائها وحقيقة تواجدها بالمطبخ، لكن لا نعرف شكلها إلا مما نحاول استخلاصه من طرق وضع الطعام التي توصلنا إلى تصور تقريبي، ومن أهمها: التنور والكانون.

فمن إحدى الكيفيات، أمكننا أن نستخلص بأن التنور شكل توقد فيه النار، ويغطى بما يمنع خـــروج حرارة النار، أو دخول الهواء[1]، وكتاب الطبيخ لمؤلف مجهول أيضا، لا يعطينا شكله، وإنما يشير إلى أن التنور شكل يدلى أو يدخل فيه الطعام، موضوع على نار[2]، وإذا ما رجعنا إلى القواميس اللغوية، فإننا نجد التنور له شكل أسطواني محفور[3]، وفي وثائق المرابطين والموحدين، ذكر أنه مصنوع من فخار جيد [4]، ومن المعتـــاد أن لا تكون الحفر من فخار، وإنما الآنية، وإذا لاحظنا الشكل الأثري له، والذي يظهر في الصورة الفوتوغرافيـــة، يتبين لنا أنه إناء فخاري على شكل أسطواني[5].

ومن مختلف هذه الشواهد، نستنتج أن التنور إناء فخاري كبير، محفور على شكل أسطواني، له فتحة في الأسفل يدخل منها الفحم، وفي الأعلى غطاء يمنع خروج الحرارة أو دخول الهواء، وفوق الغطاء يوضع الخبز أو اللحم أو القدر الحامل للطعام، فتكون حرارته لينة هادئة.

وأن الكانون إناء كبير مفتوح، يوضع فيه الفحم، حيث يختلف في التغطية عن التنور، إذ نجد أن آنيـــة الطعام يفصلها عن النار في التنور غطاء، وأما في الكانون فتكون متصلة مباشرة بالنار من غير غطاء[6].

وأما لفظ الفرن الوارد ذكره في كتب الطبيخ، فهو الفرن الذي لا يزال ببلاد المشرق العـــربي لفظـــا وشكلا، ويقابله لفظ المخبزة والطباخ في بلادنا، حيث إن من الإشارات الكثيرة يفهم أنه خارج المترل، فيقول صاحب كتاب الطبيخ في بعض الإشارات: «ويبعث بها إلى الفرن»[7] ، «وترسل إلى الفرن»[8]، فهـــو مثـــل التنور إلا أنه يلجأ إليه -كما يذكر "**دافيد وينز**"- لأسباب عديدة، منها الحاجة إلى مساحة مناسبة في المطبخ، أو إلى الأدوات اللازمة للطبخات الكبيرة[9].

---

(1) ابن رزين التجيبي: فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، تحقيق محمد بن شقرون، إشراف إحسان عباس دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط2، 1984، ص37. لاحظ القول:« ...أوقدت النار في التنور وسعرت حتى يحمى ويبيض،(...)وتلصق الأقراص سريعا في جنب التنور واحدة واحدة(...)ويغطى فم التنور والأثقاب التي في أسفله بما يمنع خروج حـــرارة النـــار منـــه، ودخول الهواء فيه...»

(2) مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، م9، 10، 1961، 1962،ص 32، 38، 193.

(3) الفيروز أبادي: المصدر السابق، ج1، ص391.

(4) عبد الواحد المراكشي:وثائق المرابطين والموحدين، المصدر السابق، ص308.

(5) انظر الملحق رقم: (09).

(6) ابن رزين التجيبي: المصدر السابق، ص71.

(7) مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ، المصدر السابق، ص62، 63، 90.

(8) المصدر نفسه، ص54.

(9) دافيد ويتز: "**فنون الطبخ في الأندلس**" ، الحـــضارة الإســـلامية في الانـــدلس، المرجـــع الـــسابق، ج2، ص1023. David Waines:"alimentacion en Al-Andalus",*El legado Marroqui y Andalusi* ,universidad Abdelmalek Assaadi, facultad de letras y ciencias humanas,Titwan, qoloquios n4, Abril, 1991, p48.

-أدوات وضع الطعام للطهي:

أما الأدوات التي يوضع فيها الطعام للطهي، فهي كثيرة ومتنوعة، إلا أنه يكفي الاقتصار هنا على بعضها، والتي يكثر استعمالها، ويشار إليها في المصادر المختلفة، وأهمها:

القدر:

وقد تنوعت أشكالها وأحجامها ومواد صناعتها، لكن الأكثر استعمالا القدور المصنوعة من الفخار الجيد[1]، أو الحنتم المزجج[2]، وعلى سبيل الإشارة، فإن هناك من المدن الأندلسية ما اختصت بالفخار لجودة تربتها، فكان تؤخذ منها أواني الفخار للطبخ[3].

الملة:

وهي من الأدوات التي يوضع فيها الطعام، لكن تختص لما يخبز، فكما يذكر محقق كتاب **ابن رزين**، أن «الملة هي حفرة تحفر في الرماد الحار»[4]، إلا أنه قد وصف في إحدى الكيفيات، بأنه آنية توضع فوق النار، فإذا حميت وضع فيها الخبز حتى يستوفي طيبه[5]، وفي موضع آخر أيضا، يوضع الطعام بعد تحضيره للطهي«في ملة على النار بعدما تدهن بقليل من السمن...» [6]، كما تؤكد وثائق المرابطين والموحدين التي ذكرت الملة مع مجموعة من الأواني[7]، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن الملة إناء وليست حفرة.

المقلاة:

تنوعت أشكالها من صغير إلى كبير،كما أنها تختص ببعض الأطعمة دون غيرها، وهي الأطعمة التي تقلى ولا تغلى كالسمك مثلا، وفي معظم الحالات كانت تملأ بزيت ساخن[8]،ثم يوضع فيها ما سيقلى.

---

(1) عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، المصدر السابق، ص308.

(2) المصدر نفسه، ص نفسها. والحنتم هو:« الفخار المطلي المزجج بالسليكون والأكاسيد المعدنية، وغالبا ما يكون بنيا، أو أخضرا داكنا». الصقار سامي وآخرون: الجزير العربية قبل الإسلام، أبحاث مقدمة للندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، أفريل1979، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية، ص186.

(3) العمري: المصدر السابق، س4، ص110.

(4) ابن رزين التجيبي: المصدر السابق، هامش التحقيق رقم 2،ص37.

(5) ابن رزين التجيبي: المصدر السابق، ص37.

(6) المصدر نفسه، ص72.

(7) عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، المصدر السابق، ص308.

(8) مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ،ص21، 22، 23، 28، 35، 40، 41.

أدوات أخرى:

وهناك الكثير من الأدوات، مثل الطاجن وهو الملة ويكون من فخار أو حديد[1]، والطنجير وهو قدر واسعة [2] ،أما البرمة فهي قدر من فخار[3] أو من نحاس[4] والقصعة وهي آنية للعجن أو وضـــع العجين[5]، والغربال لتصفية الدقيق مثلا بين الخشن والرقيق[6]، والمهراس الذي يكون من الحجـــر أو العود[7] ، والسكين لتقطيع اللحم أو أي طعام آخر[8]،المغارف المستعملة لأخذ الطعام من القـــدر أو المقلاة[9]، إضافة إلى الأطباق والأقداح والأكواب والأسطال والكؤوس المصنوعة كلها من الرخام اللين الأبيض[10]، والخوابي والجرات التي تستعمل لحفظ الزيت والخل والدقيق[11]،والغطاء المثقوب الـــذي يوضع على آنية الطعام وهي لا تزال ساخنة، حفاظا على الحرارة ونفاذ الأبخرة في آن واحد[12].

-مستحضرات ومطيبات:

هي كل ما يجلب إلى مطبخ الأسرة، وتقوم بتحضيره المرأة أو الخدم من مختلف المواد حتى تصبح عناصر تدخل في الطعام ومنها:

التوابل والأفاويه:

يذكر منها المقري في قوله:«...في الأندلس أنواع الأفاويه خمسة وعشرون صنفا منها: الـــسنبل والقرنفل والصندل والقرفة والذريرة...» [13]

---

(1) المصدر نفسه، ص48. ابن رزين التجيبي: المصدر السابق، ص37.

(2) عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، المصدر السابق، ص308. مؤلف مجهول: كتاب الطبـــيخ، المـــصدر الـــسابق، ص193، 233.

(3) ابن رزين التجيبي: المصدر السابق، ص 39.

(4) مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ، المصدر السابق، ص206، 205، 197، 223، 226.

(5) المصدر نفسه، ص203، 200، 204. الإدريسي: المصدر السابق، ص296.

(6) مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ، المصدر السابق، ص228.

(7) المصدر نفسه، ص64، 83، 212.

(8) المصدر نفسه، ص21، 27، 28، 32، 38، 208.

(9) المصدر نفسه، ص60، 67، 71، 71، 74، 75.

(10) ابن غالب: فرحة الأنفس، المصدر السابق، ص283. الإدريسي: المصدر السابق،ص296.ابن دحية:المصدر السابق، ص106.

(11) عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، المصدر السابق، ص308. ابن رشد الجد: الفتاوى، المـــصدر الـــسابق، ج2، ص938.

(12) مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ، المصدر السابق، ص 29، 30.

(13) المقري: النفح، المصدر السابق، ج1، ص199.

كما تذكرها كتب الطبيخ في كل أطباق الغذاء، حيث إن المعلومات عنها متكررة، فهي نفسها في معظم الطبخات، وأهمها: الفلفل والكزبرة اليابسة والقرفة والزعفران والكمون والسنبل[1] والزنجبيل والقرنفل ودار صيني[2] وصعتر[3]، وفي بعض الطبخات لا تذكر بأسمائها وإنما يشار إليها بـــ«بجميـــع التوابل والأفاوية»[4].

الخل وأنواعه:

يركب ويوضع في المطبخ كمستحضر يدخل في الأطعمة المختلفة [5]، ويصنع منها أنواع مختلفة أهمها:«الخل الأبيض المصنوع من العنب الأبيض المتناهي في الحلاوة الخالص الذي لم يدخله مـــاء»[6]،و «خل الليم[7]، فيركب من الليمون الأخضر حيث يشق نصفين ويعصر ماؤه ويصفى بخرقـــة خفيفـــة ويوضع في أواني زجاج، ثم يوضع معه ملح، وتوضع في موضع تدركها الشمس، ثم يـــصفى مـــرة أو مرتين، ويطبع عليه بالزيت »[8]،وخل النعنع الأخضر، حيث يركب بإضافته مثل وزنة الخل الأبـــيض السابق الذكر، ثم يقطر ويصفى ويوضع في أواني زجاج[9].

المري وأنواعه:

كثيرا ما يذكر في كتب الطبيخ، حيث إن حضوره في الطعام مثل الملح، وبهذا يمكن أن يكـــون مذاقه جيد، ففي كل الوصفات يذكر على أنه يؤخذ منه مقدار صغير[10]، وهو على عدة أنواع، منها ما يدوم تحضيره مدة طويلة، فيأخذ فصلا كاملا كالمري النقيع[11]، والمري المطبـــوخ وهـــذا مـــري الخاصة[12]، وهناك أنواع المري التي تعمل في مدة قصيرة، كالمري المسطار[13]، والمري المصنوع مـــن

---

(1) نبات طيب الرائحة، منه أنواع تزرع للزينة، يستخرج من جذوره نوع من العطور،شجرته صغيرة، ورقه كورق العصفر، وكذلك أغصانه كلها صفر ملس غسر شائكة، ليس له ساق ولا ثمر ولا زهر . معجم المصطلحات الطبيـــة: المرجـــع الـــسابق، ص628.

(2) « معرب من دار شيني الفارسية، شجر هندي يكون بتخوم الصين، وهو كالرمان؛ لكنه أوراقه كأوراق الجوز إلا أنهـــا أرق،(...) ويطلق اليوم على القرفة الغليظة، أو القرفة الصينية». معجم المصطلحات الطبية : المرجع نفسه، ص617.

(3) مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ، المصدر السابق، ص ص 22-28.

(4) المصدر نفسه، ص61.

(5) المصدر نفسه ، من أول الكتاب إلى آخره.

(6) المصدر نفسه، ص82.

(7) المصدر نفسه، ص40، ابن رزين التجيبي: المصدر السابق،ص261.

(8) ابن رزين التجيبي: المصدر نفسه،ص نفسها.

(9) المصدر نفسه،ص نفسها.

(10) مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ،من أول الكتاب إلى آخره.

(11) المصدر نفسه، ص25، 82. ابن رزين التجيبي: المصدر السابق، ص262، 263.

(12) ابن رزين التجيبي: المصدر نفسه ص262، 263.

(13) المصدر نفسه، ص268.

عصير العنب والأفاويه دون خبز محرق[1]، أو بخبز غير محرق، وهذا الأخير يشير إليه المؤلف المجهول أنه خاص بالعامة[2]، ثم هناك مري معجل وآخر يصنع في يوم وليلة[3] وهناك نوع آخر وهو مري من الحوت[4].

الزيوت و الدهون:

وهي أنواع عدة، رغم سيطرة زيت الزيتون، وذلك لوفرة أشجار الزيتون في الأندلس[5]، حتى أصبحت من أبرز صادراتها[6]، وتتنوع بين زيت الزيتون اللجين أو زيت اليد الأخضر الطري أو زيت الزيتون المطبوخ الصافي[7]، والتي تذكر دائما في الأطعمة المختلفة، ولكن فقط يقتصر على ذكرها باسم الزيت[8]، لشيوعها بين الناس، أما أحيانا حين ينعدم الزيتون، فهناك من الزيوت ما يحاولون التعويض، وهي زيت الكارمت الأخضر الصافي[9]، إضافة إلى الوصفة الآتية، حيث «يؤخذ حب البطم-وهو الحبة الخضراء- والجوز المقشر واللوز المقشر والسمسم أجزاء متساوية، فيطبخ الجميع ويعصر حتى يخرج دهنه... »[10].

وإضافة إلى الزيوت هناك ما تدسم به الأطعمة، وهي الأدهان المختلفة،التي لها عدة عمليات لاستخلاصها مذكورة في كتب الطبيخ، فتستخلص من اللوز الحلو والجوز والفستق والصنوبر والسمسم، وينصح باستعمالها في وقتها دون تركها؛ لأنها سريعة الاستحالة والفساد[11].

الجبن:

من الحيوانات يمكن للأسرة أن تحصل على ما يجفف من جبن وقديد، حيث يذكر في **فضالة الخوان** كيفية الحصول على هذين المستحضرين، وذلك أن الجبن الذي يستخرج من الحليب، الذي تستخرج منه الأطعمة المختلفة من رايب وزبدة وهو عل نوعين أحدهما طري والآخر يابس، فالطري

(1) المصدر نفسه، ص286.

(2) المصدر نفسه، ص268. مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ، المصدر السابق، ص82.

(3) ابن رزين التجيبي: المصدر نفسه، ص269.

(4) المصدر نفسه، ص269، 270.

(5) الحميري: المصدر السابق، ص517،119. العمري: المصدر السابق، س4، ص 107، 211.

(6) الإدريسي: المصدر السابق، ص264.

(7) عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، المصدر السابق، ص 458، 459.

(8) مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ، المصدر السابق، ص ص21-256.

(9) عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، المصدر السابق، ص 458.

(10) ابن رزين التجيبي: المصدر السابق، ص271.

(11) المصدر نفسه، ص272.

يؤخذ مما حضر من العقيد من اللبن باستعمال أنفحة[1] الخروف أو الجدي، التي تضاف إليه ويترك طيلة يوم وليلة، حتى يجف، ثم يجعل عليه الملح[2]، والنوع الثاني يتمثل في الجبن اليابس، حيث يعتبر من المستحضرات الموسمية، فيشرع في تحضيره في النصف الثاني من شهر مارس أو أفريل، ثم يوضع في مكان ذي ظل ليكمل تجبنه في شهر ماي ويوضع في الخوابي ليحفظ[3].

القديد:

أما القديد فكما نعلم هو اللحم المجفف، وكما ذكر في **فضالة الخوان** هو تقطيع للحم إلى شظايا كبيرة، ثم يضاف إليه الخل والملح وأنواع التوابل، ثم تعلق في حبال مقابلة للشمس أياما حتى تجف[4].

-مواد غذائية أخرى:

تبعا لما تنقله كتب الطبيخ، فإن المواد الغذائية قد تنوعت بين لحوم بأنواعها: البقري والغنمي والدجاج والحمام والحوت...إلخ، والبيض وأنواع البقول وأنواع الحبوب[5].

إذا علم تنوع نشاطات الأندلسيين ووسائلهم ومستحضراتهم في الطبيخ، فهل هذا التنوع دليل على كثرة أطباقهم الغذائية وتنوعها أم لا؟ يمكن الإجابة عن هذا التساؤل في الآتي:

2-الأطباق الغذائية:

قبل البدء في الحديث عن الأطباق الغذائية، يجدر بنا الإشارة إلى اصطلاحاتنا المختلفة على هذه الأطباق، فلتمييز الحلوى والأخباز عن مختلف الأغذية الأخرى، اصطلحنا على تسمية هذه الأخيرة بأطباق الطعام، رغم علمنا أن الحلوى والأخباز من الطعام، فقد اعتمدنا ذلك استنادا لتلك الأطباق على أنها أغذية يومية خاصة بالوجبات اليومية للأسرة، أضف إليها المناسبات والاعتبارات المختلفة، أما الحلوى فيمكن اعتبارها كمالية لا ضرورية، ولا يمكن أن تمثل وجبة من الوجبات، والخبز أيضا ما هو إلا تكملة للأطعمة الأخرى، حيث يمكن أن تستغني بعض الأطباق عنه.

---

(1) "شيء يستخرج من بطن الجدي أو الخوف قبل أن يطعم غير اللبن، فيعصر في صوفة مبتلة باللبن، فيغلظ كالجبن". معجم المصطلحات الطبية، المرجع السابق، ص298.

(2) المصدر نفسه، ص215، 216.

(3) المصدر نفسه، ص220.

(4) المصدر نفسه، ص273.

(5) المصدر نفسه، من أول الكتاب إلى آخره. مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ، المصدر السابق، من أول الكتاب إلى آخره.

أ–أطباق الطعام:

إن كتب الطبيخ التي وصلتنا تعكس لنا معظم ما كانت الأسر الأندلسية تتناوله، وعلاوة على ذلك فهي تقدم لنا وصفات لأطباق يكاد يكون معظمها خاصا بالطبقة الوسطى في المجتمع الأندلسي، أي أنها ليست أطباق بلاط، ولا أطباق فقراء ،إضافة إلى كونها أطباقا خاصة بأهل المدن في الأندلس كما سنراه فيما بعد، ومرجع ذلك إلى أن معظم المجتمع الأندلسي حضري تكاد تختفي البداوة فيه كما أشار إلى ذلك **بيار غيشار**[1]، وهذا التصنيف لأطباق الطعام تكاد تجمع عليه معظم دراسات الباحثين[2].

أما إذا تصفحنا كتب الطبيخ، فإننا نجد الكثير من الوصفات والكيفيات، التي نحاول جمعها ولو ذكرا لأسمائها المختلفة في الآتي:

أهم الأطباق وأشهرها:

يمكن تصنيف أهم أنواع الأطباق وأشهرها بناء على اعتبارات عدة ومنها:

أنواع الأطباق باعتبار مكوناتها:

تدلنا الوصفات المتنوعة على أن هناك أنواعا كثيرة من الأطباق، فهناك أطباق الطعام، وأطباق الحلوى، وأطباق المعاجين وأطباق الأشربة وغيرها، وإذا أخذنا مثلا نوع أطباق الأطعمة نجده هو الآخر يتنوع أنواعا كثيرة وتذكركتب الطبيخ هذه الأنواع من الأطباق مرتبة بالنظر إلى أهميتها وأفضليتها عند الأندلسيين، فأهم الأطباق الأطباق التي تعمل من اللحوم[3]، ثم أطباق الحوت[4]، وبعدها أطباق الثريد والكسكس والهريسة[5]، وتفصل بين الأطباق السابقة وأطباق البقليات والمخضرات[6] أطباق الحلوى والأخباز[7].

ويلاحظ على تلك الأطباق أنها مذكورة بكيفيات عديدة، توحي بأنها تستعمل كثيرا، والاهتمام بهاكبير، وهذا ما رأيناه مع الثرائد المختلفة، والمتمثلة أسماؤها في: الثريد الكامل، الذي يعد من أطعمة

---

(1) ذكرنا هذا سابقا في الفصل الثاني.

(2) دافيد ويتز:"**فنون الطبخ في الاندلس**"، المرجع السابق، ج2، ص1019، 1021 .David Waines:*Op,Cit*, p47.
Manuela Marin:"Pots and fire",*patternes of every life*, edited by David Waines, Formation of the classical Islamique world,V10,p289.

(3) مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ، المصدر السابق،ص ص21–171.

(4) المصدر نفسه،ص ص172–179.

(5) المصدر نفسه، ص ص 179–194.

(6) المصدر نفسه، ص220–222.

(7) المصدر نفسه، ص 195–219.

الملوك والوزراء(1)، وثريد الخل وهو من أجل الثرائد(2)، وثريد أبيض بالبصل يدعى الكافورية(3)، وثريد بلحم الخروف(4)، وغيرها، وأطباق الحوت المتنوعة أيضا، حيث تدخل ضمنها التفايا الخضراء والبيضاء، والمنشى، والمحشى(5)، وغيرها، أضف إلى ما يلاحظ من دخول اللحوم والبيض في معظم تلك الأطعمة، سواء الأطباق التي تحمل أسماء تلك اللحوم أو غيرها، ومن أطباق اللحوم التي سميت باسم اللحم الـــذي صنعت منه: أنواع الشواء(6) والدجاج المحشي، والخفان والفراج والفروج(7)...إلخ، وأرانـــب وطيـــور مختلفة كالعصافير والحمام والحجل(8)، وثرائد وتفايا وكسكس وغيرها(9).

أنواع الأطباق باعتبار الفصول والمناسبات:

وإذا نظرنا في أصناف الطعام من زاوية مناسباتها وأوقاتها، فإنه يمكننا أن نستقي أيضا مجموعة من الأطعمة الخاصة بذلك.

فهناك أطعمة خاصة بالشتاء والأيام الباردة، كثريد الشبات(10) ، ولون من اللحوم لأصـــحاب العلل في هذا الفصل(11)، والبليط أو البلياط(12)، وأخرى خاصة بالصيف كالسكباج، الـــذي يتخـــذ للشبان من لحم العجول(13)، ولون آخر يصلح لفصل الخريف(14)، وآخر يصنع في الجنات والبساتين في فصول النزهة، يدعى الجنانية(15).وهناك أطعمة خاصة بالمناسبات المختلفة كالسفر الذي يصلح معـــه

(1) المصدر نفسه، ص179-180.

(2) المصدر نفسه، ص180.

(3) المصدر نفسه، ص181-182.

(4) المصدر نفسه، ص182.

(5) مؤلف مجهول: المصدر نفسه ص ص 173-176.

(6) المصدر نفسه، ص28-34.

(7) المصدر نفسه،ص 50-64.

(8) المصدر نفسه،ص 42-44.

(9) المصدر نفسه،ص179-190.

(10) المصدر نفسه،ص 193.

(11) المصدر نفسه،ص 112.

(12) انظر المثل: « **كل شيء في وقت حتى البليط في ينير**» الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص54. والمثل: «**البليـــاط أدفى العـــسل أحلى**»، المصدر نفسه، ق2، ص251.

(13) مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ، المصدر السابق، ص112.

(14) المصدر نفسه،ص نفسها.

(15) المصدر نفسه،ص172.

صنعة تدعى البرمكية[1]، أما الولائم فيذكر في كتاب الطبيخ أن هناك سبعة ألوان خاصة في قرطبة وإشبيلية، من بينها المخلل[2]، والثريدة المثومة في يوم النيروز[3].

أنواع الأطباق باعتبار فئات المجتمع وعناصره:

نجد ضمن كتب الطبيخ أطباقا خاصة بالنساء كالفدوش، الذي تتناوله النساء لزيادة وزهن مثلا[4]،ونوع من الفراخ لكبار السن[5]، وتضيف الأمثال طعاما لهذه الفئة الأخيرة في قولها: «**شيخين على عصيدة: واحد يبرد وواحد يشرد**»[6]،وهناك نصوص متناثرة بين ثنايا كتب الطبيخ، تذكر أسماء لبعض الأنواع من الأطعمة متأثرة بالبربر، ومن ذلك اللمتونية، والصنهاجي[7]، نسبة إلى قبيلتي لمتونة وصنهاجة البربريتين، حيث تنبثق عنهما عائلات المرابطين.

وفي آخر كل طبق أو أكلة، نلحظ طريقة التزيين الأخيرة قبل تقديم الطبق للتناول، حيث تضاف عدة مواد تزيدها تحلية،وحسن منظر، كالسكر والسنبل والقرفة، وعيون الأترج والنعنع والفيجن، واللوز والصنوبر[8]، وتفرش الصحفة مثلا بورق الأترج، ويرتب الطعام ترتيبا حسنا[9].

ونستخلص مما سبق أن الأسرة الأندلسية كثيرة الاهتمام بالطعام وأذواقه المختلفة، وطرق تزيينه وتقديمه، فتعددت النشاطات التي تقوم بها في مطبخها. ولا بد أن هذا التنوع يمثل أهم عادات الأسرة الأندلسية في أسلوب غذائها.

ب-أطباق الحلوى وأنواع الخبز:

-أطباق الحلوى:

المتأمل لكتب الطبيخ الأندلسية والمغربية، يلحظ أنها تفرد لأطباق الحلوى وأنواع الخبز قسما خاصا بها، وبالوصفات والكيفيات المختلفة التي تعد بها، ولعل هذا التقسيم يعود إلى ما أدلى به أحد الباحثين من كون الحلوى من الأطعمة المرغوب فيها عند كل الطبقات والفئات الاجتماعية[10].

(1) المصدر نفسه،ص 49.
(2) المصدر نفسه،ص 26.
(3) ابن رزين التجيبي: المصدر السابق، ص54.
(4) مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ، المصدر السابق، ص184.
(5) المصدر نفسه،ص 113.
(6) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص432.
(7) مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ، المصدر السابق،ص 24، 187. ابن رزين التجيبي: المصدر السابق، ص193.
(8) مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ، المصدر السابق، ص43، 50، 52، 56،58،61،119،133،134،218.
(9) المصدر نفسه، ص95، 218.
(10) Garcia Sanchez: Dietics aspects of food in Al-Andalus, *patterns of everyday life*, edited by David Waines,*the* formation of th classical islamic world,p286

وتدلنا الأمثال العامة هي الأخرى على بعض أطباق الحلوى، ومن ذلك الحلوى المسماة شبات بشحم، في قولهم: «**سمعت بنت السلطان الساعي يسعى، قالت: كتعمل شبات بشحم**» [1]، فهذا النوع المذكور في هذا المثل توجد له وصفة في كتب الطبيخ[2]، كما تشير الأمثال إلى عصيات تعمل بمناسبة الأعياد، وذلك في قولهم: « **خفاف رشاق، بحل عصيات العيد**»[3].

كما نجد حلوى أخرى في كتب الطبيخ، التي تعمل من تمر أو عسل أو سكر ، فيضفي عليها تلك الحلاوة، وهي كثيرة متنوعة بين ما يدعى باسم الحلاوة: كحلاوة التمر، والعسل، أو حلاوة سكرية، أو حلاوة شامية[4]، أو باسم الكعك: كالمحشو بالسكر أو الكعك من السكر[5]، أو منسوبة إلى الفواكه والمكسرات الداخلة فيها: كالفاكهة من السكر أو الفستقية[6]، أو غير ذلك من الإسفنج والفالوذج والقنانيط المحشوة[7]، وهناك أنواع أخرى خاصة بطبقة دون أخرى، كالسنبوسك الذي له نوعان: نوع خاص بالطبقة الخاصة ويعرف بسنبوسك الملوك ويكون أتحف وأحسن من سنبوسك العامة[8].

غير أن هناك نوعا من الحلوى أكثر شهرة عند الأندلسيين، والتي جاء الحديث عنها في مصادر مختلفة، دلالة على شدة اهتمام الأندلسيين بها، حتى وصفوها بأحسن المواصفات، فنظموا فيها القصائد[9]، وخصصت لها كتب الطبيخ جزءا ذكرت فيه أنواعها، مما يوحي بأنها ليست مشهورة فحسب، بل يدل أيضا على أنها من ألذ الأطعمة الأندلسية.

وقد تعددت أنواعها [10] إلا أن أهمها ما كان من الجبن، كالحلوى التي فضلا عن تسميتها اسم

(1) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص424.

(2) مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص198، 199.

(3) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص207.

(4) مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص224، 225.

(5) المصدر نفسه، ص231، 232.

(6) المصدر نفسه، ص232، 233.

(7) المصدر نفسه، ص223، 229، 250.

(8) المصدر نفسه، ص213.

(9) ابن سعيد: المغرب، المصدر السابق، ج1، ص261. ابن سعيد: اختصار القدح، المصدر السابق، ص23، 156. ابن عبد الملك: المصدر السابق، س1، ق1، ص451. وكمثال، قول ابن المناصف الشاعر: (بحر المنسرح)

«هات التي إن قربت جمرة ... فهي على الأحشاء كالماء

وكلما غص بها لائم ... تبسمت عن ثغر حسناء

تبرية الظاهر فضية ال ... ـباطن لم تصنع بصنعاء» ، انظر ابن سعيد: المغرب، المصدر السابق، ج2، ص107.

(10) مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ، المصدر السابق، ص ص 199- 201.

المجبنة، فقد أطلق عليها الأندلسيون بنت الجبن[1]، ويتم إعدادها غالبا من جبن ودقيق وزيت[2]، وتلك الأنواع المختلفة تذكرها كتب الطبيخ بعد أن تذكر كيفية إعمالها وأماكن تواجدها[3]، ثم يفصل في أنواعها حسب شكلها أو المواد الداخلة في تكوينها، كمجبنة البيض والمجبنة المثلثة، وهناك نوع آخر ينسب إلى منطقة من مناطق الأندلس وهو المجبنة الطليطلية[4]، وإذ هذه الأنواع ما يذكره **المقري** وهو مجبنة مدينة شريش، حتى اشتهر بينهم أن المحروم من دخل هذه المدينة و لم يذق مجبناتها[5].

ونحرص العامة على تناولها صباحا وهي ساخنة؛ لأنها إذا فقدت حرارتها تفقد ذوقها وذلك في قولهم: «**مجبنة الظهر خرج نارها وقل طلابها**»[6]، ويفهم من هذا أنها لم تكن مقتصرة على صنعها في داخل المترل، بل كانت تصنع أيضا بالفرن وتباع في الأسواق والطرقات.

ونستنتج من كل هذا، أن أفراد الأسرة الأندلسية نوعوا في أشكال الحلوى ، وكانوا لا يراعون في صنعها اختصاصها بطبقة دون أخرى، بل تصنعها كل الطبقات، وخاصة منها المجبنة، التي تكلم عنها الخاص والعام.

-الخبز وأنواعه:

يعد الخبز طعاما تتناوله الأسرة الأندلسية مع الأطعمة الأخرى، وقد يكون عنصرا مركبا للأطعمة أو غير ذلك؛ ففي المصادر الغذائية والطبية إشارات إلى أنواع مصادر الخبز، التي عرفتها الأسرة الأندلسية في أيامها العادية، والظروف السيئة كالحروب والعوز، ونفهم من عنوان كتاب **Làucie Bolens:le pain quotidien et le pain de disette** ، أن صاحبه قصد به أنواع الخبز حسب الحالة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع، أو بين الخبز اليومي الدائم وبين خبز المجاعات، أو بمعنى آخر بين حالات الرخاء والجدب[7].

ولا بد أن هناك فروقات بين مركبات هذا وذاك، فمن الطبيعي أن الخبز اليومي الدائم لا يكون هو نفسه خبز يوم العوز والمجاعة، فالخبز اليومي يكون حسب نوع الحبوب الداخلة في تركيبه، وأهمها القمح[8]، الذي ينقسم بدوره إلى عدة أصناف، منها التي يذكرها **ابن رشد** في كلياته، وهي القمح

(1) رجب عبد الجواد: ألفاظ المأكل والمشرب في العربية الأندلسية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2001، ص38، 41.

(2) السقطي: المصدر السابق، ص31. المقري: النفح، المصدر السابق، ج1، ص184.

(3) مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ، المصدر السابق، ص200.

(4) المصدر نفسه، ص200، 201.

(5) المقري: النفح، المصدر السابق، ج1، ص184.

(6) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص343.

(7) الكتاب لم أحصل عليه، وإنما استخلصت الحديث من عنوان الكتاب.

(8) مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ، المصدر السابق، ص ص190-202.

الصافي المدعو الدرمك[1]، وهذا أفضل الأنواع، وما دام كذلك فهو مختص بالأسر الغنية أو على الأقل الوسطى، ثم المدهون من القمح غير المقشر[2]، وخبز الشعير أيضا، والذي يلي خبز القمح في الجودة[3]، وهذا لعامة المجتمع، خاصة الأسر الفقيرة أو الزاهدة[4]، إضافة إلى الحبوب الأخرى[5]، وتعود كثرة هذه الأنواع من مصادر الخبز، إلى توفر الحبوب في الربوع الأندلسية[6]، وهذا ما تؤكده المصادر الجغرافية[7].

أما خبز أيام الجدب والمجاعة، حيث تندر الحبوب وينتشر الغلاء، فتشير المصادر إلى بعض مركباته الرئيسة، فهناك المأخوذ بصفة خاصة من الفواكه، كالخبز المصنوع من التين المجفف[8]، والمصنوع من القسطل بالماء العذب[9]، أضف إلى ذلك الخبز المصنوع من السفرجل[10]، حيث تؤخذ كميات من هذه الحبوب لتكوين هذا الخبز الذي هو خليط من الماء والحبوب، أومن الماء والحبوب والزيت، أو الزبد أو الشحم، ويعجن بخمير أو دون خمير ويلقى في الزيت أو السمن، ثم تتخذ منه أقراص ويطبخ في طاجن أو ملة أو فرن[11].

وأما عن شكله وطريقة استعماله في مختلف الأطباق، فإن هناك أنواعا مختلفة له، منها ما يعد رقاقا، تعمل منه على سبيل المثال: الأرغفة والخبيص والمجبنة والمسمنة والسنبوسك[12]، أو يعد خبزة أو كعكا كالقرصة والآذان المحشوة والفطائر[13]، أو فتاتا حيث يدخل في أشهر الأطعمة كالثرائد والرفائس[14]، وقد ذكر هذا التقسيم صاحب مقال "**الخبز طعاما في الأندلس**"[15].

ويلحظ الدارس أن هذا التنوع في إعداد الخبز، أو أنواع الأطعمة التي يدخل في تركيبها الخبز، يدل على أن الأسرة الأندلسية كانت كثيرة الاحتفاء بالخبز، وأنه لا غنى للأسرة الأندلسية عنه رغم

(1) ابن رشد الحفيد: الكليات في الطب، المصدر السابق، ص395.

(2) المصدر نفسه، ص نفسها.

(3) المصدر نفسه، ص 396. ابن الزبير: المصدر السابق، ق5، ص302.

(4) ابن رشيد الحفيد: المصدر السابق، ص397.

(5) المصدر نفسه، ص397.

(6) سهام الدبابي: المرجع السابق، ص74.

(7) الحميري: المصدر السابق، ص183، 606، 616. العذري: المصدر السابق، ص 18، 19. الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج3، ص 84.

(8) المقري: النفح، المصدر السابق، ج4، ص188.

(9) رجب عبد الجواد: المرجع السابق، ص30.

(10) المرجع نفسه، ص21.

(11) مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ، المصدر السابق،ص100، 106، 186، 191، 193، 200.

(12) مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ، المصدر السابق، ص ص88-90، ص92، 93، 99، 100، 199.

(13) المصدر نفسه، ص 91، 106، 207، 208.

(14) المصدر نفسه، ص ص 179-182، ص ص 189-193.

(15) سهام الدبابي: المرجع السابق، ص ص74-80.

تكراره، ولعل ذلك الخليط الاجتماعي للأندلس- عرب بربر وغيرهم- وما ذكرنا سابقا من كثرة وشساعة زراعة الحبوب في هذا الإقليم، هو الذي أعطى هذا التنوع.

3-الأشربة والفواكه:

القسم الثاني من أقسام الغذاء هو: أنواع المشروب والفاكهة، التي تعتبر كماليات لا ضروريات، إلا أنها تجعل المائدة الأندلسية تبدو أكثر بهاء وقبولا، وسنحاول بيان أهميتها في نظر الأندلسيين في الآتي:

أ-أنواع الأشربة وأشهرها:

تخصص كتب الطبيخ الأندلسية والمغربية للمشروب قسما تذكر فيه أنواعه المختلفة، والذي يتركب من عدة مواد، أهمها الفاكهة[1]، ومعظم هذه الأنواع نجد لها ذكرا في كتب الطب[2]، حيث تشترك كلها في كونها أشربة صحية، وهذا ما سنذكره في قسم الصحة، ومن بينها شراب السكنجبين، وشراب التفاح، وشراب الرمانين ، وشراب الورد...إلخ.

أما المشروب الذي عرفه بعض الأندلسيين، ووضعوه على موائدهم في مجالس اللهو والطرب وبعض مجالس الشعر ومجالس بعض المترفين وبعض الأمراء والحكام، وبعض ممن لا يراعي تحريم الشرع فهو الخمر، على الرغم من إنكار الفقهاء والمحتسبة وتشنيعهم له ولشاربه، وتأديب كل من وجد حاملا أو شاربا له[3]، واعتباره في وثائقهم السياسية من خبائث الأمور، التي هي جماع الإثم، داعين إلى محاربتها ومحاربة عاصريها وحامليها وشاربيها[4]، فقد ورد ذكرها في المصادر بمختلف الأسماء والألفاظ، التي إما أن تكون نسبة إلى مصدر الخمر، أو طريقة شربه، أو آنية وضعه، وقد حاول جمعها صاحب كتاب: "**ألفاظ المأكل والمشرب**"[5].

---

(1) مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ، المصدر السابق، ص ص243-248.

(2) ابن رشد الحفيد: الكليات، المصدر السابق، ص430، 484، 485.

(3) ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص93، 94. المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق،ق5، ص91،92،

(4) مؤنس حسين: نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، الظاهر، 2000/1420، ص20. مكي محمود: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلدان7،8، سنة1959-1960، ص189.

(5) رجب عبد الجواد: المرجع السابق، ص ص78-101.

وتذكر مصادر أخرى تسميات أخرى له، ومنها تسميتها ببنت الدنان"[1]، نسبة إلى آنية توضع فيها، و"بابنة العنب"[2]، أو "بنت الدوالي"[3]، أو "بنت الكروم"[4]، نسبة إلى مصدرها الذي جاء ذكره على لسان بعض الشعراء، و"بالصبوح والغبوق"[5]، نسبة لأوقاتها، إذكانوا يشربونها في الصباح والمساء.

وهناك لفظ خاص، كثيرا ما ورد في المصادر، وهو القهوة، وله شواهد تاريخية تشير وتؤكد على أن القهوة في ذلك العصر يقصد بها الخمر دون غيرها، و لم تكن القهوة التي نعرفها اليوم، فيقول أحد الشعراء: (بحر الخبب)

بعوض جعلن دمي قهوة وعيني بضروب الأغان
كأن عروقي أوتارها وجسمي الرباب وهن القيان[6].

فهو يصف طريقة أخذ البعوض لدمه لكن قرن ذلك الدم بالقهوة، والقهوة كما نعلم لا تكون حمراء، واعتباره صوت الذباب وعروقه هي الأغاني وآلاتها، فهو إذن يصور مجلسا من مجالس اللهو متمثلا ذلك فيما تقوم به البعوض على جسمه، فإذا جمعنا بين اللون الأحمر ومجلس اللهو فإنه يمكن أن نعتبر القهوة خمرا.

وقول آخر:

حث الكؤوس روية على رواء البساتين من قهوة بابلية أرق من دمع محزون

ويقول آخر:

بالله قم ياندیم وأنت خير نديم
باكر بنت الكروم حياة كل كريم»[7].

---

(1) ابن سناء الملك: دار الطراز في عمل الموشحات، تحقيق عبد العزيز نبوي، دار اقرأ الدولية للنشر والتوزيع، ط1، 1427/ 2006، ص69.

(2) المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج8، ص345، 346.

(3) المصدر نفسه، ج8، ص188.

(4) الأعمى التطيلي، المصدر السابق، ص258، 266.

(5) المقري: النفح، المصدر السابق، ج1، ص33.

(6) ابن دحية: المصدر السابق، ص93.

(7) الأعمى التطيلي: المصدر السابق، ص258.

فالقهوة هنا ذكر معها النديم وبنت الكروم، وكل ذلك قرائن وشواهد بل ألفاظ صريحة على أن لفظ القهوة هو الخمر.

أضف إلى ذلك، ما ذكره **ابن بسام** في قوله:«فحضرنا مجلس المعاقرة، فأديرت علينا قهوة قد خصت باللون الكدر»[1]، وهنا أيضا قرنت القهوة بلفظ المعاقرة، الذي يختص بالخمر.

ومن هذه الأقوال، يمكن التأكيد بأن القهوة هي الخمر في ذلك العصر.

– أنواع الفاكهة على المائدة الأندلسية:

إضافة إلى التحلية بتلك المشروبات، هناك الفاكهة، التي وردت عنها إشارات كثيرة في المصادر الأندلسية، الجغرافية منها والطبية وغيرها.

فتذكر المصادر الجغرافية المختلفة تلك الأنواع الكثيرة من الفواكه، ويأتي التعريف ببعض هذه الفواكه في مواضع من الكتب التي يذكر فيها التعريف بمختلف مناطق الأندلس، ومن ذلك ما ذكره **العمري** في قوله: « التفاح والقراصيا البعلبكية،(...) والجوز والقسطل والتين والأعناب والخوخ والبلوط»[2]، والرمان المرسي واللوز[3]، والكمثرى والسفرجل[4].

وتختلف قيمة هذه الفواكه وأهميتها في الأسرة الأندلسية بناء على مجال فائدتها، فكانت تفضل بعضها لفائدتها الصحية، كالتين، الذي يرى الأطباء أنه مفيد لتليين البطن[5]، والعنب الذي يخصب البدن[6]، وهذه الأخيرة تفضل العامة نوعا من أنواعها، وهي الكبيرة العنقود، في قولها:« **خير العنب، ما اخضر عوده، وعظم عنقوده**»[7]، كما فضلوا الرطب لاعتبار ديني، وذلك لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم[8] التي تناولت فضل الرطب، أما الخيار، الذي نعتبره من الخضروات، فقد اعتبره الأندلسيون من الفاكهة، ويفضلونه بقشوره[9].

وأفضل الفواكه عندهم تلك التي كانوا يتهادونها فيما بينهم، كحب الملوك الذي تختص به الطبقة السياسية الحاكمة، والتفاح والخوخ الذي يدعونه التفاح الفارسي[10]، ولاحتفائهم بها أيضا فقد كانوا

(1) ابن بسام: المصدر السابق،م4، ص371.

(2) العمري: المصدر السابق، س4، ص104.

(3) ابن بطوطة: تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق الكتاني علي المنتصر، مؤسسة الرسالة، ط4، 1405، ص768. ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص94.

(4) القزويني: المصدر السابق، ص555.

(5) ابن رشد: الكليات، المصدر السابق، ص399.

(6) المصدر نفسه، ص نفسها.

(7) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص209.

(8) رجب عبد الجواد: المرجع السابق، ص18، 19.

(9) المرجع نفسه، ص نفسها.

(10) المقري: المصدر السابق، ج1، ص162، 191.

يقدمونها للضيوف وفي الأعياد المختلفة كعيد عاشوراء وعيد النيروز(1)، وكانوا ينوعـــون في طريقـــة تناولها، ففضلا عن تناولها على هيئتها الرطبة، فقد كانوا يجففون منها كميات، ويحفظونها لفصل آخر، حيث يتناولونها مجففة يابسة، ومن بينها: التين والزعرور(2).

ومن أشد الظواهر لفتا للانتباه، ما يشير إليها **المقري** عن فن ترتيب الفاكهة على المائدة ، حيث يبتدئونها بوضع الجوز ثم اللوز ثم القسطل(3).

ويلحظ الدارس من كل هذا أن الفاكهة وإن كانت من الكماليات إلا أنها من الأغذية المفـــضلة عند الأندلسيين، فهي تضاف إلى مختلف الأطباق الأخرى غالبا، ويقدمونها كطبق للضيوف أو كهـــدايا بينهم.

ثانيا :التربية الصحية للأسرة :

تكتسي العناية الجسدية بالحفاظ على صحة الفرد مكانة كبيرة عند الأسرة الأندلـــسية، فمـــع عنايتها بالغذاء الذي هو أساس بقاء الأبدان، فإن الفرد نفسه يحتاج إلى وقاية جـــسمه وعلاجـــه مـــن الأمراض، ويمكن بيان العناية الصحية عند الأسرة الأندلسية في الآتي:

1-نظافة الفرد والغذاء:

للحفاظ على صحة الفرد ووقايته، لابد من إحاطته بالنظافة اللائقة التي تجعل من الغـــذاء المتنـــاول زيادة وقاية للجسم، وتجعل الفرد مدركا لأهمية التربية الصحية، مثلما يحرص الملقنون على انتقاء أحسن ما يجب أن يتلقاه الفرد من تربية روحية دون شوائب، فهل كان الأندلسيون يراعون النظافة في إعـــداد غذائهم؟ وإلى أي مدى يهتم الأندلسيون بالنظافة الغذائية، والجسدية والمحيط الذي يعيشون فيه؟

إن المعلومات عن النظافة في المصادر الأندلسية الخاصة بالفترة المرابطية والموحدية وفيرة جـــدا، حيث تمدنا بنصوص تؤكد لنا مدى حرص الأندلسيين على نظافة أجسامهم ونظافة محيطهم وغذائهم، فإضافة إلى ما حاولنا إبرازه عن نظافة الأندلسي أثناء حديثنا عن اهتمامه بزيه سواء في جماله أو نظافته، وما تعرفنا عليه من مستحضرات لإبداء زينته ومدى استقباحه للمظهر الوسخ ومحاربة أصحابه، فهناك إشارات أخرى ضمن المصادر التي اطلعنا عليها، سمحت لنا بالتعرف على كل ذلك، فلنظافة الأجـــسام

---

(1) ابن قزمان: المصدر السابق، ص622. الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص377.

(2) العذري: المصدر السابق، ص55. القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص217. المقري: النفح، المصدر السابق، ج4،188. القزويني: المصدر السابق، ص497.

(3) المقري: المصدر السابق، ج4،ص206.

يحرص الأندلسيون على ابتياع المواد المنظفة كالصابون[1]، ولضرورته عندهم فقد اهتم به حتى الشعراء فوصفوه بالشيء الذي لا يستغنى عنه، فقال أحدهم مثلا: (بحر الوافر)

وأسمر يصرف السودان بيضا   ويخشى الشمس أن تعدو عليه

لــه في صنعــه ســر مليح   وكــل النــاس محتاج إليه[2].

كما أن هناك أدوات أخرى كالليف الذي يستعمل للحك به في الحمام[3]، والمشط الذي اتخذه الأندلسيون من الفضة وخاصة عند علية القوم[4]، أما المستحضرات فهي كثيرة، تعدها الأسرة لتغــيير الروائح الكريهة للجسم كله، وقد جاء ذكرها في كتب الطبيخ بأسماء مختلفة منها: الأشنان أو الغاسول، وتتنوع وظيفة هذه المستحضرات، فمنها ما هو لتنظيف اليد وتطييب الرائحة وإصلاح الفــم واللثــة، وإزالة روائح الأطعمة الدسمة[5]، وذللك بعد إعداد الطعام أو تناوله، ومنها ما لا يختص بالطعام وحده، وإنما يوضع أيضا لتطييب الرائحة وإزالة الكلف والنمش وترطيب الأطراف[6].

ويصور **ابن قزمان** في مقتطف من ديوانه أن الغلاء وضيق حاله جعل منه رجلا وسخا يشتكي حاله، حيث لم يجد مالا ليدفع به أجرة الحمام والحلاق، مبينا أهمية النظافة واللباس الأنيق[7].

وقد انبهر أحد المستشرقين بالأندلسيات اللواتي كن دائمات النظافة، حتى أثرن في المــسيحيات اللواتي أصبحن يغتسلن، رغم كون عادتهن على عكس ذلك[8]، وفي هذا يذكر بعــض الجغــرافيين أن المسيحيين:« لا أقذر منهم(...) لا يتنظفون ولا يغتسلون في العام إلا مرة واحدة أو مرتين بالماء البارد، ولا يغسلون ثيابهم منذ ما يلبسونها إلى أن تنقطع عليهم»[9].

---

(1) المقري: النفح ،المصدر السابق،ج2،ص223.الحميري:المصدر السابق،ص133.

(2) الأمير أبو عبد الله الربيع الموحد: الديوان، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي وآخرون، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، إشراف معهد مولاي الحسن للبحوث المغربية، ص133.

(3) السقطي: المصدر السابق،ص67.

(4) ابن سعيد: المغرب، المصدر السابق،ج2،ص256.

(5) ابن رزين التجيبي: المصدر السابق،ص277،279.

(6) المصدر نفسه،ص278.

(7) ابن قزمان: المصدر السابق، ص242.

(8) أميركو كاسترو: المرجع السابق،ص35.

(9) القزويني: المصدر السابق،ص498.الحميري:المصدر السابق،ص66.

وأما الاغتسال والتنظيف في الحمامات، فذلك معروف عن الأندلسيين مشهور عنهم؛ لكثرة الحمامات التي كثيرا ما ورد ذكرها عند الرحالة والجغرافيين[1]، و لم يتوقف البعد الصحي الأندلسي عند الماء كغذاء، وإنما اهتموا بمياه الاستحمام وفوائده، حيث نجد في المصادر مدى أهمية الحمام في تنقية الجلد، وإزالة الوسخ، وتطهير البدن[2]، حتى إن نسائهم يحرصن على الذهاب إلى الحمامات، والبقاء فيها مدة طويلة، مما جعل العامة تستنكر ذلك، في قولها: «**مشت للحمام غابت سبعة أيام**»[3].

وأما نظافة الغذاء، فانطلاقا من أمثال العامة التي تفيدنا ببعض المعلومات، خاصة نظافة أواني الطبخ والطباخ في قولها: « **قَدْرَةْ الزَّفْتْ مَا يَطْبَخْ فِيها الْمَعَسَّلْ**»[4]، أي أن القدر الوسخة لا يمكن أن تطبخ فيها الأطعمة وخاصة اللاصقة منها، كالحلوى والمعسلات، وقول العامة أيضا في استنكارها لوسخ الطباخ: « **أَقْذَرْ مِنْ وَلَدْ نَاصَرْ الطَّبَّاخْ**»[5]، إذ يفهم من هذا القول أن هذا الرجل "ولد ناصر" كان طباخا قذرا، حتى عافته نفوس الأندلسيين، وأصبح مضرب المثل في القذارة.

وهذا ما تدعمه كتب الطبيخ، التي تذكر في مواضع عدة ضرورة نظافة الأواني والمواد الغذائية، ومن ذلك ما جاء في إحدى الفقرات: «أن أول ما يجب أن يبتدأ به في صناعة الطبخ: التحفظ في تناولها من الأوساخ والعفونات، وتنظيف الأواني المستعملة لذلك، مع نظافة الطباخ»[6]، وفي ذلك ما يلقي في النفس إقبالا على الطعام، فإذا رأى الإنسان الطريقة النظيفة في إعداد الطعام فإن نفسه تثق به فيتناوله وهو يعلم حقيقته [7].

ونجد في كل وصفة من وصفات الطعام ذكرا لضرورة غسل الأواني والمواد الغذائية [8]، واستعمال الماء الحار المغلى[9] في ذلك، ولا يكفي تنظيفها بالماء البارد، مع وجوب تكرار عملية التنظيف به، أو بنوع من الصناب[10]، وهذا دليل على شدة اعتناء الأندلسيين بنظافة الغذاء والأبدان، بل تراهم يستهزئون بكل ما هو وسخ قذر، واستعملوا في ذلك موادا عديدة من صابونات وغاسولات وحمامات.

2ـ الوقاية والعلاج:

(1) الحميري:المصدر السابق،ص58،69،119. الحموي:معجم البلدان،المصدر السابق،ج4،ص221.

(2) الحميري:المصدر السابق،ص102.العربي الخطابي: المرجع السابق،147،148

(3) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص338.

(4) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص418.

(5) المصدر نفسه، ق2، ص115.

(6) مؤلف مجهول:كتاب الطبيخ ، المصدر السابق، ص79.

(7) المصدر نفسه،ص نفسها.

(8) مؤلف مجهول:كتاب الطبيخ من أول صفحة إلى آخره.

(9) المصدر نفسه ،ص43.

(10) نفسه،ص55.

والقسم الرئيس من التربية الجسدية هو: كيفية وقاية الجسم قبل إ صابته، وعلاجه إذا أصيب، ولمعرفة هذا مع الأسرة الأندلسية، تتبادر إلى ذهننا أسئلة كثير ة تتضمن طرق العلاج التي تابعها أفرادها، وأهم النصائح والوصفات التي عمل بها الأندلسي للحفاظ على صحته.

انطلاقا من المادة المتوفرة في المصادر المختلفة بين طب وطبيخ وغيرها، يمكننا الاطلاع على كيفية وقاية الفرد الأندلسي صحته من الأمراض وحفظه لها؛ لأن حفظها غاية الطب الوقائي(1)، ويعرفها الأطباء بأنها «هيئة طبيعية بها يكون الإنسان في مزاجه وتركيبه، بحيث تصدر عنه الأفعال كلها صحيحة سليمة»(2).

والوقاية لا تكون إلا بتناول الأغذية السليمة، ومراعاة تغير الفصول والأماكن، وغيرها من متغيرات الحياة، ولذلك فقد حرص الأندلسيون على وقاية أجسامهم وحفظ صحتها بالحمية قبل اللجوء إلى التطبيب، فنجد في أمثالهم إحدى الحميات التي يتبعونها، اعتقادا منهم أنها تعفيهم من الطبيب في قولهم:« **كلْ الزيت ولا تمشي لطبيب**»(3)، فالزيت تقي أجسامهم من الإصابة بالأمراض، وهو ما جاءت به الشواهد الطبية التي عاصرت الفترة، والتي تؤكد بأن الزيت صالحة للجسم، كما جاء في كليات **ابن رشد** القائل أن: «الزيت ملائم بجملة جوهره للانسان جيد»(4).

و لم تكن مصادرهم التاريخية، على منأى من ذلك، فنجد في ثناياها نصائح وقائية من بينها: « الخبز النقي واللحم الثني والشراب الحولي، فمن اقتصر على هذه دون تخليط لم يزل صحيح الجسم قوي البنية»(5) وأريد بهذا النوع من الطعام الحمية بالخبز الجيد ثم اللحم الثني؛ أي الذي لا شحوم ولا عظام فيه، أما الشراب الحولي فهو كل شراب خاص بفصله وأيامه، فإذا شرب في وقته فلن يضر الإنسان، ينصح به الأطباء ببعض الأشربة، التي تنفع الأصحاء أيضا، وتبقي عليهم صحتهم ويتديمها(6)، وبهذا يمكن للفرد الأندلسي أن يحمي صحته دون لجوء إلى التطبيب.

وإذا نظرنا في كتب الطبيخ، فإننا نجد ما يسمى بالتوازن الجسدي، حيث يختتم ذكر معظم الأطباق بملاحظات حول فائدة الطبق في حفظ صحة الفرد، فقد يتبادر من وصفات الأطباق بأن مكوناتها كثيرة وأنها ثقيلة على الجسم خاصة دهونها، مما يجعل المؤلف الذي يصف طبقا ما يشير في نهاية الوصفة إلى فائدة الطبق في علاج مرض كذا أو كذا، وكأنها نصائح وقائية للجسم، فمنها مثلا ما يزيد

---

(1) بنحمادة : المرجع السابق،ص255.

(2) مؤلف مجهول:شرح قصيدة ابن سينا في الطب،مخطوط خزانة الجامع الكبير، مكناس، نقلا عن بنحمادة، المرجع السابق ، ص255.

(3) الزجالي: المصدر السابق،ق2،ص261.

(4) ابن رشد الحفيد:الكليات في الطب، المصدر السابق،ص399.

(5) الأمير عبد الله: التبيان ،المصدر السابق،ص193.

(6) ابن زهر: التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق ميشيل الخوري، تقديم محي الدين صابر، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الفكر، دمشق، 1983/1403، ص436.

من قوة من أضعفه المرض[1]، وما هو صالح للمعدة والكبد[2]، وما هو منبه لشهوة الطعام[3]، وما يقوي القلب[4]، وما يقوي البصر والسمع وسائر الحواس[5].

أما عن الأشربة والمعاجين، فهي في معظمها مذكورة في ثنايا كتب الطب، وكل مشروب له مجاله الذي يستعل فيه، وفائدته الصحية، كشراب البنفسجي، الذي يقي من الحمى الصفراوية، ويلين البطن، وينفع للسعال اليابس[6]، وشراب المصطكي[7] الذي يقطع القيء، ويقوي البدن، ويساعد في هضم الطعام[8]، وشراب النعنع الذي ينصح به الأطباء عند استكمال كل وجبة غذائية[9]، وكذلك المعاجين التي تعد صحية وقائية، ومن بينها معجون السفرجل، الذي يذهب مرارة الفم، ويشهي الطعام[10]، ومعجون الورد الذي يقوي المعدة والكبد[11].

ومن كل هذا، نأخذ وقاية الطفل في البيت الأندلسي مثالا؛ لمعرفة بعض طرق وقاية الأفراد منذ الولادة، حيث تقوم الأسرة بتوفير كل أساليب الوقاية، التي نذكر منها: نثر الحناء على بدنه فيما أقره الأطباء، وأضافوا إليه مقدار ثلثها ريحانا مسحوقا ومقدار سدسها ملحا[12]، كما نصحوا بغسل الرضيع كل يوم بالماء الفاتر، والحرص على رياضته وهو في المهد، فقبل الإرضاع يرتاض ثم يستحم ثم يرضع ويوضع للنوم[13]، أما غذاؤه فقد نصح الأطباء باللبن وإدخال بعض الأطعمة اللينة عليه[14] ، وهكذا حتى بعد الفطام، حيث يراعى على الدوام الرياضة والحمام والغذاء الجيد[15].

---

(1) مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ، المصدر السابق، ص25.

(2) المصدر نفسه،ص38.

(3) نفسه،ص160.

(4) نفسه،ص161.

(5) ابن زهر: التيسير، ص439، 446.

(6) ابن رشد الحفيد: الكليات، المصدر السابق، ص484.

(7) « وهو ما يسمى علك الروم، وهو صمغ شجر لطيف العود والورق كشجر الأراك، له ثمر إلى المرارة». معجم المصطلحات الطبية، المرجع السابق، ص655.

(8) المصدر نفسه،ص430. مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ،المصدر السابق، ص239 .

(9) مؤلف مجهول: المصدر نفسه، ص240.

(10) نفسه،ص249.

(11) نفسه،ص250.

(12) العربي الخطابي: المرجع السابق،ص148.

(13) نفسه،ص نفسها.

(14) ابن رشد الحفيد: الكليات، المصدر السابق،ص475.

(15) نفسه،ص474،475.

أما في حالات إصابة الجسم بالأمراض التي يرجع أسبابها **ابن رشد** «إلى تغير الأهوية والرياضة غير الملائمة، مثل الصنائع الصعبة التناول، والعوارض النفسانية مثل الغضب والفزع، وبالجملة جميع الأشياء التي تكسب سوء المزاج المادي وغير المادي»[1] ، ولما كان كذلك، فإننا نجد مؤلفات كثيرة لأطباء أندلسيين يصفون فيها طرق العلاج والأدوية المختلفة، ومن بينها ما ذكرنا سابقا _"**الكليات لابن رشد**"_، وكتاب "**المختصر في الأغذية**"[2]، وكتاب "**التيسير في المدواة والتدبير**"[3] وغيرها.

لكن إذا نظرنا إلى القيم المالية لتلك الأدوية، فإننا نجدها غالية باهظة الثمن، والمجتمع لا يكون كله قادرا على شرائه بهذا الثمن، الذي بلغت قيمته في بعض المستحضرات خمسين دينارا[4]، ولإحدى الأدوية ثلاثمائة دينار[5]، حتى جعل أحد الباحثين يميز الطب الأندلسي بالطابع الأرستقراطي[6].

وعلى الرغم من أن الأطباء غالبا ما يتكافلون مع المرضى، حيث يداوون في بعض الأحيان دون أجر[7]، إلا أن التطبيب يبقى محصورا في فئة من يسمح له مستواه المعيشي الحصول على تلك الأدوية.

و لم تبق الأسر العاجزة عن التطبيب مكتوفة الأيدي من محاولة إيجاد سبل لمداواة مرضاها، فنتج عن ذلك ما يسمى بالطب البديل الخاص بالعامة، حيث لجأت هذه الأخيرة إلى التداوي بكل ماهو طبيعي، كالحمات الطبيعية ذات المياه الحارة والباردة،التي ينصح بها الأطباء[8]، والتي كانت منتشرة في الأندلس كحمة رية[9]، وحمة بجانة[10]، التي كانت تقصدها الجموع من الناس رجالا ونساء للتطبيب

---

(1) نفسه،ص470.

(2) ابن زهر أبو العلاء :كتاب المجربات، دراسة وتحقيق، كريسينا ألبرت ميان، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية لتعاون الدولي، مدريد، دط، 1994.

(3) ابن زهر أبو مروان: التيسير، المصدر السابق.

(4) أحمد الطاهري: الطب والفلاحة في الأندلس بين الحكمة والتجريب، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،المحمدية، مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء، ط1، 1997، ص51.

(5) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق،ج3،ص122.

(6) أحمد الطاهري : المرجع السابق،ص51.

(7) مثلا ابن زهر الذي كان متكافلا جدا مع مرضاه، ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج3، ص104.

(8) ابن زهر: التيسير، المصدر السابق، ص89.

(9) الحموي: معجم البلدان،ج3،ص131.

(10) هي مدينة أندلسية، بالقرب من مدينة المرية كثيرة الثمار، ضخمة البساتين. الحميري: المصدر السابق، ص 60، 70. العذري: المصدر السابق، ص 86.

بمياهها[1]، ولأهميتها نجد ذكرها أيضا ضمن كتب التراجم[2]، إضافة إلى حمة غرناطة، التي هي الأخرى يستغل ماء عينها للتداوي[3].

و لم يكتف الأندلسيون بهذا، وإنما تعلقوا باعتقاداتهم، حيث جعلوا من الأولياء الصالحين والعلماء وقبورهم، ملاذا وأماكن للاستشفاء، فيزورونهم تبركا بهم، ووصل بهم الحد إلى نقل تراب قبورهم لمرضاهم استشفاء به[4].

ورغم هذه الاعتقادات، واللجوء إلى الطب البديل، إلا أننا إذا جمعنا بين الحمية والطب والطب البديل، فإننا نلمس أن الأسرة الأندلسية أعطت أهمية كبيرة للوقاية وحفظ الصحة ومحاولة إيجاد طرق لعلاج الأسقام.

(1) القزويني: المصدر السابق، ص509.الحميري:المصدر السابق،ص38 .ابن بسام: المصدر السابق، م3،ص492.

(2) تذكر هذه المصادر أن فقهاء قصدوا هذه الحمة لمعالجة علة الفالج. انظر ابن الأبار: المعجم، المصدر السابق،ص270.ابن فرحون: الديباج، المصدر السابق، ص103. ابن عطية: فهرسة ابن عطية، تحقيق محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، المصدر السابق، ص78.

(3) أبو حامد الغرناطي:المصدر السابق،ص105،106.

(4) ابن الزبير: المصدر السابق،ق4،ص 173.

المبحث الثالث

الأسرة بين الاحتفال والترويح

بعد محاولة تقديمنا لصورة مقربة معرفة عن مختلف عادات الأسرة الأندلسية، في مظهر أفرادها ومأواهم، وفي غذائهم وشؤون صحتهم، فإننا نضيف إلى ذلك التفاتة قصيرة عن عادات أخرى، في أفراحها وأتراحها، ولحظات ترفيه أفرادها على أنفسهم، وكل ذلك نحاول أن نناقشه في هذا المبحث، ونجيب على أبرز إشكال يمكن أن يطرح هنا، وهو كيف كانت الأسرة الأندلسية تقضي كل تلك اللحظات؟

أولا: احتفالات مختلفة للأسرة:

انطلاقا من المفهوم اللغوي للاحتفال، الذي يعني الاجتماع بشقيه لفرح أو حزن(1)، فإنه يجدر بنا تتبع هذين الشقين مع الأسرة الأندلسية- كموضوع للدراسة_ ولذلك كيف تعيش الأسرة هاتين الحالتين؟ أو بمعنى آخر، ما هي أهم مظاهر السرور والفرح التي عرفتها الأسرة الأندلسية؟ وكيف كانت تحييها؟ وفي مقابل ذلك، ما أهم اللحظات التي تقلب مسرات الأسرة إلى أحزان؟ وكيف كانت تتجاوزها الأسرة الأندلسية؟

ولمحاولة الإجابة على هذه التساؤلات، فصلنا هذا الجزء إلى قسمين تبعا لشقي الاحتفال، وهي كالآتي:

1-مسرات الأسرة:

على غرار العادة السائدة في كل العصور، فإن أهم أيام أفراح الأسر، وامتلاء بيوتها بهجة وحيوية، هي أيام الأعياد التي تتكرر في كل سنة، فتكون إما سنّة عقائدية، اختصت بها ديانة عن أخرى، أو سنّة عرفية اختصت بها بعض المجتمعات، أو هي تقليد أو انتقال لتلك السنن بين أفراد المجتمع، أو المجتمعات المتضمنة لشعوب وعقائد مختلفة، وهنا يمكن أن نتساءل: عن أهم الأعياد التي تميزت بها الأسرة الأندلسية.

(1) ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ج11، ص 157.

أ-الأعياد الدينية:

ما دامت دراستنا تتناول الأندلس أيام حكم المسلمين، فهي بالضرورة تابعة في مختلف عاداتها إلى المجتمع المسلم، واستنادا إلى ذلك، فإن أهم الأعياد التي تعتبر رموزا دينية للمسلمين، هي نفسها التي تحييها الأسر الأندلسية، لكن كيف كانت تحييها؟.

-شهر رمضان:

تكشف المصادر، خاصة منها الأدبية عن ترقب الأندلسيين لهلال رمضان، وذلك بالخروج والانتظار ليلا حتى يطلع أو يبرز للناس الهلال في الأفق، حيث تكون بداية الصيام، وهذا الظهور للهلال صوره أحدهم في قوله: (بحر البسيط)

قلت والناس يرقبون هلالا　　　يشبه الصب في نحافة جسمه[1].

مشبها إياه -وهو كما نعرف صغيرا بخط رقيق- بالمحب النحيف الجسم، وأن هلال رمضان قد اشتاق وحن إلى الصائمين والقائمين، وبطول المدة نحف جسمه كالمحب.

وهذه مناسبة تأتي شهرا في كل سنة، فعند ظهوره ورؤيته تتعالى أصوات الناس بالتكبير[2]، فرحا بقدومه، أما في القرى فتوقد النار لرؤيته إعلاما للقرى المجاورة ببدء شهر الصيام[3]، وابتداء من هذه الليلة ينطلق الناس في مراسم شهر الصيام، وذلك بالإمساك عن كثير من المنكرات والمحرمات، لأن الصيام عند المسلمين لا يعني فقط الإمساك عن الأكل والشرب، وإنما يعني أيضا الإمساك عن كل ما تقوم به الجوارح من منكر، فهو الشهر الذي تمتلئ فيه الدنيا نورا، كما يقول أحدهم في قوله: (بحر الخفيف)

من يكن صائما فذا رمضان　　　خط بالنور للورى أول اسمه[4].

ورغم أن المصادر خاصة مصادر الطبخ لا تطلعنا عما تقدمه الأسرة على مائدة الإفطار أو السحور -كما نرى اليوم- إلا ما يذكره **ابن قزمان** في أزجاله عن نوع من الأطعمة "كالجوذباه"[5]، ولا نعلم صفة هذا الطعام، ولكن ما يدل خلاله هو أن هناك أطعمة خاصة بشهر رمضان.

---

(1) ابن حمديس: المصدر السابق، ص423.

(2) ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، م2، ص351. ابن قزمان: المصدر السابق، ص284.

(3) دندش عصمت: الأندلس في نهاية المرابطين، المرجع السابق ص308.

(4) ابن حمديس: المصدر السابق، ص423.

(5) ابن قزمان: المصدر السابق، ص864. في قوله: جوذباه قمح الضيف　　　إينكم إخواني

رمضان ذا مقبل الخبر　　　قد جاني

فيقضي أفراد الأسرة يومهم صائمين، وبعد موعد الإفطار يتوجه الكل إلى التجمع في المساجد، حيث تكون الصلاة والقيام، فكانت عادتهم الابتداء من أول سورة قرآنية(1)، أملا منهم أن يختموا القرآن الكريم في هذا الشهر المعظم(2)، وفي معظم الأحيان يكون ختمهم له في ليلة السابع والعشرين من هذا الشهر(3)، حيث تعتبر هذه الليلة إحدى الليالي التي كانت تحتفل بها الأسرة الأندلسية، فينيرون الدنيا بالأضواء(4)، كما تشترى الحلوى والفاكهة وتقدم للضيوف(5)، رغم أن علماء الأندلس **كأبي بكر الطرطوشي** اعتبرها من بدع ذلك الزمان(6)، وينتهي هذا الشهر الكريم، حيث يأسف عليه المتعبدون خاصة إذا أحسوا بالتقصير في العبادات والدعاء أثناءه، في الوقت الذي وجد من كان فرحا بانتهائه، حيث يعود إلى منكراته كشرب الخمر، الذي كان مدمنا عليه(7)، معتبرا رمضان شهرا حرمه عاداته.

-عيد الفطر:

من الأعياد التي سنها الإسلام، وجعلها فرحة للمسلم، عيد الفطر الذي لا شك في أنه عيد يحتفل به المجتمع المسلم في مستهل شهر شوال، والذي يعتبر نهاية شعيرة من شعائر المسلمين، كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم القائل: «**لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ**» (8).

وعند اكتمال ثلاثين أو تسعة وعشرين يوما من شهر رمضان ، يعود الناس أيضا إلى ترقب هلال الشهر الجديد، الذي به تكون نهاية لمراسم شهر الصوم، وهذا الشهر هو شهر شوال، الذي تكون غرته يوم عيد، حيث يكافأ المسلم الصائم.

أما عن الأسرة ولحظات هذه المناسبة، فقد تتبعناها في المصادر المتوفرة، التي أمدتنا بنصوص مختلفة، تسوق لنا ذلك بداية من ليلة بروز هلال الشهر، ولذلك فقد كان الأندلسيون يجتمعون لمراقبة هلال هذا الشهر، وبمجرد رؤيته تتعالى أصواتهم مثل رمضان بالتكبير(9)، إعلانا بنهاية شهر رمضان، والعودة إلى

(1) ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، م2، ص352.

(2) المصدر نفسه، ص نفسها. ابن عبد الملك: المصدر السابق، س5، ق1، ص99. ابن الحاج: المصدر السابق، و316.

(3) ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، م2، ص352.

(4) المصدر نفسه، ص نفسها. Aly Mazaher*: op*,cit,p173.

(5) عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، المرجع السابق، ص 226.

(6) الطرطوشي: الحوادث والبدع،المصدر السابق، ص47.

(7) ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، م2، ص352.

(8) مسلم:صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم 1151، ج2، ص807. البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصوم.، باب هل يقول إني صائم إذا شتم، رقم1805، ج2، ص 673.

(9) ابن قزمان: المصدر السابق، ص284.

إلى أيامهم السالفة، وقد كان معظم الأفراد ينظرون إلى العيد بعين المكافأة والفرحة؛ لأنهم ضيوف الرحمن لما يعلمه المسلمون من معنى لهذا العيد، وعملا بسنّة الرسول صلى الله عليه وسلم، كما جاء في الحديث الآنف الذكر، إلا أن هناك من تغمره الفرحة ليس أسوة، وإنما عودة إلى استهتاره وما اعتاده من منكرات كشرب الخمر، وهذا ما يصوره أحد المستهترين حينما لاحظ هلال العيد في قوله (بحر الوافر):

إذا لاح الهلال فقم إليه   بإهلال لتوديع الصيام

ولا تسمح بقدر اللحظ إلا   تلاقى وقد أكواس المدام

وقل إن قيل: حي على حلال   صباح الفطر حي على الحرام[1].

وكان من أعراف الأسر الأندلسية في ليلة هذا العيد، القيام بتنظيف زينة المحيط وتجديدها، ويتحلى الأفراد بأحسن زينة وأجمل ثياب[2]، حيث تبدو الدنيا متزينة نيرة، وحتى فقيرهم كان يستفيد من مصدر مالي يرفع عنه وعن أسرته مظاهر البؤس والحرمان، ويتمثل في زكاة الفطر التي فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أجل دفع الحاجة عن الفقراء والمساكين في هذا اليوم، وليتمكنوا من مشاركة المسلمين جميعا فرحتهم.

وفي صباح هذا اليوم يتوجه كل أفراد الأسرة، أطفالا ورجالا ونساء إلى المساجد لصلاة العيد مرتدين حللهم الجميلة، وهم يموجون فرحا[3]، وقد جاء تصوير كل هذا عند ابن الخطيب في إحاطته[4].

وبعد الصلاة يتوجهون رجالا ونساء لزيارة الأقارب، إلا أن مما يستنكره الأندلسيون وينظرون إلى صاحبه نظرة المبغض في هذه الزيارات، وأنه عديم الذوق والإحساس، أن يقابلوا بسلام بارد، أو بملامح كئيبة مليئة بالكره، فهي تصرفات تعبر عن عدم الرغبة فيهم، إذ العيد إنما وجد للتسامح بين الناس، وأن يسلم الفرد على أخيه سلام المحب لا سلام المكره، وشاع الكلام عن هذا التصرف في أمثالهم، حتى اعتبروا أن غياب البسمة والسرور في استقبال الضيوف كالطعام الذي أعد من غير ملح، فكما أن الطعام

---

(1) ابن سعيد: اختصار القدح المعلى، المصدر السابق، ص179.

(2) ابن قزمان: المصدر السابق ص324، 490، 622،حيث يقول:

العيد قريب وحسبك ما ترى   من قريب ذا العيد

والعرف في كل موسم قد جرى   بإصلاح وتجديد

(3) ابن سعيد: الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة،تحقيق إبراهيم الأبياري،دار المعارف، مصر، دط، دت، ص38.

(4) ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق،م3،ص 502. مع أن النص استغله بوتشيش القادري استشهادا لمراسم العرس، إلا أنه عند اطلاعنا على النص، وجدناه يحتوي على مادة مصدرية تفيد بأن ذلك الوصف هو وصف حال الأفراد يوم العيد، انظر بوتشيش القادري: المغرب والأندلس، المرجع السابق،ص45.

لا يستغني عن الملح، فإن العيد لا ينبغي أن يكون من غير بسمة وسرور، يقول المثل الأندلسي: «**جـــي العيد، بخبر البارد وسلام المسوس**»[1].

كما يتوجه البعض لزيارة المقابر للترحم على موتاهم[2]، ويقدم لنا **ابن قزمان** تصويرا رائعا لذلك التناقض، المتمثل في الجمع بين الفرح في هذا العيد وبين دموع الترحم بتذكر الموتى فيقول:

كــل وجــه مزين	ليلــة العيــد دبــرا
والبكــاء بالمقــابــر	على الاحبــاب دمرا
الاحتفال بالفجايــع	فاحتفــال بالمــسرا
ودمــوع التــرحم	في ثياب الشطار[3].

إضافة إلى ذلك، فكتب الفقه تطلعنا على مراسم أخرى لهذا اليوم، فتذكر أن أفراد الأسرة كانوا يخرجون للنزهة[4]، ويمارسون بعض الألعاب كالفروسية[5]، ومع كل هذه المراسم ينتهي هــذا اليــوم ويعود الكل إلى بيته، وقد امتلأ سرورا وفرحا.

وما إن ينقضي يوم العيد حتى يبتدئ بعض الأندلسيين صيام الأيام الستة من شهر شوال، عمــلا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالرغم مما يذكره **الطرطوشي** من تركهم لها وانتشار نكرانها بين الناس[6].

عيد الأضحى:

العيد الثاني من الأعياد الإسلامية هو: عيد الأضحى، الذي يلتقي مع عيد الفطر في عدة مظــاهر كالتزيين، والتوجه إلى الصلاة، والتسبيح في المساجد، والقيام بالزيارات المختلفة، لكن يختلف عنه فيما يختص به من ذبح الأضحية، وامتداده إلى ثلاثة أيام، فكيف وماذا تحضر الأسر الأندلسية لهذه المناسبة؟ وكيف تقضي أيامها؟

إضافة إلى ما استقيناه من المصادر، من مظاهر سابقة يلتقي فيها العيدان، فإن هناك نصوصا مختلفة تمدنا بها مصادر الفترة، وتكثر فيها الإشارات إلى الأضحية، فتذكر أن مختلف الأسر تتجــه إلى ابتيــاع الأضاحي من كباش وخراف، حسب الحالة الاجتماعية للأسر، حيث تتفاوت في ذلك حسب القــدرة

(1) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص178.
(2) ابن عبدون: المصدر السابق، ص25، 45.
(3) ابن قزمان: المصدر السابق، ص324.
(4) ابن عبدون: المصدر السابق، ص25.
(5) ابن سلمون: المصدر السابق، و170، ظ170و
(6) الطرطوشي: الحوادث والبدع، المصدر السابق، ص48.

المالية، وهذا ما نتج عنه التنافس والمغالاة في الحصول على أحسن الأضاحي[1]، في حين يذكر **الطرطوشي** أن هناك من الناس من ترك الأضحية في تلك الفترة وأنكرها[2]، كما يعتبرها البعض الآخر ثقلا، ويحاول أن يتحمل ذلك[3]، رغم أن نظرة عامة المجتمع هي الاعتقاد بأن في إسالة الدم إزالة الهم[4].

وإضافة إلى إحضار الأضاحي، تقوم الأسر بتوفير تلك الأواني والمواد التي تخص هذه المناسبة، كما يذكرها **ابن قزمان** من قدور وصحيفات، وقلل ومحالب، ومختلف أنواع العطور، وإعمال حفر، تختص كل مجموعة سكانية أو كما عبر عنها بـ"حارة" بحفرة، لأجل تشويط الرؤوس في يوم ذبح الأضحية، ويرى الفقهاء أن الأضحية تكون بعد الانتهاء من صلاة العيد[5]، حيث ينطلقون في ذبح أضاحيهم بعد قيام الإمام بذلك[6].

وبعدئذ تستغل الأسر تلك الحفر، التي أعدت من قبل لشواء رؤوس أضاحيها، أما اللحم، فتصنع منه الأسرة أنواعا عدة من الأطعمة، وتقدمه للأكل بأشكال وأطباق مختلفة، ومن المصادر التي حاولت أن تقدم إلينا بعضها، أزجال **ابن قزمان**، حيث ذكر: "القديد" الذي يشرح ويجفف، و"الشواء" حيث يقص اللحم إلى عدة أطراف، ثم يملح ويصفف على النار، وبعد شوائه[7]، يقدم للأكل، إضافة إلى «الثريد الذي يقدم للضيوف»[8]، وظاهر كل ذلك طاعة الله تعالى، وباطنه إدخال الفرح على الأولاد، وفي ذلك يقول **ابن قزمان**:

كبش بسم الضحية يشريه كل مرماد

فهو ظاهر لله والقصد فرح الأولاد»[9].

وعلى كل حال، فإننا نستخلص مما سبق، أن هذين العيدين هما من أكبر شعائر المسلمين، والأسرة الأندلسية تعيش فيهما لحظات سرور وفرح، وتواصل بين أفرادها، تحييها مرة مع مرور كل سنة، وفي كل مرة، تظهر وكأنها لأول مرة يحتفل بها، لما تهتم به من تزيين وتعظيم وتحضير كامل.

---

(1) ابن الخطيب: جيش التوشيح، المصدر السابق، ص237.ابن بسام: المصدر السابق، م3، ص399.

(2) الطرطوشي: الحوادث والبدع، المصدر السابق ص48.

(3) ابن قزمان: المصدر السابق، ص324.

(4) الزجالي: المصدر السابق، ج1، ص233، تقول العامة بصدد هذا: "**سليخة ودم، ونزيل الهم**"

(5) ابن رشد الجد: الفتاوى، المصدر السابق، ج1، ص50.الونشريسي: المصدر السابق، ج2،ص32.

(6) الونشريسي:المصدر السابق،ج2 ص32، 33.

(7) ابن قزمان: المصدر السابق، ص524، ويقول في ذلك: واش إلا القلايا والقديد المشرح

وشواي بجنب وأنا جالس نملح

ونصفف على النار ثم نبتدي نملح

(8) المصدر نفسه، ص436.

(9) المصدر نفسه، ص 324.

أعياد أخرى:

إضافة إلى العيدين اللذين يعتبران من رموز المسلمين العقائدية، هناك أعياد ومناسبات أخرى كان الأندلسيون والمجتمع المسلم بصفة خاصة يحتفل بها، ومنها، يوم السابع والعشرين من رمضان، الذي سبق وأن فصلنا الحديث فيه، و في هذا الجزء نتطرق إلى أعياد أخرى وهي كالآتي:

عيد عاشوراء:

هذا العيد هو يوم العاشر من شهر محرم، ويرمز إلى يومٍ حثنا الإسلام على صيامه، لما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بسبب صيام اليهود له-وهو يوم نجى فيه الله موسى عليه السلام من فرعون- وأصبح سنة للمسلمين، وفضلا عن صيام الأسرة الأندلسية لهذا اليوم اقتداء بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فإنها كانت تعتبره يوم فاكهة وحلوى، إذ نجد في ثنايا المصادر أن أفرادها لم يكونوا يصومون هذا اليوم فحسب، بل ما وصلنا هو أن هذا اليوم اعتبروه عيد فاكهة وحلوى، كما جاء في إحدى الأزجال أن في هذه المناسبة: «نشتري بلوط وقسطل واش تقل قط فالجوز واش خبر لوزان منقى وكثير ما ناكل»[1]

ليلة النصف من شهر شعبان:

أو الشعبانية كما يسميها الأندلسيون، وكان من عاداتهم في هذه المناسبة، ملء مائدة الطعام بأنواع شتى من الأطباق، حتى عبر عنها أحدهم بالشبعة، وأنها تكفيه الجوع طيلة شهر رمضان، في قوله:

حمدت شعبان المبارك شبعة   تستهل عندي الجوع في رمضان[2].

وعبرت عنها العامة في قولها في المثل: «**شعبان شبعان**»[3].

فهي إذن مناسبة تشبه الولائم المختلفة، التي تعملها الأسرة من حين لآخر، كوليمة الختان ووليمة الزفاف...وغيرها.

المولد النبوي:

إن المعلومات عن الاحتفال بالمولد النبوي في مصادر فترة المرابطين والموحدين نادرة، حيث إننا لم نجد أية إشارة إلى ذكر ذلك، لكن ما يوجد هو الاحتفال به رسميا في القرن السابع الهجري، في أواخر

---

(1) ابن قزمان:المصدر السابق، ص622.

(2) ابن الأبار: تحفة القادم، المصدر السابق، ص35. وقول آخر في هذه المناسبة:

«دعوها شعبانية ولو أنهم   دعوها شبعانية لشفاني» المقري: النفح، المصدر السابق، ج6، ص57.

(3) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص438.

عهد الموحدين وأوائل المرينيين، على يد **أبي العباس العزفي** (ت1236/633)، الذي دعا إلى الاحتفال بهذه الليلة، وألف فيها كتابه الموسوم" **الدر المنظم في مولد النبي المعظم**" [1].

إلا أن أحد الباحثين يذكر في إحدى مؤلفاته، أن الاحتفال به ظهر في القرن الخامس[2]، ولا نعلم من أين استقى هذه المعلومة، رغم أن المصادر المختلفة كما ذكرنا، أجمعت على أنه في القرن السابع الهجري، وكما يذكر **ابن خلدون** مثلا، عند دخوله الأندلس أيام حكم **أبي يعقوب يوسف المريني** (685 — 707/ 1286 – 1307)، أنه احتفل بهذه المناسبة اقتداء بملوك المغرب[3].

–الأعياد المسيحية:

علاوة على الاحتفال بالأعياد الإسلامية، فقد شارك مسلمو الأندلس جيرانهم المسيحيين في أعيادهم، ومن أهم هذه الأعياد:

عيد النيروز:

وقبل الحديث عن طريقة الاحتفال بهذا العيد، يجدر بنا أن نعرف به، إذ تذكر أبحاث المستشرقين، أن هذا العيد فارسي الأصل، يرمز إلى يوم استهلال السنة الشمسية عند الفرس، وهو الذي يدعى عند المسيحيين في الأندلس بعيد ينير[4]، ومن الشواهد التاريخية المؤكدة، تلك الإشارات المعاصرة للفترة المرابطية والموحدية المختلفة، التي وردت في تلك المصادر كالأدب والتراجم والجغرافيا[5].

ورغم إنكار الفقهاء لاحتفال المسلمين به، لأنه من أعياد أهل الذمة التي لا يجوز اتباعهم أو تقليدهم فيها[6]، إلا أنه كان من عاداتهم شراء الأنواع المختلفة من الفواكه كالأترج والجلوز[7]...إلخ[8]، وتحضير الأطباق المتنوعة من الحلوى[9]، فيكلف الناس أنفسهم ويتنافسون في توفير

---

(1) ابن الحاج النميري: فيض العباب،تحقيق ابن شقرون(من مقدمة التحقيق)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دط،1987، ص117. المقري: أزهار الرياضالمصدر السابق،ج1، ص243.

(2) سامعي إسماعيل: تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، مكتبة اقرأ، ط1، 2007، ص126.

(3) عبد الرحمن بن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر،بيروت، دط، 1979، ص89.

(4) آدم متز: المرجع السابق، ج1، ص715. Menendaz Pedal:*Estoria de Espana, dirigida por José* Maria,Espasa, T VIII-II, p173.

E. Fagnon: *additions aux dictionnaires arabes, , Beyrouth, librairie du libanp179.*

(5) ابن عبد الملك: المصدر السابق، س1، ق2، ص565، 566. ابن سعيد:المغرب، المصدر السابق، ج1، ص294. ابن الخطيب: اختصار القدح، المصدر السابق، ص101، 202.

(6) الطرطوشي: الحوادث والبدع، المصدر السابق، ص141.

(7) الجلوز : نوع من البندق، وهو حب الصنوبر الصغير، وهو أفضل منه غذاء من الجوز. الداية فايز: المرجع السابق، ص201. معجم المصطلحات الطبية: المرجع السابق، ص607.

(8) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص337.

(9) ابن قزمان: المصدر السابق، ص464.

ذلك، وقد تحدث بسبب ذلك مشكلات عائلية، ويجد رب البيت نفسه مجبرا على تحمل تكاليف فوق طاقته، لاعتقادهم أن عدم توفير ذلك ذل ومهانة للأسرة(1).

والظاهرة البارزة واللافتة للانتباه صور التماثيل والعرائس التي كانت توضع في البيوت والحوانيت، وتشترى وتقدم للأطفال يلعبون بها، وتلك الكتل من العجين التي يدعونها "**مدائن**" لأن معظمها على شكل مدن مصغرة ذات أسوار(2).

عيد العنصرة:

هو العيد الذي يدعوه المسيحيون عيد المهرجان، حيث يحتفلون به في يوم الرابع والعشرين من جوان، أو ما عرف عنه بـ"**SanJuan**"(3)، أما أهل الأندلس فيدعونه "**العنصرة**"، والمقصود بالعنصرة الشعلة من النار، التي كانوا يعملونها ويقفزون فوقها، كما جاء في المصادر العربية المختلفة(4)، وكما عبرت عنها العامة بقولها: «**كفزها بحل عنصر**»(5) أو «**الكبش المصوف ما يكفز العنصر**»(6).

إضافة إلى عيد في فصل الربيع في الخامس من أفريل، والذي أشارت إليه إحدى المصادر(7)، وتؤكد عليه أبحاث المسيحيين المتوفرة لدينا، وتدعوه "**Jueves Santo**"(8).

ويمكن رد هذه الأعياد المسيحية، التي يحتفل بها الأندلسيون إلى أن هناك علاقات حسنة بين الأسر المسلمة والأسر المسيحية، رغم الحروب الطاحنة في هذا العصر بين المسيحيين والمسلمين، وإنما التجاور أثر في عادات المسلمين، فأصبحوا دون أي عائق أو أسباب، يشاركون ويقلدون المسيحيين حتى في أعيادهم.

---

(1) ابن بسام: المصدر السابق، ج1، ص351. يقول أبو القاسم: (بحر الطويل)

دنت ليلة النيروز منا ولم تكن | لترضى لنا فيها من العيش بالأذى
وقالت حجولي سر إلى السوق واحتفل | ولا تبقى فيها من جراديقها فناء

(2) ابن سعيد: اختصار القدح، المصدر السابق، ص101،102. ابن قزمان: المصدر السابق، ص464. ابن عبد الملك: المصدر السابق، س1، ق1، ص565،566. كمثال قول الشاعر كما يذكر ابن سعيد في هذه المدائن: (بحر المجتث)

« مدينة مصورة | تحار فيها السحرة
لم تبنيها لا يدا | عذراء أو مخدرة
بدت عروسا تجتلى | من درمك من عفرة
وما لها مفاتح | إلا البنان العشرة»

ابن سعيد: المغرب، ج1، ص294.

(3)Manuela Marin:*op,cit*,p210. Menendaz Pedal: *op,cit*,371.

(4) ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص84. الزجالي: المصدر السابق،ج1، ص240.

(5) الزجالي: المصدر نفسه، ق2، ص240.

(6) المصدر نفسه، ق2، ص85.

(7) ابن سعيد: اختصار القدح، المصدر السابق، ص156.

(8)Manuela Marin: *op,c it*,p210

2- الأحزان:

وعلى العكس من تلك الأيام الجميلة التي يقضيها أفراد الأسرة الأندلسية، فهناك لحظات تمر عسيرة عليهم، خاصة لحظات الموت، أي وفاة أحد الأفراد فتنقلب تلك المسرات أحزانا.

ولعظمة أمر الموت ورهبته، فقد ألف الكثيرون فيه، حيث نجد ضمن كتب التراجم من ألف وخص كتبا في الحديث عن القبور والمحتضرين[1]، ولأن الموت إحدى المراحل التي يمر بها كل فرد، فلقد اعتبر في الناحية القضائية مثل الميلاد والمعاملات، حيث نجد ضمن كتب الفقه عقودا تسمى عقود الوفاة[2]، والتي كانت تؤرخ ليوم وفاة الفرد ومكانها، والأسباب التي أدت إلى وفاته، وهذا بداية لتطبيق وصايا المتوفى وتقسيم تركته، التي كما ذكرنا سابقا كأمثلة مبدأ للنزاعات العائلية، والتي يمكن أحيانا أن تكتب على قبر المتوفى، مثلما ورد في إحدى التراجم من أنه صاحب الترجمة تأكد من تاريخ ومكان وفاة المترجَم له من رخامة موضوعة على قبره[3].

فالوصايا التي أمكن لنا الحصول عليها ضمن كتب النوازل، تمثلت في معظمها في إعطاء جزء من أمواله للمساكين والفقراء[4]، أو أحد أهل العائلة كالأحفاد مثلا[5].

أما كتب التراجم، فقد أمدتنا بنصوص أخرى، خاصة بالتقاليد الجنائزية، ومن تلك الشواهد وصية أحدهم بأن «يصلى عليه في أسطوانة داره، فإن كثر الناس لشهود الجنازة وحملها أخرج إلى باب الدار، فإن زادوا حمل إلى المصلى...»[6]،وذلك خوفا منه أن يقل مشيعوه، فينتقص من ذلك أعداؤه[7]، وأوصى أحدهم بدفنه في جوف داره[8] واختار آخر أن يدفن بجنب أحد أصدقائه[9]، كما أوصى آخرون بدفنهم في حومة العائلة أو المقبرة الخاصة بها، أو في مدينة أو قرية دون أخرى[10].

أما على القبر، فقد أوصى الكثير منهم أن تكتب على قبورهم مجموعة أبيات زهدية كان قد نظمها أو قطعة نثرية في حياته[11]، ولعظمة وهول الأمر، نجد أحدهم «حفر قبره وأعد أكفانه، وما

---

(1) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1،ص311، أمة الرحمن نبت أبي محمد عبد الحق بنت غالب بن عطية.

(2) ابن رشدالجد: الفتاوى، المصدر السابق ج3، ص1599.أبو إسحاق الغرناطي: المصدر السابق، ص42.

(3) ابن الأبار: المعجم، المصدر السابق، ص104.

(4) ابن رشد الجد: الفتاوى المصدر السابق، ج2، ص1043.

(5) محمد بن عياض : مذاهب الحكام، المصدر السابق، ص183.

(6) ابن الأبار: المعجم، المصدر السابق، ص56.

(7) المصدر نفسه ص نفسها.

(8) ابن الزبير: المصدق السابق، ق4، ص217.

(9) ابن بسام: المصدر السابق، م1، ص205.

(10) ابن الزبير: المصدر السابق، ق4، ص218، 232.

(11) ابن بسام: المصدر السابق، م1، ص205.

يحتاج إليه ولم يورث عنه دينارا ولا درهما سوى أربعة وثلاثين درهما وجدت في أكفانه مكتوبا عليها: للحمال كذا وللغاسل كذا ، وكذا إلى ما يحتاج في مؤونة الدفن وما يتعلق بذلك»[1]، وأوصى أحدهم أن يصلي عليه ابنه[2]، وآخر أن يغسله أحد الفقهاء[3].

ورغم أن الوصايا كثيرة ومتنوعة، إلا أننا اكتفينا بهذه الأمثلة، لتكرار ذلك بين المصادر المختلفة، ولا بد أنه قبل عملية الدفن، واتباعا لسنن الدين، كانوا يغسلون ميتهم ويكفنونه ويعملون بوصيته.

ومن المسائل اللافتة لنظر الباحثة تقليد النصارى للمسلمين في أمر غسل موتاهم، فقد ذكر أحد المستشرقين أنهم بمحاكاتهم المسلمين تأثروا بدرجة تلك النظافة، حتى لموتاهم فأخذوا عنهم، وأصبحوا يغسلون الموتى[4].

وهناك جنائز تحظى بعناية كبيرة من الأندلسيين، بل ويشهد فيها الناس مظاهر مؤثرة وهي جنائز العلماء والصالحين، فقد ذكرت كتب التراجم مظاهر مختلفة ومنها أن أحد العلماء ازدحموا عليه حتى كسروا نعشه، بل أبطأوا حتى في دفنه[5]، وأحدهم ترامى عليه الناس في الطريق متمسحين بثيابه[6]، حتى قيل في بعضها: «شهد جنازته جمع عظيم من الناس لم يشهد مثله»[7].

ولمكانة العلماء في أسرهم ومجتمعهم، فلقد كانت جنازة أحدهم عظيمة إلى حد حضور أهل الكنيسة من النصارى فيها، حيث شاركوا إلى جنب المسلمين في تشييع جنازته[8]، وتتجسد هذه المظاهر في تصرفات العامة، فشدة المصيبة عليهم تجعلهم يتهافتون ويحتشدون على جنازة بعضهم، ويدل على ذلك كثرة الحمالين المتداولين على حمل الجنازة، حتى اشتهر عنهم قولهم: «**كم من حمال على ذا الميت**»[9].

ولم يكتف أفراد المجتمع بالاحتشاد، وإنما كانت هناك أيضا تقاليد جنائزية أخرى كالاجتماع على القبر وقراءة القرآن[10] ، وقد كانوا يتبركون بالمتوفى سواء أثناء الجنازة -كأن يرموا ثيابهم على نعشه ومناولته بعضهم البعض، ماسحين بها وجوههم، [11]- أو بعد دفنه فيصبح مزارا للناس، حيث يلوذون

---

(1) ابن الزبير: المصدر السابق، ق4، ص37.

(2) محمد ابن عياض: التعريف بالقاصي عياض، المصدر السابق، ص41. ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص355.

(3) الضبي: المصدر السابق، ص138.

(4) أمريكو كاسترو: المرجع السابق،ص 35

(5) ابن الأبار: المعجم، المصدر السابق، ص 287

(6) ابن صعد: النجم الثاقب، المصدر السابق، ظ7و. القاضي عياض: الغنية، المصدر السابق، ص11.

(7) ابن الزبير: المصدر السابق، ق4، ص236.

(8) ابن عبد الملك: المصدر السابق، س5،ق1، ص316.

(9) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص256.

(10) الضبي: المصدر السابق، ص138.

(11) ابن عبد الملك: المصدر السابق، س5،ق1، ص316.

بتراب قبره[1]، ولا غرابة في هذا فمكانة الصالحين في المجتمع الأندلسي، جعلتهم يتبركون بهم حتى وهم أحياء، فهذا أحدهم كما تشير ترجمته أن تابعيه، عندما أرادوا دفن إحدى جنازاتهم إلا بعد أن يقصدوا داره للصلاة عليها قبل الدفن[2].

أما حال أهل الأسرة عند وفاة أحد أفرادها فالحزن الذي يبدأ بالبكاء عليه، والذي يعتبر حتميا ولو حاولوا التظاهر بالصبر، مقتنعين بأنه مات ولن يعود، وهذه الحال يقدم لها **ابن قزمان** وصفا في قوله:

«البكا واجب وصبرنا أنفع   إن من قد مات لم يمض ليرجع»[3]

ولتكافل الأسر فيما بينها، فلقد كان يتوجه أفرادها لتعزية أهل المتوفى، ومن عاداتهم على وجه التعزية أن يقولوا لأهل المتوفى كما جاء في المثل« **كل شيء لا شيء و المرجوع إلى الله**»[4]، مقتنعين ومقنعين أهل الميت أن كل شيء مآله الزوال، والمرجع إلى الله تعالى، رغبة منهم في التخفيف عليهم ومواساتهم، ويذكر **ابن رشد الجد** الحكمة من التعزية في ثلاثة أشياء، وهي:« تهوين المصيبة على المعزى وتسليته منها، وتحضيضه على التزام الصبر واحتساب الأجر والرضا بقضاء الله والتسليم لأمره، والثاني: الدعاء له بأن يعوضه الله من مصابه جزيل الثواب(...) والثالث: الدعاء للميت والترحم عليه والاستغفار له»[5].

إضافة إلى البكاء على الميت، يقيم الأندلسيون أيام الحداد، فيرتدون لونه المتمثل في الثوب الأبيض، كما عرف عنهم منذ العهد الأموي، وتصنع الأسرة طعاما، وتدعو الناس إليه طيلة عدة أيام تدعى المآتم، والتي يقدم لها **الطرطوشي** تعريفا في قوله:«المأتم هو الاجتماع في الصبحة(...) وكذلك ما بعد من الاجتماع في الثاني والثالث والسابع والشهر والسنة(...) وما يوقد فيها من الشمع والبخور...» [6]، ويعتبرها بدعة وإسرافا وتبذيرا[7].

وهذا قدر وقضاء، كما رأينا في أمثالهم، وما سبق ما هو إلا التفاتة إلى بعض العادات والتقاليد الجنائزية، التي كانت بارزة في حياة الأسرة الأندلسية.

---

(1) ابن الزبير: المصدر السابق ، ق4، ص236.

(2) الضبي: المصدر السابق، ص339.

(3) ابن قزمان: المصدر السابق، ص528.

(4) الزجالي: المصدر السابق، ق2، ص60.

(5) ابن رشد الجد: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه في مسائل المستخرجة، تحقيق سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي،بيروت، ط1، 1988، ج2، ص211.

(6) الطرطوشي: الحوادث والبدع، المصدر السابق، ص30.

(7) المصدر نفسه، ص نفسها.

وحقيقة، فحياة الأسرة الأندلسية تماثل حياة الأسر على مر العصور، حيث تعيش أياما جميلة تسر بها، وأياما أخرى يملؤها الحزن والكآبة، وما أردناه هنا فقط، هو معرفة ما ميز الأسرة الأندلسية من عادات وتقاليد.

ثانيا :النزهة والترفيه :

من حين إلى آخر يحتاج الفرد إلى الراحة والترويح عن نفسه، فيستغل كل ما يتوفر لديه من أدوات ووسائل، وما يحيط به من مرافق، ويحاول أن يقضي لحظات ترويحية، سواء مع أفراد عائلته أو مع أصدقائه، وسنحاول هنا الحديث عن النزهة والترفيه في حياة الأسرة الأندلسية وكيف وأين كان يقضي هؤلاء تلك اللحظات؟

1-أوقات النزهة ومرافقها:

لم يكتف الأندلسيون بالنزهة في الأعياد، وإنما خصصوا لها أياما ومواسم كثيرة، ويمكن الإشارة إلى أهمها في الآتي:

– النزهة اليومية:

من الظواهر البارزة التي يأتي ذكرها في المصادر، إطناب الأندلسيين في وصف الرياض والمنتزهات، حيث إن الشواهد التاريخية الدالة على ذلك كثيرة، خاصة ما يذكره الأدباء من وصف لها في نثرهم ونظمهم(1)، وما نستقيه من كتب الجغرافيا(2) والتراجم(3).

ومن أهم المؤلفات التي فصلت في ذكرها "**نفح الطيب**"، الذي يشير إلى منتزهات أشبيلية وطليطلة وقرطبة، ويعطينا أمثلة عن أسماء تلك المنتزهات: كمنتزه دمشق، والعروس، والمنبر، ونجد، وجوز مؤمل(4)، فيقول:« بطليطلة بساتين محدقة وأنهار محدقة ورياض وجنات»(5)، و«في إشبيلية من المتفرجات والمنتزهات كثير»(6)، و«من منتزهات قرطبة المشهورة فحص السرادق»(7) ، ويضيف إلى

(1) ابن بسام: المصدر السابق، م3، ص 354، 355.الضبي: المصدر السابق، ص513،529. ابن سعيد: المغرب، ج2، ص105.
(2) الحميري: المصدر السابق، ص 59، 317،183.العذري: المصدر السابق ص18، 19. الزهري: المصدر السابق ص82. القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص222.
(3) ابن الأبار:تحفة القادم، المصدر السابق،ص210.ابن الأبار : المقتضب، المصدر السابق، ص214.
(4) المقري: النفح، المصدر السابق، ج1، ص 470، 471، 478، ج2، ص677، 778،ج3،ص489، 513، ج7ص171، 242.
(5) المصدر نفسه، ج1،ص161.
(6) المصدر نفسه، ج1، ص182.
(7) المصدر نفسه، ص475.

هذا ما وصفه الشعراء الآخرون **كابن خفاجة**، ويعتبر ما كتبه من أحلى ما كتب عن المنتزهـــات[1]، ولكثرة ذكره للطبيعة ووصفها فقد اعتبره الأندلسيون من شعراء الطبيعة، ويدعونه "الجنان"[2]، وأطلق عليه **الشقندي** -فيما ذكره عن فضائل الأندلس- اسم "صنوبري الأندلس"[3] .

وقد مكنت كثرة هذه المنتزهات عناصر المجتمع من التتمتع بمناظرها، فكان الأفراد يخرجون جماعات عائلية أو جماعات صداقة، وكما أن مشاهدتهم لتلك المناظر مما يصقل خواطرهم[4]، فإنهم يقومون أيضا بنشـــاطات مختلفة: كالسير في القوارب، والصيد[5]، والمطارحات الشعرية، حيث يفيض الشعراء في وصف تلك المنتزهات وما يدور فيها[6]، ويمكثون هناك للسهرات، بل يركنون إلى المجون والطرب والشراب، ويسرفون في شرب النبيذ[7].

– النزهة الموسمية: وهي النزهة التي تكون لها أياما محددة تتكرر في كل سنة، وتكون مقترنة بعمل من الأعمال الموسمية للأسرة، أو أياما خصصت للراحة، وأهمها:

موسم العصير:

ويسمى زمن العصير، أو أيام العصير كما ورد في المصادر المختلفة[8]، وفيه كان الأندلـــسيون يخرجون مصطحبين أبناءهم إلى جقول الكروم، وذلك في فصل الخريف؛ لجني العنب، الذي يعمل منـــه العصير، فيمكثون أياما عدة[9]، وقد جرى على عادتهم أن يحتفلوا به، حيث يصحبون معهـــم وســـائل وآلات الطرب المختلفة، وما يتبع ذلك من غناء ورقص[10].

---

(1) المصدر نفسه، ج1، ص536ز

(2) المصدر نفسه، ج3،ص466.

(3) المصدر نفسه، ص نفسها.

(4) المصدر نفسه، ج3،ص489.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص208.

(6) ابن الأبار:تحفة القادم، المصدر السابق، ص210. إميليو غرسية غومس وآخرون:ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي، ترجمة محمود علي مكي، المطابع الأميرية، المجلس الأعلى للثقافة،1998، ص107.

(7) غرسية غومس : المرجع نفسه، ص نفسها. نعيمة المني:"**صور من النقد الاجتماعي**"، المرجع السابق، ص76.

(8) الضبي: المصدر السابق، ص69. ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج2، ص357.ابن الخطيب: معيـــار الاختيـــار، المـــصدر السابق، ص89.

(9) ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص39، 40.

(10) ابن بسام: المصدر السابق، ج1،ص551. ابن قزمان: المصدر السابق، ص498.

زمن الربيع:

موسم الربيع هو من أيام النزهة عند الأندلسيين أيضا، فعند اخضرار الأرض وبهائها بالورد والأزهار، يخرج أهل المدن إلى القرى والأرياف بنسائهم وأولادهم، ويحتفلون بذلك أياما عدة وينفقون ويبذرون[1]، وتذكر كتب الجغرافيا إحدى القرى التي يخرج إليها الأندلسيون، وهي بجانة[2]، حيث يرحل إليها أهل القرية في فصل الربيع بنسائهم وأولادهم، للاحتفال في المطاعم، والتوسع في الإنفاق[3]، وبها يستغل أهل بجانة الفرصة للزيادة في سعر كراء المساكن، حيث يذكر **الحميري** «فلربما بلغ المسكن في الشهر ثلاثة دنانير...» [4].

إضافة إلى **موسم صباغة الحرير**، الذي لم نجد له ذكرا إلا عند **المقري** في **نفحه**، حيث يعرفه، بأنه أيام يصبغ فيها الحرير على ضفاف الوديان، وتكون أياما احتفالية بشتى وسائل الغناء والطرب واللهو[5].

نستخلص من هذا أن كثرة خروج الأندلسيين للنزهة، سواء في أعيادهم أو مواسمهم أو غيرها، يعود إلى كثرة الرياض والجنات والمنتزهات، خاصة على ضفاف الوديان الكثيرة.

2-الترفيه ومظاهره:

من كل ما سبق ذكره يتبين أن الفرد الأندلسي يستغل كل مناسبة عيدا كانت أو موسما أو لحظة نزهة للاحتفال بها والترويح عن النفس، ولا بد أنه يستعمل في ذلك أيضا وسائل وآلات، رغم أن المصادر المتوفرة لدينا لا تعطينا معلومات تفصيلية عن كل ما عرفته الأسرة الأندلسية من وسائل ومظاهر ترفيهية، ولكن الإشارات كثيرا ما تردد ذكرها، ومن أهم ما استطعنا أن نستقيه من ذلك، ما يأتي:

-الاهتمام بالغناء ووسائله:

علاوة على ما ذكرنا من اهتمام الأندلسي أثناء نزهته بالصيد والمطارحات الشعرية، وغيرها، فقد كان يصطحب معه آلات الطرب، فيقيم هناك سهرات عديدة، خاصة على ضفاف الوديان[6]، فالطرب كما ذكر الباحثون قد أغرى كثيرا من المرابطين والموحدين، ومع اختلاطهم بالأندلسيين الذين غلب على معظمهم حينذاك الاهتمام والإقبال فقد كانت تشهد مجالسهم كثيرا من الخلاعة والطرب[7].

---

(1) ابن خفاجة: المصدر السابق، ص10.الإدريسي: المصدر السابق، ص293. الضبي: المصدر السابق، ص520.

(2) الإدريسي: المصدر السابق، ص293. الحميري: المصدر السابق، ص70.

(3) الحميري: المصدر نفسه،ص70.

(4) المصدر نفسه،ص نفسه.

(5) المقري: النفح، المصدر السابق، ج1، ص178.

(6) غرسية غومس: المرجع السابق، ص107.

(7) المقري: النفح، المصدر السابق، ج3، ص217.عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1971، ص113. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص430.

ورغم جهود القائمين على الحسبة والفتاوى الفقهية، ومنعهم لتلك المجالس وإلقاء القبض على المغنين، -مثلما أمر **المنصور الموحدي** أصحاب الشرطة بالقبض على كل من اشتهر بالغناء[1]، وتأليف أحد الفقهاء لرسالة وتخصيصها كاملة في الحديث عن الغناء والموسيقى، تحت عنوان"**رسالة في تحريم الغناء والموسيقى**"[2]، والتي اعتبرت القائمين بذلك ومتبعيهم فساقا وخارجين عن جماعة المسلمين[3]- إلا أنه قد اشتهرت بينهم تلك الوسائل والآلات وتفننوا في طرق الغناء، إذ تشير إحدى المصادر إلى أن أكثر القائمين بذلك الموالي[4]، اللواتي كن رواقص وصواحب آلات الطرب، فاشتهرن بحسن الانطباع والصنعة[5]، وقد تفنن الأندلسي في توفير أنواع آلات الطرب، فكانت كثيرة متعددة، حيث يذكرها **المقري** في **نفحه** في قوله: «...أصناف أدوات الطرب كالخيال والكريج والعود والروطة والرباب والقانون والمؤنس والكشيرة والغثار والزلامى والسقرة والنورة والبوق...» [6].

-ألعاب ترفيهية مختلفة:

إضافة إلى الغناء والطرب، فهناك الكثير من الأفراد من ركن إلى الألعاب، فتنوعت أشكالها، حيث تذكرها المصادر المختلفة في إشارات قصيرة من حين إلى آخر، رغم محاولة المحتسبة التشديد على ذلك، حيث دعا **ابن عبدون** وأوجب أن «ينهى الشبان والصبيان عن لعب اللطمة والمقرع... عن لعب الشطرنج والنرد والقرق والأزلام...» [7] ، ويلاحظ الدارس أنه الشطرنج كانت اللعبة المفضلة، وهي التي كثر ذكرها في المصادر دون غيرها، فلم تكن قاصرة على عامة أفراد المجتمع فقط، وإنما شُغِف بها كثير من الأطباء والشعراء المشهورين **كأبي الصلت** الذي كانت «له في الشطرنج يد بيضاء...» [8]، أي كان لا ينافسه أحد، **وابن زهر** الذي كان يجالس أحد أصدقائه كثيرا حيث يلعبان الشطرنج[9].

وتذكر كتب الأزجال والأمثال أيضا بعضا منها كلعبة القلياني، المتضمنة لعملية الرقص[10]، ولعبة الغبار، والتي كما يذكر المثل لا يستطيع على ممارستها الأعمى أو الأعور ولعلها كانت صعبة وتحتاج إلى

---

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص174.

(2) الطرطوشي: رسالة في تحريم الغناء والموسيقى،المرجع السابق.

(3) المصدر نفسه،ص144.

(4) ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، المصدر السابق، ص25.

(5) المقري: النفح، المصدر السابق، ج3، ص217.

(6) المصدر نفسه، ج3، ص213.

(7) ابن عبدون:المصدر السابق، ص243.

(8) ابن خلكان:وفيات الأعيان، المصدر السابق، ج11،ص246.

(9) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، المصدر السابق، ج3، ص111.

(10) ابن قزمان: المصدر السابق، ص694.

النظر طويلا، لذلك جاء المثل فيها: «**صاحب فرد عين ما يلعب غبار**»[1]، ولعبة"الركل"، في المثل«**الحبلى ما تلعب الركل**»[2]، ويمكن أن تكون إحدى الألعاب التي يكون فيها القفز، حيث إن الحبلى لا تستطيع ذلك.

ولعبة "عجايبي"التي يفهم من المثل القائل:«**حكاك عجايبي، فارغ في فارغ**»[3] ، بأنها عبارة عن لعبة متضمنة لفراغات كثيرة، وإضافة إلى ذلك ما يذكره **المقري** من شيوع أنواع «اللعب بالسيوف، والدك، وإخراج القروي، والمرابط، والمتوجه...» [4]

نستخلص مما سبق أن حياة كثير من الأندلسيين يطبعها كثيرا جو الترفيه واللهو، وذلك باهتمامهم الكبير بالطرب والتفنن في طرقه ووسائله، واهتمامهم أيضا بكل ما يملأ فراغهم من مختلف الألعاب، حيث كانوا مهتمين كثيرا باللهو ومجالسه.

(1) الزجالي:المصدر السابق،ج2،ص361.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص85.

(3) الزجالي: المصدر السابق، ج2،ص361.

(4) المقري: النفح، المصدر السابق، ج3، ص217.

خاتمة

بعد عرض موضوع هذا البحث ومناقشته، والذي يدرس حياة الأسرة الأندلسية في عصر من عصور الجهاد والدفاع عن أراضي المسلمين من الزحف الصليبي، خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

إن دراسة الأسرة من حيث تاريخها لا يتأتى إلا بدراستها ضمن حقل التاريخ الاجتماعي الذي يختص بدراسة تاريخ المجتمعات وعناصرها، ولهذا فدراسة الأسرة يعني: دراسة نطاقها من حيث اتساعه وضيقه، وحركية أفرادها، ومختلف العادات والتقاليد التي تتميز بها.

ودراسة دائرة الأسرة الأندلسية هي دراسة لأنموذج عن الحياة الأسرية في المجتمع الإسلامي، إلا أن دراستها تتطلب مناقشة عدة قضايا، خاصة وأنها انحصرت في أحد العصور الإسلامية التي اتسمت بالحروب مع النصارى، ودخول عناصر بربرية مرابطية وموحدية للدفاع عن ديار الإسلام.

إذا علمنا أن الأسرة وراثة اجتماعية، فمن الصعب الفصل بين مختلف المراحل التي مرت بها الأسرة في الأندلس، أواستخلاص أهم الظواهر التي ميزت الأسرة في مرحلة دون الأخرى، إلا ما كان إضافة، فعند دخول كل من المرابطين والموحدين إلى الأندلس بأسلوب حياتهم، وجدوا بها أسلوب حياة أهل البلد، ودون شك تفاعلت هذه العناصر فيما بينها، سواء بالتنشئة الاجتماعية أو الاختيار أو الإلزام، لتشكل أسلوب حياة جديد، حيث لا يمكن الفصل بين مختلف هذه العناصر، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هناك تفاعلا اجتماعيا في هذا المجتمع، ومن أهم مظاهره ما يأتي:

كان الأندلسيون ينظرون إلى تكوين الأسرة بنظرة متباينة، رغم أن اتفاقهم كان الحرص على المرأة، والحث على تزويجها خشية الفضيحة، وحرصا على العرض، أما عن مراحل تكوين الأسرة، فتبدأ بالاختيار الذي راعى فيه الأندلسيون اعتبارات عديدة، ثم مرحلة الخطبة والعقد والبناء، وهذه بداية لتكون دائرة الأسرة.

يتجه اهتمام الزوجين بعد البناء نحو نظام الأسرة، بداية بالطفل الذي كانت تهتم به الأسرة الأندلسية، منذ كونه جنينا، فتستغل كل الطرق والأساليب لرعايته وتربيته وتعليمه، وكان حرص الأندلسيين أكثر على تربية الأنثى وتعليمها؛ لتعلق لها المسؤوليات فيما بعد.

عندما تتسع دائرة الأسرة، تنعقد بين أفرادها عدة علاقات، أهمها علاقات القرابة، وذلك لاستمرارية الحياة، رغم أنها تنتابها بعض المشكلات التي كان محورها الأساسي الإرث.

من أهم العادات التي برزت في حياة الأسرة الأندلسية، اهتمام الأندلسيين بهندام الفرد ومظهر المحيط، واستعمال كل الأساليب واللوازم حفاظا على ذلك، واهتمامهم بأطباق الطعام، وتفننهم في

إعدادها، واختيارهم لأنواع المشروب والفاكهة، رغم انتشار ظاهرة الخمر، التي حاربها الفقهاء والمحتسبة.

أما أمر الصحة، فقد كان الأندلسيون يسلكون مختلف الطرق للحفاظ على صحة أبدانهم، ولاسيما الحمية والنظافة، وفي حالة السقم يحاولون إيجاد طرق العلاج الطبية والطبيعية، حتى إنهم وصلوا إلى التبرك بقبور الصالحين اعتقادا من بعضهم بالشفاء.

إن العادة التي يهتم بها الأندلسيون أيما اهتمام، هي الاحتفال بمختلف المناسبات والأعياد، ولاسيما الأعياد الدينية كعيد الفطر وعيد الأضحى، والأعياد التي اعتبرها علماؤهم بدعا كعيد عاشوراء والنصف من شعبان، وشاركوا جيرانهم المسيحيين في أعيادهم كالنيروز والعنصرة، إلا أن هذه الاحتفالات تشوبها لحظات حزن، كوفاة أحد أفراد العائلة، وحينها يتبع الأندلسيون مجموعة من التقاليد، لاسيما العزاء والمآتم.

والاهتمام الأكبر كان لمختلف أيام الترويح، التي تنوعت عندهم بين نزهة موسمية، تنظم بمناسبة موسم جني محصول معين، ونزهة يومية، ويرفهون على أنفسهم حينها بمختلف وسائل الغناء والطرب والألعاب، ورغم حرص المحتسبة على محاربتها إلا أن مجالسها كانت كثيرة منتشرة.

خلال هذه الظواهر المحورية خلصت الدراسة إلى ظواهر ضمنية لافتة للنظر، وأهمها:

إن المصادر الفقهية هي المصادر الأكثر إفادة في دراسة الموضوع إذا ما قورنت بالمصادر الأخرى، ولهذا فالاهتمام بالتاريخ الاجتماعي، يتطلب الاهتمام بالمصادر الفقهية والمخطوطات الفقهية بوجه خاص، لما تحويه من مادة علمية لا يستهان بها.

إن معظم المصادر تطنب في الحديث عن الحياة في المدن على عكس القرى، التي لا تفيدنا بمعلومات كافية لدراستها، ولعل ذلك يعود إلى كون المؤلفين من الطبقة السياسية، أو مستقرين بالمدن، أو لأن طابع الأندلس مدني في معظمه.

حرية المرأة الأندلسية التي ناقشها الكثير من الباحثين العرب والمستشرقين، والنظر إليها على أنها تأثر بالمرأة النصرانية، والتشكيك في حرية المرأة المسلمة قبل لقائها بالنصرانية، وهذا ما أثار إشكالا درسه الكثير من العرب والمستشرقين، وردوا بكل الدلائل والقرائن بأن المرأة لم تر النور إلا بعد مجيء الإسلام، وانتشار مبادئه التي أعطت المرأة الاعتبار والمكانة، إضافة إلى ما عرفت به المرأة من حرية عند القبائل الصنهاجية، في مقابل عبوديتها عند مختلف الشعوب بما فيها النصرانية، وهذا ما يجعلنا نحرص أكثر على إعادة النظر في أعمال المستشرقين وغربلتها، ولا يمكن ذلك إلا بقراءة رصيدهم، وذلك بالتمكن في لغاتهم، والاطلاع الواسع على أفكارهم.

ظاهرة وضع اللثام والتنقب التي تميز بها المرابطون، وأدخلوها معهم الأندلس، وكيفية تقليد الأندلسيين لها، حيث إنهم لم يكونوا راغبين فيها، وإنما رغبة في احترام وتقدير المجتمع لهم، وجلب مصالحهم المختلفة.

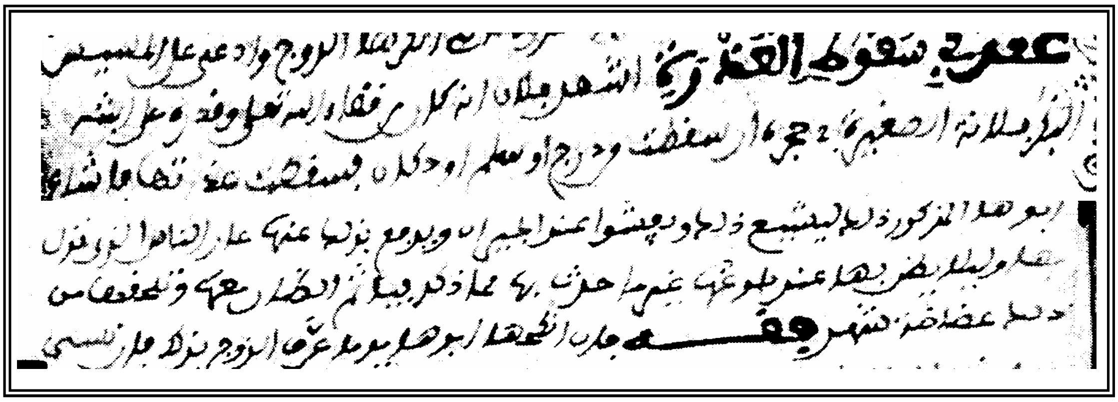
استمرار المجتمع الأندلسي وعادة ارتداء البياض في الأحزان، والتي ورثوها من العهد الأموي – الذين كانوا مخالفين لشعار السواد عند العباسيين– رغم سيادة المرابطين وولائهم للعباسيين، وهذا أكبر دليل على أن العادات والتقاليد وراثة اجتماعية، كما يراها علماء الاجتماع، وهذا الأخير أيضا نجده مع التفاعل الذي كان بين المسلمين والنصارى، بمشاركة وتقليد بعضهما البعض في عدة ظواهر، كالحجاب والنظافة والاحتفال بالأعياد، رغم كون هذا العصر عصر حروب طاحنة بين الطرفين.

إبداع المرابطين في شكل البناء رغم بداوتهم، إلا أنهم بدخولهم الأندلس، وانغماسهم في حضارتها، جعلهم يهتمون بالبناء حتى أدخلوا فيه التغييرات، فأعطوا له شكلا جديدا، وهذا ما يوافق الفكر الخلدوني الذي اعتبر أول بداية الدولة هو البداوة، فإذا حصل الملك تبعه الترف، واتساع الأحوال، والتفنن في مختلف جوانب الحياة.

الاهتمام بالتوازن الجسدي في أطعمة الأندلسيين وأشربتهم، حيث إن القارئ والمطلع على أطباقهم يتضح له أن الطبق مليء بالدسم والمواد المثقلة على الجسم، لكن يقيدون هذا الطعام بنصائح طبية صالحة لمختلف الحالات المرضية، أما المشروبات فمعظمها ينصح بها الأطباء في مختلف مؤلفاتهم، ولعل هذا يعود إلى التوابل المستعملة أو المواد الغذائية، التي يمكن أن تعطينا عند الجمع بينها مركبا دوائيا خاصا لوقاية الجسم أو علاج المرض، وهذا لابد من مساعدة واستعانة بالأطباء لدراسة مكونات هذه الأطباق، ومعرفة مدى صحة النصائح الواردة فيها.

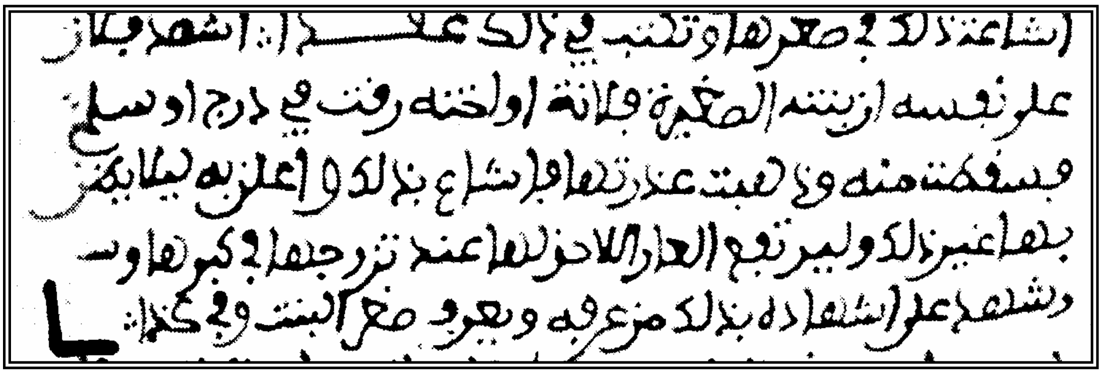
الملاحق

ملحق رقم : (01) وثيقة لعقد في سقوط عذرية الفتاة لسبب من الأسباب



«**عقد في سقوط العذرة** أشهد فلان أنه كان من قضاء الله تعالى وقدره على ابنته البكر فلانة الصغيرة في حجره أن سقطت من درج أو سلم أو دكان فسقطت عذرتها فأشاع أبوها المذكور ذلك ويفشو عند الجيران ويرفع بذلك عنها عار الناس الذي نزل بها ولئلا يظن عند بلوغها غير ما حدث بها مما ذكر فيأثم الظان بها وتلحقها من ذلك غضاضة».

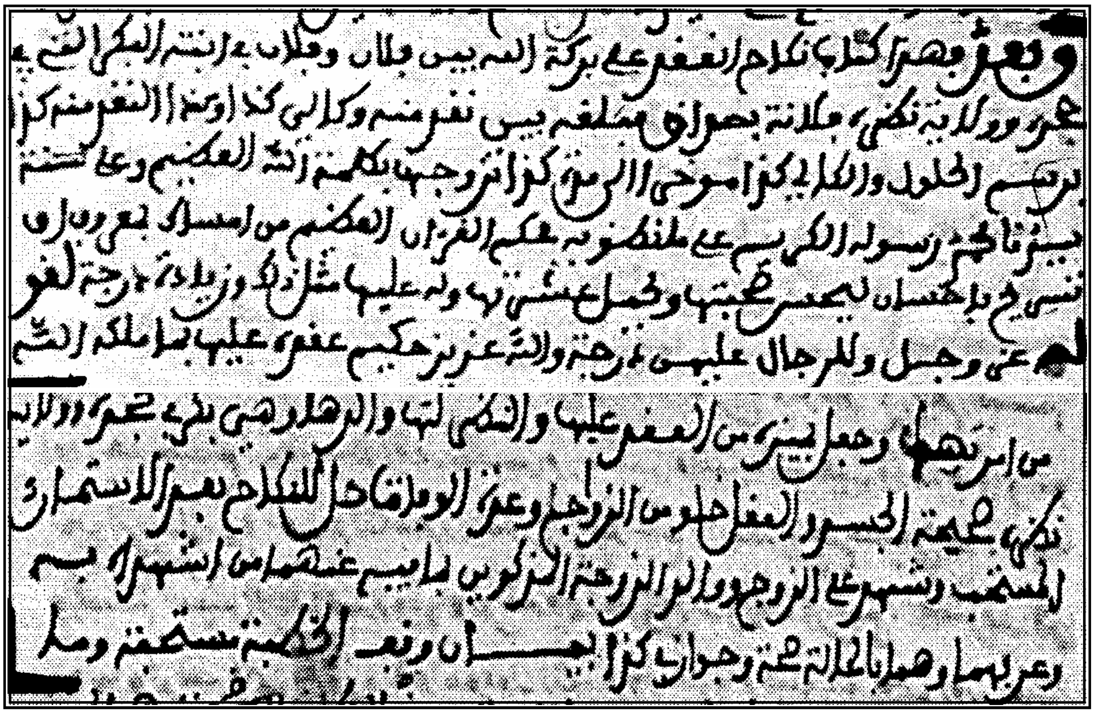
الجزيري: المقصد المحمود، المصدر السابق، و20، وظهرها.



« أشهد فلان على نفسه أن ابنته فلانة الصغيرة أو أخته رقت في درج أو سلم فسقطت منه وذهبت عذرتها فأشاع بذلك وأعلن به لئلا يظن بها غير ذلك وليرتفع العار اللاحق بها عند تزوجها في كبرها وشهد على إشهاده بذلك من عرفه ويعرف صغر البنت».

ابن سلمون: العقد المنظم، المصدر السابق، ظ66و.

ملحق رقم: (**02**) **وثيقة لعقد النكاح وما يتضمنه من قيمة المهر وشكله والصيغة وشروط الطرفين والشهود على ذلك**



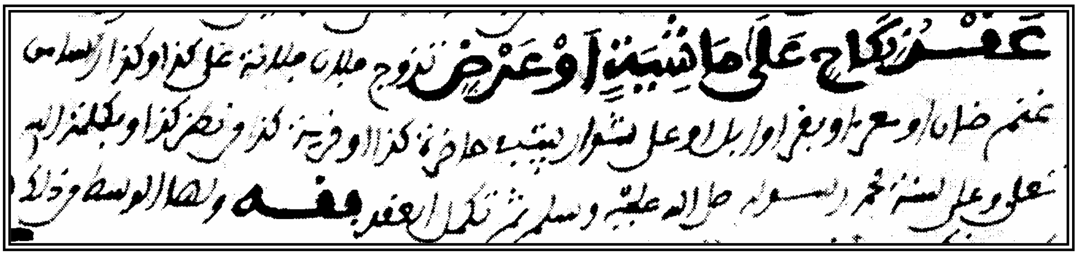
« انعقد على بركة الله بين فلانة وفلان في ابنته البكر التي في حجره وولاية نظره فلانة بصداق مبلغه بين نقد منه وكالئ كذا وكذا النقد منه كذا برسم الحلول والكالئ كذا مؤخر إلى مدة كذا تزوجها بكلمة الله العظيم وعلى سنة سيدنا محمد رسوله الكريم ما نطق به بحكم القرآن العظيم من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ليحسن صحبتها ويحمل عشرتها وله عليها مثل ذلك وزيادة درجة لقوله عز وجل:« للرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم»عقده عليها بما ملّكه الله من أمرها بميزة من العقد عليها والنظر لها والدها وهي بكر في حجره وولاية نظره صحيحة الجسم والفعل خلو من الزواج وعدة الوفاة حلّ للنكاح بعد الاستمار المستحب وشهد على الزوج ووالد الزوجة المذكورين بما فيه عنهما من أشهداه به وعرفهما وهما بالحالة صحة وجوازا في كذا».

ابن سلمون: العقد المنظم، و2 وظهرها.

« **عقد صداق:** تسمية الزوجين وعدد الصداق وصفته، ومن أي سكة هو، وأقله ربع دينار أو ثلاثة دراهم كيلا أو قيمتها مما يجوز بيعه، وقبض النقد أو حلوله وفي تأجيله إلى البناء خلاف، وتسمية من قبضه كالولي والوصي ومن يجوز له قبضه، أو تطوع القابض بضمانه، وعدد الكالئ وتأجيله إلى أربعين عاما فما دونها، ولا يجوز إلى ما فوقها، وتذكر أيضا أنه تزوجها بكلمة الله عز وجل وعلى سنة الهادي محمد صلى الله عليه وسلم وعلى إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، وتسمية الولي وتفويضها عقد نكاحها إليه، إلا أن يكون والدا أو أقرب الأولياء إليها أو أحسنهم حالا إذا استووا، فلا يحتاج إلى تفويضها، وتذكر هل هي بكر أو ثيب وهل هي مالكة أمر نفسها أم لا، وتذكر صحتها وسلامتها إن اشترطت السلامة، وخلوها من الزوج والعدة، وتذكر رضاها بالزوج والصداق، وإن كانت ممن لا يجبر على النكاح، واختلف في ذكر رضى المحجورة بالصداق، فإن كانت يتيمة ذكرت بلوغها ويتمها، إلا أن تكون غير بالغ فتذكر حاجتها وفاقتها، وأنها بنت عشرة أعوام فأكثر، ولا بد أن تتكلم، وتذكر الشروط السبعة على الطوع، وهي: التزويج والتسري واتخاذ أم ولد والمغيب والإضرار والرحلة والزياة، وعقد ذلك بيمين أو تمليك أو طلاق إن فعل شيئا من ذلك بغير إذن، وعقد الإشهاد على الزوج والولي، إن كانت ممن يجبر على النكاح، وإن كانت ممن لا يجبر على النكاح ذكرهما معها، إلا أن تكون بكرا، فتضمن الإشهاد حضور الاستمار وإعلامها بأن إذنها صماتها ومعاينتها صامتة وتؤرخ، واختلف إن ضحكت أو بكت أو تكلمت، فإن كان الولي وصيا أو كافلا ضمنته معرفة ذلك ومعرفة السداد والكفاءة، ولا يحتاج إلى ذكره في إنكاح القاضي من نفسه، ولكن تسقط ذلك في ذات الوصي لإن فعله محمول على السداد حتى يثبت خلافه، وإن كان قاضيا قلت: بعد ثبت عنده ما أوجب ذلك، ثم تؤرخ».

أبو إسحاق الغرناطي: الوثائق المختصرة، المصدر السابق، ص17.

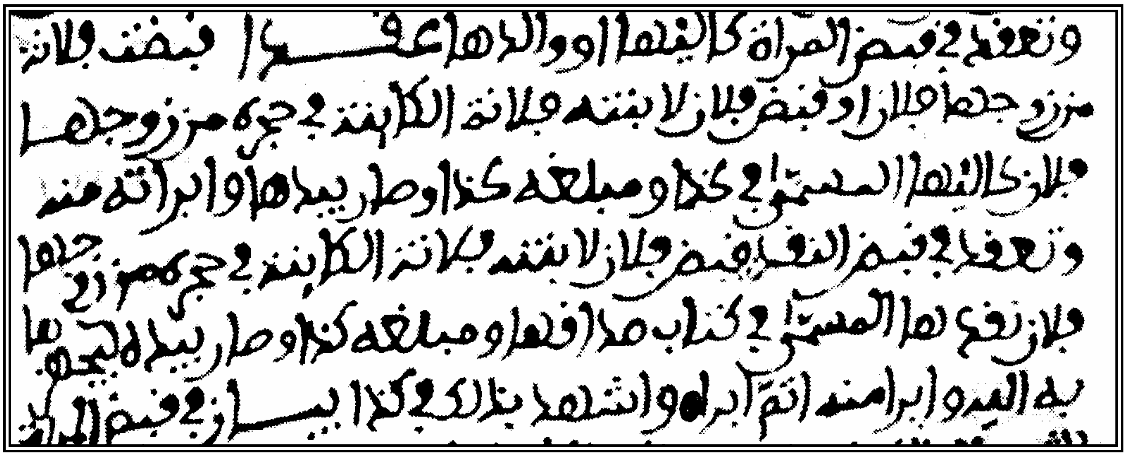
ملحق رقم: (03) وثيقة تمثل عقد نكاح على شيء معين



«عقد نكاح على ماشية أو عرض تزوج فلان فلانة على كذا وكذا رأسا من غنم ضأن أو معز أو بقر أو إبل أو على شوار بيت في حاضرة كذا ؟أو قرية كذا في نظر كذا وبكلمة الله تعالى وعلى سنة محمد رسوله صلى الله عليه وسلم».

الجزيري:المقصد المحمود، المصدر السابق، و14.

ملحق رقم: (04) وثيقة لعقد قبض النقد والكالئ

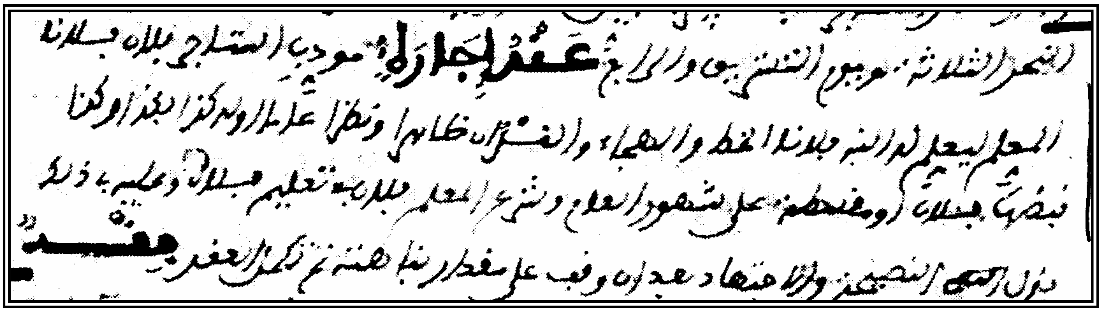


«قبضت فلانة من زوجها فلان أو قبض فلان لابنته فلانة الكائنة في حجره من زوجها فلان كالئها المسمى في كذا ومبلغه كذا أو صار بيدها أو أبرأته منه ».

« قبض فلان لابنته فلانة الكائنة في حجره من زوجها فلان نقدها المسمى في كتاب صداقها ومبلغه كذا وصار بيدها ليجهزها به إليه وأبرأمنه أتم إبراء وأشهد في ذلك في كذا»

ابن سلمون: العقد المنظم، ظ36و.

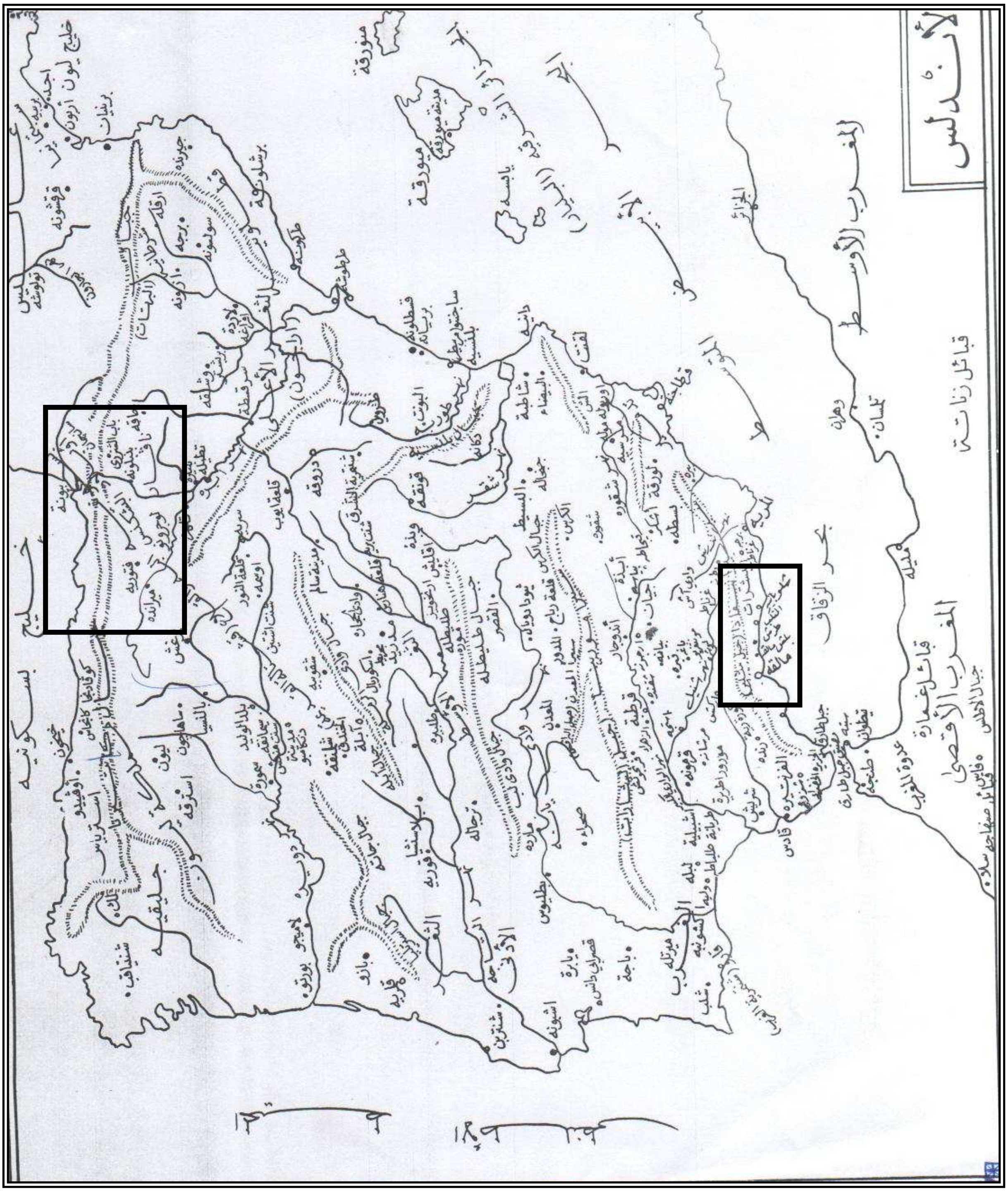
ملحق رقم: (05) وثيقة لعقد إجارة مؤدب



«عقد إجارة مؤدب استأجر فلان فلانا المعلم ليعلم له ابنه فلانا الخط والهجاء والقرآن ظاهرا ونظرا عاما أوّله كذا بكذا وكذا قبض فلان منجمة على شهور العام وشرع المعلم فلان في تعليم فلان وعليـــه في كذا (...) النصيحة والاجتهاد بعد أن وقف على مقدار...»

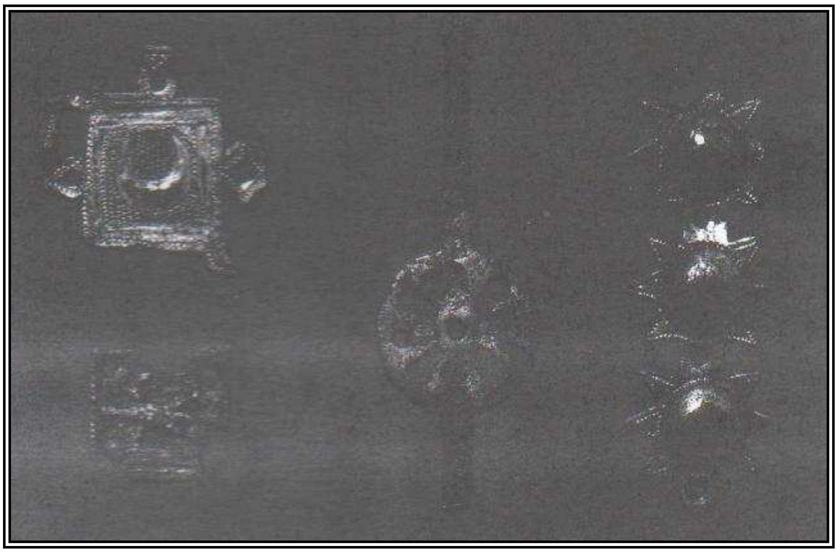
الجزيري: المقصد المحمود، المصدر السابق، و128.

ملحق رقم :(06) خريطة للأندلس موضح علها بلاد البشكنس الموجودة في شمال شرق الأندلس، ومدينة مالقة التي تتوفر على وديان وأنهار



المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج8(جزء الفهارس)، الخريطة من إعداد محقق الكتاب إحسان عباس.

ملحق رقم: (07) بعض أجزاء وقطع الحلي



قطع معدنية لحزام وجدت بحفريات الأرك، ةمتحف المدين الملكية

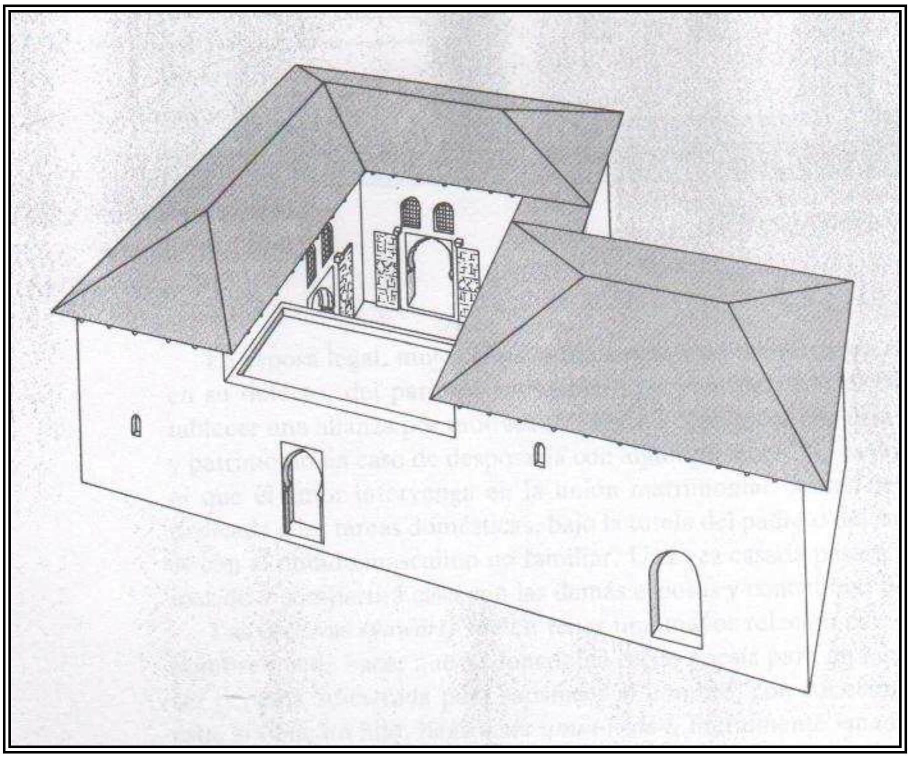
Menendaz Pedal: *op,cit,p404*,



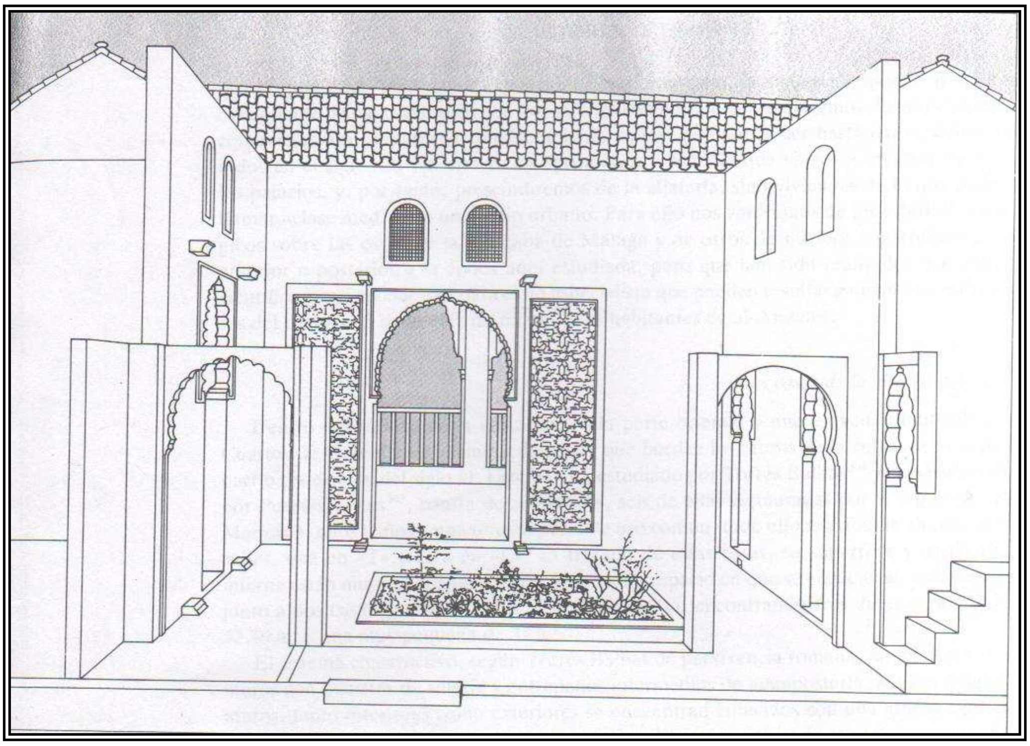
كتر من كنوز الموحدين وجد في حفرة بمدينة ميورقة، محفوظ بمتحفها.

Menendaz Pedal:*op,cit,p*…

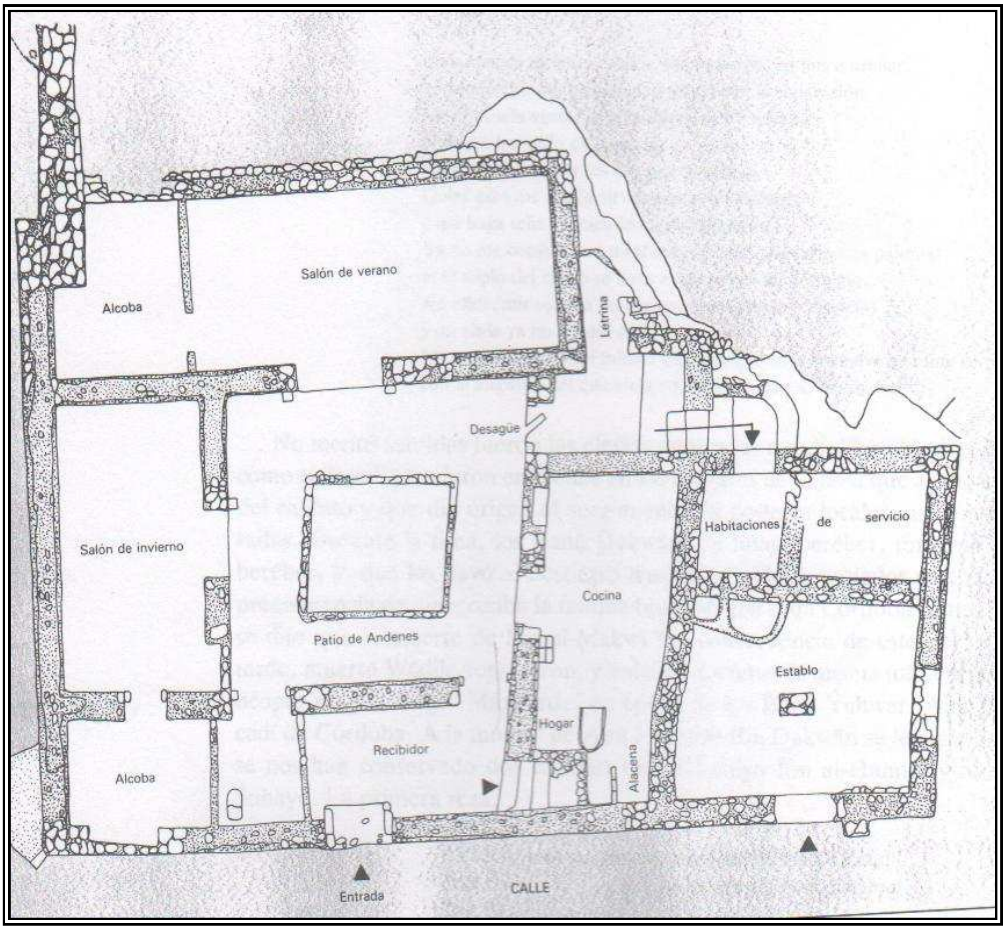
ملحق رقم: (08) صور ومخططات للبيت الأندلسي



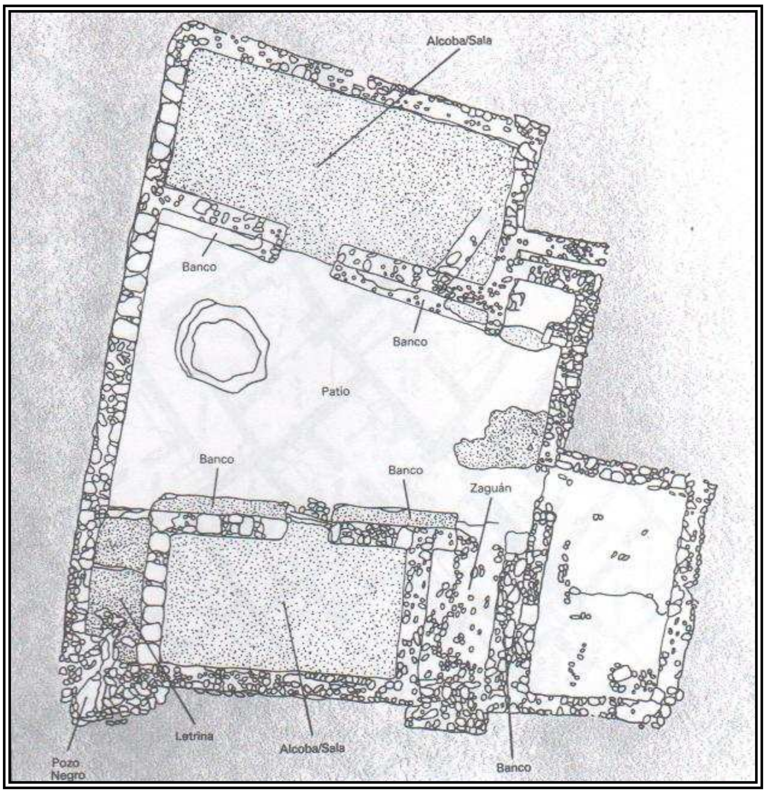
رسم تشكيلي لإحدى البيوت في مدينة مرسية. Menendaz Pedal:*op,cit,p379*.



رسم تشكيلي لبيت من الحفريات المنجزة في مدينة مرسية. Menendaz Pedal:*op,cit,p365*.



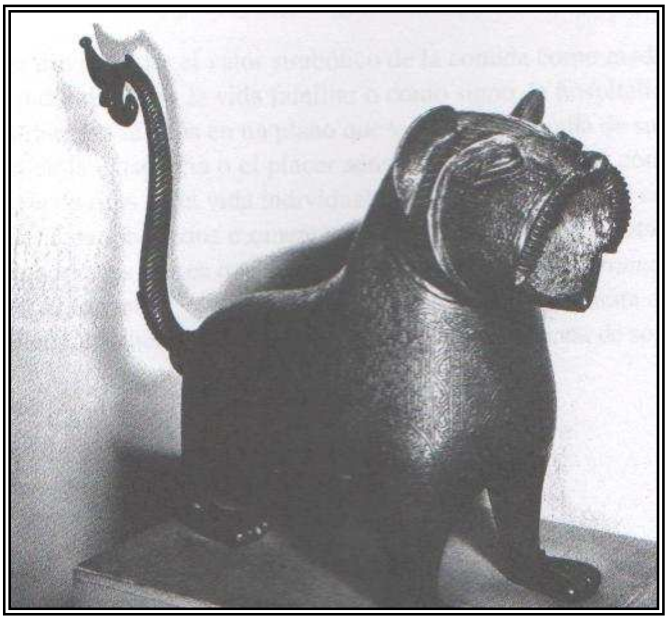
طابق بيت اسباني إسلامي في كورة تدمير.Menendaz Pedal:*op,cit,p383*



طابق بيت أندلسي في مدينة بيانة(المرية).Menendaz Pedal:*op,cit,p385*



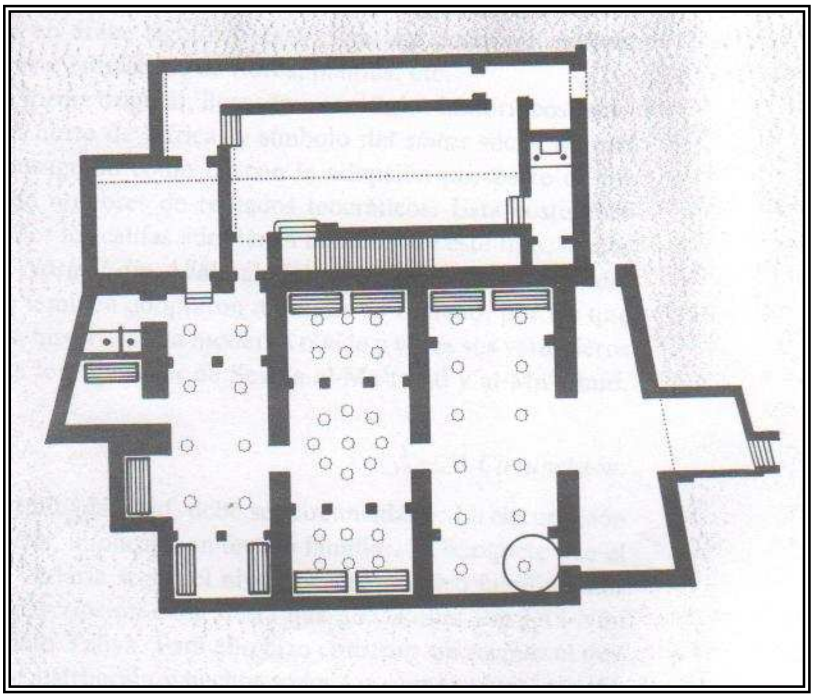
بيت من بيوت الأندلسيين في مرسية حاليا.Menendaz Pedal:*op,cit,p387*



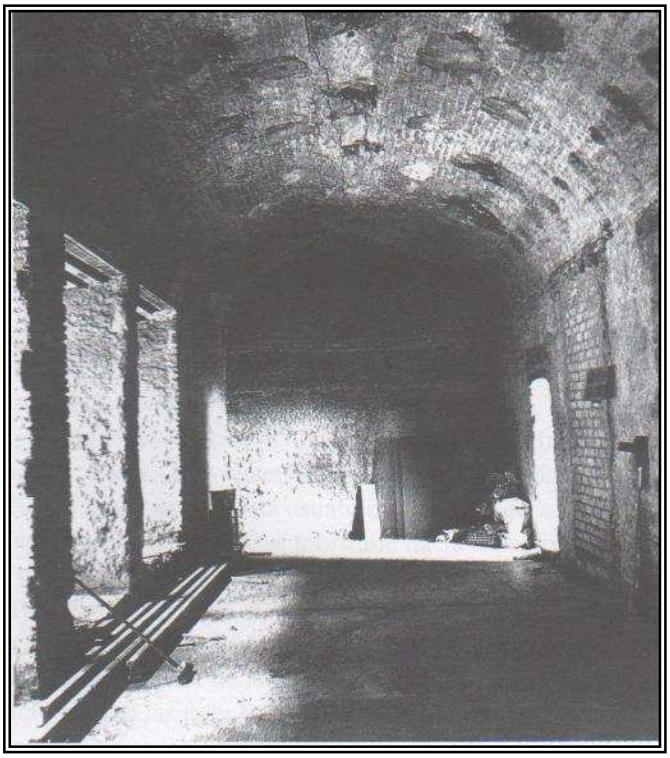
ينبوع أو فوهة نافورة على شكل أسد، وجدت في مدينة بلنسية، محفوظة في متحف اللوفر، باريس.

Menendaz Pedal:*op,cit,p406.*

ملحق رقم: (09) صور ومخططات للحمامات العربية الأندلسية



مخطط للحمامات العربية ا؟لأندلسية.Menendaz Pedal:*op,cit,p374*



بقايا حمام يسمى: حمام الملكة العربية بإشبيلية.Menendaz Pedal:*op,cit,p421*

ملحق رقم: (10) أواني فخارية للطهي ووضع المواد المختلفة وحفظها



موقد أو تنور وطنجرة ، موجودة بمركز الدراسات العربية والأثرية" ابن عربي" بمرسية.

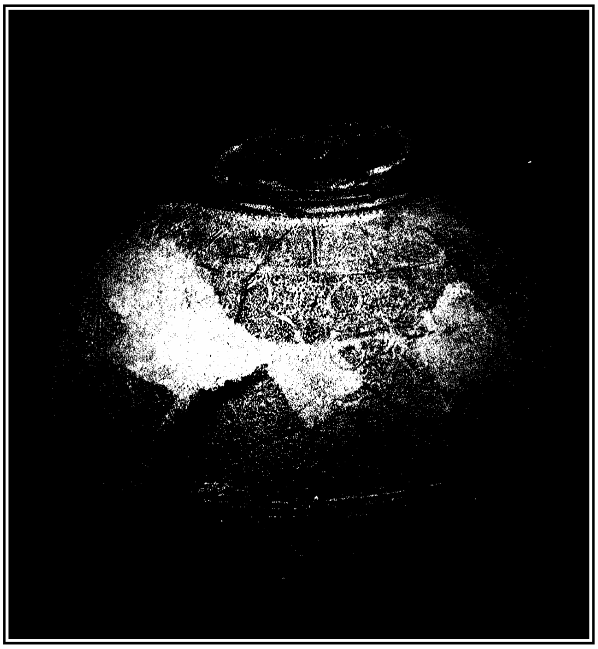
Menendaz Pedal:*op,cit,p374*



صحن معدني يعود إلى نهاية القرن11م أو بداية القرن 12م، حسب ما يقترحه J.J.Bienesعثر عليه سنة1987، في شارع Corlapelaires بتطيلة. Menendaz Pedal:*op,cit,p395*



جرة صغيرة، كتر من كنوز الموحدين وجدت بكهف بمدينة ميورقة، محفوظة بمتحفها.
Menendaz Pedal:*op,cit,p416.*



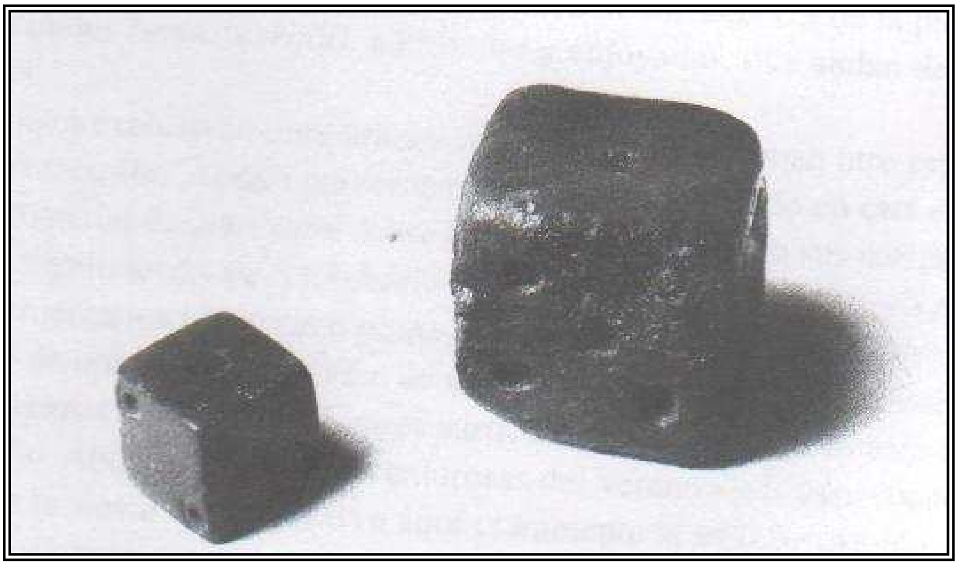
خابية مرسية مزخرفة، تعود إلى نهاية القرن 13م محفوظة بمتحف معهد بلنسية" دان خوان"، مدريد
Menendaz Pedal:*op,cit,p392.*



طست مزخرف يعود إلى القرون..........، محفوظة بمتحف معهد بلنسية" دان خوان"، مدريد.

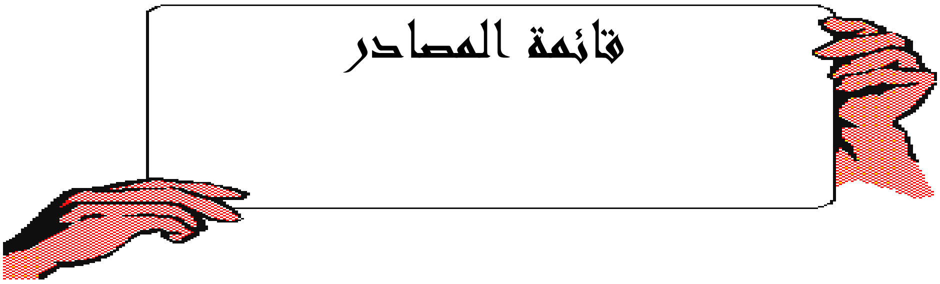
Menendaz Pedal:*op*,*cit*,*p395*.

ملحق رقم (11) **إحدى الألعاب الأندلسية**



مكعبات النرد، وجدت بحفريات الأرك، متحف المدينة الملكية.

Menendaz Pedal:*op*,*cit*,*p411*.



قائمة المصادر

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

مصادر مخطوطة:

الأزدي أبو الوليد هشام (ت1207/606): مفيد الحكام، مخطوط الخزانة العامة ، الرباط، رقم 805.

ابن بشتغير أحمد بن سعيد اللخمي (ت1122/516): نوازل ابن بشتتغير، مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط، رقم: 11690.

الجزيري علي بن يحيى الصنهاجي (ت1189/585): المقصد المحمود في تلخيص الوثائق والعقود، مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط، رقم 5221.

ابن الحاج أبو عبد الله محمد بن خلف التجيبي (ت1135/529): نوازل ابن الحاج، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقم ج55.

ابن سلمون أبو القاسم سلمون بن علي الغرناطي (ت1335/767): العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام، مخطوط المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم: 1366.

ابن صعد أبو عبد الله محمد التلمساني (ت1495/901): النجم الثاقب فيما لاولياء الله من مفاخر المناقب، مخطوط الخزانة العامة، الرباط رقم: ك 1292.

مصادر مطبوعة:

ابن الأبار أبو عبد الله القضاعي (ت1286/685): التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر ، بيروت، دط، 1955.

ـــــــ: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 1967/1387.

ـــــــ: المقتضب من تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3، 1989/1410.

ـــــــ: تحفة القادم، تعليق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1986/1406.

ـــــــ: ديوان ابن الأبار، قراءة وتعليق عبد السلام الهراس، الدار التونسية للنشر، دط، 1985/1405.

ابن الأحمر الغرناطي (ت1407/810): بيوتات فاس الكبرى، نشر عبد الوهاب بنمنصور، دار المنصور، الرباط، دط، 1972.

الإدريسي الشريف أبو عتبد الله (ت1158/548):القارة الافريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1983.

أبو إسحاق الغرناطي إبراهيم بن أحمد الأنصاري (ت579/1183): الوثائق المختصرة ، إعداد مصطفى نـــاجي، مركز إحياء التراث المغربي، الرباط، ط1، 1408/1988.

ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس بن القاسم (ت668/1270): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1401/1981.

الأعمى التطيلي أبو جعفر أحمد بن عبد الله (ت525/1144): ديوان الأعمى التيطيلي ومجموعة من موشـــحاته، تحقيق إحسان عباس، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، دط، دت.

الأمير أبو عبد الله الربيع الموحد: الديوان، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي وآخرون، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، إشراف معهد مولاي الحسن للبحوث المغربية، دط، دت.

الأمير عبد الله الزيري (ت483/1090): كتاب التبيان، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، دط، دت.

الباديسي عبد الحق بن إسماعيل (كان حيا سنة 722/1322): المقصد الشريف والمـــترع اللطيـــف في التعريـــف بصلحاء الريف، نشر سعيد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط،دط، 1982.

البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت265/869): صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغـــا، دار ابـــن كثير، بيروت، ط3، 1987.

البرزلي أبو القاسم محمد القيرواني (ت841/1437): جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا والأحكام، دط، دت.

ابن بسام أبو الحسن علي الشنتريني (ت546/1151): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق سالم البـــدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419/1998.

ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578/1183): الصلة في تاريخ علماء الأندلس، وضع الفهـــارس صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية ، بيروت، ط1، 1423/ 2003.

ابن بطوطة محمد بن عبد الله الطنجي (ت779/1377): تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائـــب الأســـفار، تحقيق الكتاني علي المنتصر، مؤسسة الرسالة، ط4، 1405.

البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت487/1094): المغرب في بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغـــداد، دط، دت.

التادلي أبو يعقوب يوسف بن الزيات (ت627/1229): التشوف إلى رجال التصوف في أخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، الرباط ، دط، 1984.

التجيبي أبو بحر صفوان بن ادريس المرسي(ت598/1201): زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر،إعداد وتعليـــق، عبد القادر محداد، دار الرائد العربي، بيروت، دط، 1980.

التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، وضع هوامشه وفهارسه طلاب من كلية الدعوة الإســـلامية، إشراف وتقديم عبد الحميد الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط1، 1989.

الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255/868): البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، 1968.

الجرجاني علي بن محمد السيد الشريف (ت816/1413): التعريفات، تحقيق عبد المنعم حنفي، دار الرشاد، القاهرة، دط، دت.

ابن جزي أبو القاسم محمد الكلبي الغرناطي (741/1340): القوانين الفقهية، دار القلم، بيروت، دط، دت.

ابن الحاج النميري إبراهيم بن عبد الله (ت بعد 774/1372): فيض العباب،تحقيق: ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دط،1987.

أبو حامد الغرناطي (ت565/1170): تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1423/2003.

الحسن الوزان بن محمد الفاسي(ت947/1550): وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، دت.

ابن حمديس عبد الجبار الصقلي (ت527/1133): ديوان ابن حمديس، تصحيح وتقديم إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1379، 1960.

الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (بعد 866/1461): الروض المعطار في خبر ا؟لأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، 1980.

ابن الخطيب لسان الدين السلماني (ت776/1375): أعمال الأعلام. أو تاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق ليقى بروقسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1424/2004.

ـــــــــــ: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1973.

ـــــــــــ: جيش التوشيح، تحقيق هلال ناجي،ومحمد ماضور، مطبعة المنار، تونس، ط1، 1967.

ـــــــــــ: رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، دط، 1316.

ـــــــــــ: معيار الاختيار في ذكر المعهد والديار، تحقيق محمد شبانة، دط، دت.

ابن خفاجة أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح (ت533/1137): ديوان ابن خفاجة، تحقيق كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، دط، 1400/1980.

ابن خلكان أبو العباس شمس الدين بن بكر (ت681/1282): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، دط، 1968.

ابن خير الإشبيلي (ت575/1179): فهرسة ابن خير، تحقيق فرنسشكة قداره و فليان رباره طرغوه، منشورات المكتب التجاري، بيروت، مكتبة المثنى، بغداد، مؤسسة الخانجي، القاهرة، طبعة جديدة، 1893.

أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275/888): سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دط، دت.

ابن دحية ذو السنين أبو الخطاب عمر بن الحسن (639/1235): المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرون، دار العلم، بيروت، دط، دت.

الدمشقي العكري عبد الحي بن أحمد (ت1089/1678): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت.

الذهبي شمس الدين (ت748/1347): العبر في خبر من خبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، 1948.

ــــــــ: سير أعلام النبلاء، تحقيق الأرناؤوط محمد نعيم العرق سوسي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط9، 1413.

ابن رزين التجيبي: فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، تحقيق محمد بن شقرون، إشراف إحسان عباس دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط2، 1984.

الرشاطي أبو محمد (ت542/1147) **وابن الخراط** الإشبيلي (ت581/1186): الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار ، تحقيق إيميليو مولوينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الاعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990.

ابن رشد الجد أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي (520/1126): البيان والتحصيل والشرح والتوجيه في مسائل المستخرجة، تحقيق سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي،بيروت، ط1، 1988.

ــــــــ: المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسم المدونة من الأحكام، مطبعة السعادة، مصر، دار صادر، بيروت، دط، دت.

ــــــــ: فتاوى ابن رشد، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1407/ 1987.

ابن رشد الحفيد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد القرطبي (ت595/1199): الضروري في السياسة، مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، نقله عن العبرية إلى العربيةشحلان أحمد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، سبتمبر1998.

ــــــــ: الكليات في الطب، تحقيق الجابري محمد عابد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، ماي 1999.

ــــــــ: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الفكر، بيروت، دط، دت.

الرصافي البلنسي أبو عبد الله محمد بن غالب(ت572/1176): ديوان الرصافي، جمع وتقديم إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1960.

ابن الزبير أبو جعفر العاصمي (ت708/1308): صلة الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، وزارة الأواف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية،دط، 1416/ 1995.

الزجالي أبو يحيى عبيد الله بن أحمد (عاش في القرن السابع): أمثال العوام في الأندلس، تحقيق محمد بنشريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، مطبعة محمد الخامس الثقافية الجامعية، فاس، دط،1391/ 1971.

ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت726/1340): الأنيس المطرب بروض القرطاس، مراجعة عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية ، الرباط، ط2، 1420.

الزركشي أبو عبد الله محمد اللولوي (كان حيا سنة 894/1486): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، مطبعة الدولة التونسية، تونس، ط1، 1289/1872.

ابن زهر أبو مروان بن أبي العلاء بن عبد الملك الإشبيلي (ت525/1130): التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق ميشيل الخوري، تقديم محي الدين صابر، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الفكر، دمشق، 1403/1983.

الزهري أبو عبد الله محمد (ت556/1160): كتاب الجغرافيا، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، دط، دت.

زينب بنت علي العاملي: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط1، 1316.

ابن سعيد الأندلسي أبو الحسن علي بن موسى (685/1286): اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكناب اللبناني، بيروت، ط2، 1400/ 1980.

ــــــــــــ: الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة،تحقيق إبراهيم الأبياري،دار المعارف، مصر، دط، دت.

ــــــــــــ: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط3، ،1955.

ــــــــــــ: المقتطف من أزاهر الطرف، تحقيق سيد حنفي حسنين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1983.

ــــــــــــ: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1982.

السقطي أبو عبد الله محمد المالقي (ت631/1234): آداب الحسبة، نشر ليفي بروفنسال وج.كولان، باريس،دط، 1931م.

السلفي أبو طاهر أحمد بن إبراهيم سلفة (ت567/1171): أخبار وتراجم أندلسية، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، دط، 1985.

ابن سناء الملك أبو القاسم هبة الله بن جعفر (ت608/1211): دار الطراز في عمل الموشحات، تحقيق عبد العزيز نبوي، دار اقرأ الدولية للنشر والتوزيع، ط1، 1427/ 2006.

السيوطي أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911/1505): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط2، 1399/ 1979.

ابن الشباط محمد بن علي (ت681/1282): قطعة من وصف الأندلس ضمن كتابةصلة السمط وسمة المرط، تحقيق مختار العبادي ، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، دط، 1975.

الشوكاني القطر البياني محمد بن علي (ت1255/1839): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، دار المعرفة، بيروت، دط،دت.

ابن صقلاب (ت626/1222): رسالة في فضائل الأندلس، تحقيق محمود خياري، مجلة كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، العدد2، 1423/2002، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية، السنة العاشرة، العدد 38، ربيع الآخر 1423، يوليو 2002.

الضبي محمد بن يحيى بن عميرة (ت599/1203): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العلمي، 1967.

الطرطوشي أبو بكر محمد بن الوليد الفهري (ت1126/520): رسالة في تحريم الغناء والسماع، تحقيق محمد حسن اسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424/ 2003.

ابن عاصم أبو بكر الغرناطي (ت1426/829): مجموع ابن عاصم، تحقيق محمد بن شريفة ضمن تاريخ الأمثال والأزجال في المغرب والأندلس-بحوث ونصوص-منشورات وزارة الثقافة، مطبعة دار المناهل، المغرب،دط، 2006.

عبد الرحمن بن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت1406/808): التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر،بيروت، دط، 1979.

ـــــــــــــ: مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، القاهرة، ط2، 1387، 1967.

عبد الرحمن بن عذرة (ت1209/606) وآخرون: مكاتبات بني عذرة لعبد الرحمن بن يخلفتن، جمع وتحقيق محمد بن عزوز، ضمن كتابه أدب الوصية من الأباء للأبناء مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م.

ـــــــــــــ: وصية عبد الرحمن بن عذرة لأولاده، جمع وتحقيق محمد بن عزوز، ضمن كتابه أدب الوصية من الأباء للأبناء مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2003/1424.

ابن عبد الملك أبو عبد الله محمد الأوسي الأنصاري (ت1303/703): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق بنشريفة محمد، دار الثقافة، بيروت، دط، دت ، س1، ق1.

ـــــــــ: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق بنشريفة محمد، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، دط، 1984، س8، ق1.

ـــــــــ: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1973، س6.

ـــــــــ: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، دط، 1965، س5، ق2.

ـــــــــ: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، دط، 1965، س5، ق1.

ـــــــــ: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق محمد بنشريفة، دار الثقافة، بيروت، دط، دت، س1، ق2.

ـــــــــ: المصدر السابق، تحقيق بنشريفة محمد، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، دط، 1984، س8، ق2.

عبد الواحد المراكشي بن علي (ت1228/625): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، دط، دت.

ـــــــــــــــــ: وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينيــة، القــاهرة، ط1، 1997.

ابن عبدون: آداب الحسبة، نشر ليفي بروفنسال، المجلة الأسيوية، أفريل، جوان، 1934.

ابن عذارى أبو عبد الله المراكشي (ت706/1307): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيــق إحــسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983.

ـــــــــ: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق إبراهيم الكتــاني وآخــرون، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1406/ 1985.

العذري أحمد بن عمر بن أنس بن الدلائي (ت478/1085): نصوص عن الأندلس من كتاب الأخبــار وتنويــع الآثار في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع البلدان، تحقيق الأهواني عبد العزيز ، منشورات معهــد الدراسات الإسلامية، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، دط، 1965.

ابن العربي أبو بكر محمد المعافري (ت543/1148): أحكام القرآن، تحقيق محمد علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1378/ 1958.

ـــــــــ: العواصم من القواصم، تحقيق عمار طالبي، دار الثقافة، الدوحة، ط1، 1413/1992.

ـــــــــ: قانون التأويل، تحقيق محمد السليماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1990.

ابن عسكر أبو عبد الله (ت636/1238) وابن خميس أبو بكر (كان حيا سنة 622/1236): أعلام مالقــة، تحقيــق الترغي عبد الله المرابط، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، دار الغرب الإســلامي، بــيروت، ط1، 1999.

ابن عطية أبو محمد عبد الحق الأندلسي (ت541/1146): فهرسة ابن عطية، تحقيق محمد أبو الأجفــان ومحمــد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983.

العماد الأصفهاني الكاتب (597/1201): خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب والأندلس، تنقــيح محمد المزوفي وآخرون، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972.

العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت749/1348): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، إصدار فؤاد ســزكين وآخرون، معهد تارخ العلوم العربية والإسلامية، جامعة فرانكفورت، ألمانيا، دط، دت، س4.

ابن عيشون الشراط أبو عبد الله محمد (ت1109/1697): الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تحقيق زهراء النظام منشورات كلية الآداب ، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الــدار البيــضاء ط1، 1997.

ابن غازي محمد العثماني (ت919/1519): الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيــق بنمنــصور عبــد الوهاب، المطبعة الملكية، الرباط، ط3، 1420/ 1999.

ابن غالب محمد بن أيوب الغرناطي (ق6/12): قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها بعــد الأربعمائة، تحقيق لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطــات العربيــة، مجلــد1، ج1، رمــضان1374، ماي1955.

الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد (ت1304/704): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،ط2، 1980.

الغزالي أبو حامد محمد بن محمد (1111/505) : إحياء علوم الدين، الدار المصرية اللبنانية، لبنان،دط، دت.

الفتح بن خاقان أبو نصر بن محمد (ت1134/529): قلائد العقيان في محاسن الأعيان، مطبعة التقدم العلمية، مصر، ط1، 1360.

ــــــــــــــ: مطمح الأنفس ومسرح التأنس، تحقيق محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1983/1403.

ابن فرحون إبراهيم بن علي اليعمري المالكي (ت1641/1051): الديباج المذهب في أعيان المذهب، تحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996.

الفيروزأبادي محمد بن يعقوب (ت1414/817): القاموس المحيط، دط، دت.

القابسي أبو الحين علي (ت1012/403): الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين، نشرت ضمن كتاب أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، دار المعارف، مصر، دط، دت.

القاضي عياض أبو الفضل بن موسى السبتي (ت1149/544): الغنية، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1423/ 2003.

ــــــــــــــ: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تقديم محمد بن تاويت الطنجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الرباط.

القاضي عياض وولده محمد (ت1179/575): مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، تحقيق: محمد بنشريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990.

القرطبي أبو عبد الله محمد الأنصاري (ت1272/671): أحكام القرآن، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط1، 1372هـ.

ابن قزمان محمد بن عيسى القرطبي (1149/554): ديوان ابن قزمان، دراسة وتحقيق ف كورنيطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد،دط، 1980.

القزويني زكريا بن محمد (ت1230/628): آثار البلاد وأخبار البلاد، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1979/1399.

ابن القطان أبو محمد حسن الكتامي المراكشي (توفي منتصف ق13/7): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990.

القفطي أبو الحسن علي بن يوسف الشيبانيي(ت1248/646): تأريخ الحكماء، مكتبة المثنى، بغداد، مؤسسة الخانجي، مصر، دط، دت.

القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي (ت1418/821): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرح وتعليق نبيل خالد الخطيب، دا الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987/1407.

الكتبي محمد بن شاكر (ت764/1362): فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، دط، دت.
ابن كثير أبو الفدا إسماعيل الدمشقي (ت774/1373): البداية والنهاية، مكتبة المعارف،بيروت، دط،دت .
ـــــــــ: تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت،دط، 1401هـ.
ابن الكردبوس أبو مروان عبد الملك التوزري (عاش أواخر ق6/12): الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971.
مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1399/ 1979.
مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، م9، 10، 1961، 1962.
مؤلف مجهول: مفاخر البربر، دراسة وتحقيق محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد،دط، 1996.
مجموع رسائل موحدية، تحقيق ليفى بروقسال، المطبعة الاقتصادية، المغرب الأقصى، دط، 1941.
ـــــــــــــــــــ: التعريف بالقاضي عياض، تحقيق محمد بنشريفة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المغرب، دط،دت.
مسلم أبو الحسن بن الحجاج النيسابوري (ت261/874): صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت.
الفيومي المقري: المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت، دط، دت.
المقدسي شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت380/990): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1991.
المقري أحمد بن محمد التلمساني (1041/1631): أزهار الرياض في أخبار عياض، طبع تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، دط، دت، ق3.
ـــــــ: أزهار الرياض، تحقيق سعيد أعراب وعبد السلام الهراس، إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات المتحدة، دط، 1980، ق5.
ـــــــ: أزهار الرياض، تحقيق سعيد أعراب ومحمد بن تاويت، إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، دط، دت، ق4.
ـــــــ: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيرون، دط، 1986.
ابن المناصف محمد بن عيسى: تنبيه الحكام على مآخذ الأحكام، نشر منصور عبد الحفيظ، دار التركي للنشر، تونس، 1988.
ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت711/1311): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، دت.

المهدي بن تومرت (ت524/1129): أعز ما يطلب، تحقيق عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1985.

النباهي أبو الحسن بن عبد الله المالقي (ت793/1390): تاريخ قضاه الأندلس، تحقيق مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية،بيروت، ط1، 1415/ 1995.

ابن هشام اللخمي: المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان، تحقيق الجنان مأمون بن محي الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1985.

الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى (914/1514): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب، تخريج جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي دار الغرب الإسلامي، بيروت، دط،1401/1981.

ياقوت الحموي شهاب الدين بن عبد الله (ت626/1228): معجم الأدباء، مراجعة دائرة المعارف، مطبعة دار المأمون، دط، دت.

ـــــــــــــــ: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، دط، 1957.

اليعقوبي أحمد بن يعقوب بن واضح (ت284/897): البلدان، تعليق محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 2002.

المراجع

مراجع بالعربية:

الإبراشي محمد عطية: التربية الإسلامية، الدار القومية للطباعة والنشر، دط، 1964.

إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت، ط5، 1978.

أحمد الطاهري: الطب والفلاحة في الأندلس بين الحكمة والتجريب، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،المحمدية، مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء، ط1، 1997.

أحمد مطلوب: معجم الملابس في لسان العرب، مكتبة لنبان، ط1، 1995.

الأهواني عبد العزيز: "مسائل ابن رشد" مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد 4، ج1، ماي1958، شوال 1377.

الأهواني عبد العزيز: الزجل في الأندلس ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالية ، دط، 1957.

الأهواني عبد العزيز: ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة، المرجع السابق، المجلد الثاني، الجزء الثاني، ربيع الثاني 1377، نوفمبر .1957.

الأهواني عبد العزيز: ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد3، ج1، 1376/1957.

الأهواني عبد العزيز: على هامش ديوان ابن قزمان، مجلة المعهد المصري، مدريد، مجلد17، 1972.

الأهواني محمد فؤاد: التربية في الإسلام، دار المعارف، مصر، دط، دت.

بلغيث محمد الامين: دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار التنوير للنشر والتوزيع، ط1، 1426/2006.

بنحمادة سعيد: الماء والإنسان في الأندلس، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2007.

بنعبد الله عبد العزيز: معجم أعلام النساء بالمغرب الاقصى، المكتب الدائم لتنسيق التعريف في العالم العربي، جامعة الدول العربية، ، مطبعة فضالة، المحمدية،دط، 1970.
بنمليح عبد الإله: ظاهرة الرق في الغرب الإسلامي، منشورات الزمن، الرباط، 2002.
بوتشيش إبراهيم القادري: الغرب والأندلس في عصر المرابطين، منشورات الجمعية المغربية للدراسات التاريخية، مطبعة الخليج العربي، تطوان، ط2، 2004.
بوتشيش: القادري الإسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر، القاهرة، ط1، ص1995.
جودت مدلج: الحب في الأندلس، دراسات العرب، بيروت، ط1، 1405/ 1985.
حداد نقولا: علم الاجتماع– حياة الهيئة الاجتماعية وتطورها– دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1982.
حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، مصر، 1980.
الداية فايز: معجم المصطلحات العلمية العربية، دار الفكر ، سوريا، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط1، 1410/1990.
دندش عصمت: أضواء جديدة على المرابطين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991.
دندش عصمت: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1408/1988.
رجب عبد الجواد: ألفاظ المأكل والمشرب في العربية الأندلسية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2001.
الزركلي خير الدين: الأعلام، القاهرة، ط3، 1376/ 1956.
سامعي إسماعيل: تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، مكتبة اقرأ، ط1، 2007.
سامية مصطفى: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1423/ 2003.
سعدي أبو حبيب: القاموس الفقهي لغو واصطلاحا، دار الفكر، سوريا، ط2، 1408/1988.
السمالوطي نبيل: الدين والبناء العائلي، دار الشروق، جدة، ط1،1981.
السيد عبد العزيز سالم : في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دط، 1985.
السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1971.
السيد محمود: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، دط، دت.
شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية، دار الكتاب الإسلامي القاهرة، دط، دت.
شلبي أحمد: تاريخ التربية الإسلامية، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، دط،1954.
الصقار سامي وآخرون: الجزير العربية قبل الإسلام، أبحاث مقدمة للندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، أفريل1979، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية.
عتيق عبد العزيز: الادب العربي في الاندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1396/1986.

العريني أحمد: الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط1، 1416.

عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ، دار الشروق، بيروت، ط1، 1403/1983.

عفيف بهنسي: جمالية الفن العربي،مجلة عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير 1978.

غيث عاطف وآخرون: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر، دط، 1996.

قمبر محمود: دراسات تراثية في التربية الإسلامية، دار الثقافة، الدوحة، ط1، 1413/1992.

كحالة رضا: معجم المؤلفين، جمع وإخراج مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1414/ 1993.

كمال السيد أبو مصطفى: مالقة الإسلامية في عصر دويلات الطوائف، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دط، 1993.

مؤنس حسين: نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، الظاهر، 1420/2000.

محمد أبو الفضل: شرق الأندلس في العصر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، 1996.

محمد المغراوي: الموحدون وأزمات المجتمع،جذور للنشر، الرباط، ط1، 2006.

محمد بن تاويت وعفيفي محمد الصادق: الأدب المغربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1969.

محمد حسن: محمد حسن: المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 1999

محمود مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزاوي ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت: دط، دت.

مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت.

المراكشي: الإعلام بمن حل بمراكش و فاس من الأعلام، المطبعة الجديدة، فاس، ط1، 1355/1935.

المرسي منير: فلسفة التربية في الشرق والغرب، عالم الكتب، القاهرة، دط، دت.

المسيري عبد الوهاب: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1، 1423/2003.

مكي الطاهر: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1980.

مكي محمود: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلدان7،8، سنة1959–1960.

المنوني محمد: حضارة الموحدين، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989.

المنوني وآخرون: التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 1412/ 1991.

مراجع معربة:

أميركو كاسترو: حضارة الإسلام في إسبانيا ، ترجمة سيلمان العطار، الدار الثقافية للنشر،القاهرة،ط1، 2002.

إميليو غرسية غومس وآخرون:ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي، ترجمة محمود علي مكي، المطابع الأميرية، المجلس الأعلى للثقافة،1998.

بالنثيا جانثلث: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دط، دت.

جاك ريسلر: الحضارة العربية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1963.

جان وجيرم طارو: أزهار البساتين في أخبار الأندلس والمغرب في عهد المرابطين والموحدين،ترجمة وتعليق أحمد بلافريج ومحمد الفاسي،المطبعة الوطنية، الرباط، دط،1349.

روبيرا متى ماريا خيسوس: الأدب الأندلسي، ترجمة وتقديم أشرف علي دعدور، المجلس الأعلى للثقافة، 1999.

زغريد هونكة: شمس الله تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، مراجعة مـــارون عيـــسى الخوري، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط7، 1406/1982.

ليفى بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة عبد العزيز سالم ومحمد صلاح حلمي، مراجعة لطفـــي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دط، 1990.

متز آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية أبو ريدة محمد عبد الهادي، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1986.

هويثي ميرندا: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة عبد الواحد أكمير، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، دط، 2003.

مراجع باللغة الأجنبية:

Ali Mezahar: *La vie quotidienne des musulmans au moyen age*, Librairie Hachette, 1951.

Claudio Sancher Albomor: *L'Espagne musulmane*, Traduction Claude Faraggi, OPN, Puplished1985.

André Clot:*L'Espagne musulmane* VIII –XV, France, decembre, 2004

Levi Provinçal*: l'Espagne musulmane au Xème*, institutions et vie sociale, Paris, Larose, 1932.

E. Fagnon: *additions aux dictionnaires arabes, Beyrout, librairie du liban*.

Guichard Pierre: *Al*-Andalus711-1492une *histoire de l'Andalousie arabe*,Paris, Hachette imprimerie.

Guichard Pierre: *structures sociales orientales et occidentales dans l'Espagne musulmane*,Paris, école des hautes études en sciences sociales, centre de recherches historiques, la Haye.

Manuela Marin: *Individio y sociedad en al_Andalus*, Spain, Espasa, Pinted, 1992.

Menendaz Pedal:*Estoria de Espana, dirigida por José* Maria,Espasa, T VIII-II.

R.Dozy: *Dictionnaire detaille des noms des vetements chez les arabes* ,Amesterdam,Jean Muller,1845.

R.Dozy*:supplément aux dictionnaires arabes*, Paris, troisième édition, Maisonneuve 1967.

Salah Khalis: *La vie littéraire à Séville au XI siècle*.

Thm. Bianquis: *la famille arabe medievale,* historique,éditions complex.

رسائل جامعية:

بلغيث محمد الأمين: الحياة الفكرية بالأندلس، أطروحة دكتواه دولة، إشراف حاجيات عبد الحميد، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2002–2003.

فتحة محمد: النوازل الفقهية والمجتمع، أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي، أطروحة دوكتوراه في التاريخ، إشراف حجي محمد، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، قسم التاريخ، سنة 1995–1996.

فيلالي بلقاسم: التعليم والدعوة الموحدية، مذكرة مقدة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف مجاني بوبة، جامعة منتوري، كلية العلةم الإنسانية، قسم التاريخ، السنة الجامعية 2003– 2004.

فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني(دراسة سياسية وعمراني واجتماعية وثقافية)، دكتوراه دولة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر،1995.

مجلات ودوريات:

بنسباع مصطفى: "ابن الحاج التجيبي القرطبي ومسائل بيوعه في معيار الونشريسي"، مجلة الأندلس، قرون من التقلبات والعطاءات.

بنعبود امحمد وبنسباع مصطفى: "جوانب من المجتمع الأندلسي خلال عصري الطوائف والمرابطين من خلال نوازل ابن الحاج"، مجلة كلية الآداب، تطوان، جامعة عبد الملك السعدي، المملكة المغربية، ع7، 1994 .

بوتشيش ابراهيم القادري: " ظاهرة الزواج في الأندلس إبان الحقبة المرابطية"، ندوة الأندلس الدولية، أفريل 1992، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية.

بوتشيش ابراهيم القادري: " ظاهرة الزواج في الأندلس إبان الحقبة المرابطية"، مجلة دراسات أندلسية، عدد 9، رجب1413، جانفي1993.

بيار غيشار: "التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين"، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى خضراء الجيوشي، مركز دراسات الوحدة العربية،ج2.

توروس بلباس: الأبنية الإسبانية الإسلامية، تعريب العناني علية إبراهيم ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد الأول، السنة الأولى ، 1953/1372.

الخطابي محمد العربي:"الطبيب ابن خلصون ومذهبه في تدبير الصحة وحفظها"، مجلة أكاديمية المملكة المغربية، العدد الأول، جمادى الأولى 1404، فيفري 1994.

خلوق عبد العزيز التمسماني: "التجارة البحرية في حوض البحر المتوسط من خلال نوازل أبي القاسم البرزلي"، سلسة ندوات ومحاضرات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، رقم: 48.

دافيد ويتز: "فنون الطبخ في الأندلس" ، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى خضراء الجيوشي، مركز دراسات الوحدة العربية،ج2.

ذنون طه عبد الواحد: "كتب الفتاوى مصدرا للتاريخ الأندلسي"، المجلة العربية للثقافة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ع27، سنة14، ربيع الأول1415/سبتمبر1994.

السيد سحر عبد العزيز سالم: "ملابس الرجال في الأندلس"، صحيفة الدراسات الإسلامية، مدريد، مجلد27.

السيد عبد العزيز سالم: "بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية"، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، المجلد الخامس، العدد1و2، 1957/1377.

غراب سعد: كتب الفتاوى وقيمتها الاجتماعية، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، ع16، 1978.

فيغيرا" أصلح للمعالي عن المترلة الاجتماعية لنساء الأندلس"، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى خضراء الجيوشي، مركز دراسات الوحدة العربية،ج2.

لويز يولتز:"نباتات الصباغة والنسيج" الحضارة الإسلامية، تحرير سلمى خضراء الجيوشي، مركز دراسات الوحدة العربية،ج2.

المني نعيمة: "صور من النقد السياسي والاجتماعي في الأدب الأندلسي"، كراسات أندلسية، تقديم عباس الجراوي، الرباط.

يعقوب زكي(جيمس دكي): "الحديقة الأندلسية – دراسة أولية في مدلولاتها الرمزية-"، ترجمة محمد عصفور، الحضارة الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى خضراء الجيوشي، مركز دراسات الوحدة العربية، ج2.

David Waines :"alimentacion en Al-Andalus",*El legado Marroqui y Andalusi* ,universidad Abdelmalek Assaadi, facultad de letras y ciencias humanas,Titwan, qoloquios n4, Abril, 1991.

Garcia Sanchez: Dietics aspects of food in Al-Andalus, *patterns of everyday life*, edited by David Waines, the formation of th classical islamic worldmV10.

Hady Rojer Idris: "le mariage en occident musulman d'apres un choix de Fatwas medievals extraité du M'yar d'Elwansharisi", *studia islamica*,Maisonneuve, Larose, Paris, T32.

Manuela Marin:"Pots and fire", *patternes of every life*, edited by David Waines, Formation of the classical Islamique world,V10.

الفهارس

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

الصحيفة

فهرس الأشعار

فهرس الأزجال

الصحيفة

فهرس الأمثال

فهرس الأعلام

القاف

اللام

الميم

النون

الواو

الياء

فهرس الأماكن

فهرس الملاحق

الملخص

إن دراسة الأسرة من حيث تاريخها يتطلب دراستها ضمن حقل التاريخ الاجتماعي الذي يهتم بدراسة تاريخ المجتمعات وعناصرها؛ فيدرس على سبيل المثال: الأسرة كدورة تتطور من حيث اتساع دائرتها وضيقها، ووظائف أفرادها وأدوارهم، ومختلف الأسس التي تقوم عليها.

وفي بحثنا هذا محاولة لدراسة إحدى النماذج عن ذلك- تاريخ الأسر- وهو:تاريخ الأسرة الأندلسية، في عصر تميزت فيه الأندلس بالحروب بين المسلمين والنصارى المجاورين ، ودخول عناصر دفاع جديدة، متمثلة في المرابطين والموحدين، ومعرفة مدى تفاعل هؤلاء الداخلين مع المجتمع الأندلسي، وأهم مظاهر هذا التفاعل.

كان الأندلسيون ينظرون إلى تكوين الأسرة بعقليات متباينة بين ضرورته، وبين العزوف عنه، غير أنهم كانوا يحرصون على تزويج الأنثى؛ خشية الفضيحة، وحرصا على العرض، وكانت مراحل بناء الأسرة لا تختلف كثيرا عن مراحلها في وقتنا الحاضر، حيث تبدأ بالاختيار الذي راعى فيه الأندلسيون اعتبارات عديدة، ثم تأتي مرحلة الخطبة حيث يتعرف فيها أهل طرفي الزواج، وعدا بعقد الزواج، الذي يفضلونه في مساجدهم، بكتابة وثيقة جامعة لما يحويه العقد من شروط، ويأخذ كل من الطرفين مدة زمنية لتحضير مستلزماته من مهر وشوار وبيت، وبعد انقضاء هذه المدة، يقام حفل لزف المرأة إلى بيت زوجها ، حيث تكون بداية اتساع دارة الأسرة.

بعد بناء الأسرة، يتجه تفكير الزوجين نحو نظام الأسرة، فينتظرون المولود ، الذي تحف به الأسرة العناية منذ كونه جنينا، وعند رؤيته النور، تستغل كل الطرق لإحاطته العناية والرعاية حتى يصبح طفلا ، فتغذيه الأخلاق، وتختار له المؤدب والمعلم لأخذ العلوم المختلفة، ويبتدئها الأندلسيون بتحفيظ القرآن الكريم، ويسعى الوالدان إلى تكون أبنائهم من أجل خدمة مجتمعهم، ويحرصون في ذلك على البنت حيث تعلق لها المسؤوليات المختلفة، خاصة بعد تزويجها، وكانت للمرأة الأندلسية حقا مكانة خاصة في أسرتها ومجتمعها، رغم بعض الانتقادات الموجهة إليها، فدورها الذي يتعدى أسرتها إلى مجتمعها أعطاها مكانة مرموقة حتى أصبح ينتسب إليها أبناؤها.وباتساع دائرة الأسرة تنشأ عدة علاقات تختلف باختلاف الأفراد، كعلاقة الزوجين، وعلاقة الأبناء، وعلاقة الإخوة، وعلاقة الأقارب، وغيرها، إلا أنها تشوبها في بعض الأحيان مشكلات كان محورها الرئيس : الإرث، فيحاول الأفراد تفاديها أو معالجتها باللجوء إلى القضاء.

وإن أهم العادات والتقاليد التي كانت بارزة عند الأسرة الأندلسية هي: اهتمام الأندلسيين بالهندام ومظهر المحيط، مستعملين مختلف الوسائل والأدوات واللوازم لإعطائهما الصورة الجمالية اللائقة، واهتمامهم أيضا بتنويع أطباق الطعام والتفنن في صناعتها، واختيار أنواع المشروب والفاكهة، مع مراعاة صحة الجسم في كل ذلك، رغم انتشار ظاهرة شرب الخمر التي استنكرها وحاربها الفقهاء والمحتسبة بوجه خاص، أما الصحة فقد كان الأندلسيون يتبعون مختلف الطرق كالحمية، والوقاية، ومراعاة أساليب

النظافة، إضافة إلى نصائح الأطباء والحكماء، وإذا تطلب الأمر للعلاج ، فقد كان الكثير منهم مـــن لا يسمح له وضعه المالي شراء الدواء، فيلجأ إلى الطب الطبيعي البديل كالاستحمام بماء الحمات الطبيعية، أو اتباع بعض الاعتقادات الخاطئة كالتبرك بقبور الصالحين، والجدير بالذكر عادات الاحتفال التي تجمع الأندلسيين، الذين يحتفون بها أيما احتفاء، ولا سيما الأعياد الدينية كعيـــد الفطـــر وعيـــد الأضـــحى، ومشاركة النصارى في مختلف أعيادهم كالنيروز والعنصرة، إلا أن هذه اللحظات تشوبها بعض الأحزان كوفاة أحد أفراد الأسرة الذي يوحي بضيق في دائرة الأسرة،فقد كان الأندلسيون يتبعون عدة تقاليـــد، ولا سيما في العزاء والمآتم.

ولعل أهم المظاهر البارزة في عادات الأسرة، الترويح عن النفس بالخروج للنزهة، فتنوعت عندهم بين يومية، حيث يخرجون إلى المنتزهات كلما سنحت لهم الفرصة، ونزهة موسمية تأتي مع جني محصول أو استغلال أيام اخضرار الأرض في الأرياف، ويرفهون على أنفسهم باستعمال مختلف وسائل الغنـــاء والطرب، والاجتماع في مجالس اللهو والرقص، كما يجتمعون لأجل الترفيه ببعض الألعاب كالشطرنج والنرد، رغم محاولة المحتسبة محاربة ذلك.

وإذا علمنا أن ما سبق هو أهم المحاور التي يمكن أن تدرس بها الأسرة في إطارها التاريخي، فقـــد كانت حياة الأسرة الأندلسية تمثل أهم مظاهر التفاعل بين عناصر المجتمع، أو بمعنى آخر، بـــين أهـــل ا؟لأندلس والداخلين عليهم، دون إمكانية الفصل أو التمييز بينهم.

Résumé de la thèse

L’étude de la famille du point de vue historique nous amènent a l’étudier dans le cadre de l’histoire sociale qui s’intéresse de l’étude historique des sociétés et ses éléments , on étudie par exemple la famille comme un cycle d’évolution en s’élargeant et en se retranchant les fonctions de ses membres et leur rôles et les différents fondements qui la soutiennent .

Dans notre recherche , j’ai essaye d’étudier l’histoire de la famille Andalouse , a une époque qui a caractérisée l’Andalousie avec des guerres entre Musulmans et Chrétiens riverains , et l’émergence d’autre éléments nouveaux qui sont les Mourabitines et le Mouwahidienes et cherchant a savoir l’interaction entre ses intrus a la société Andalouse et les aspects importants de ses interactions .

Les Andalousiens voyaient la formation de la famille avec des mentalités différentes ceux qui la considère nécessaire dans la vie et ceux qui l’ignore , mais en revanche ils étaient très attache aux mariage de leurs filles de peur pour leur honneur , et pour épargne leur dignité et leur image d’honneur dans la société .

La formation de la famille n’étaient pas trop différente a sa formation de nos jours , elle commence par le choix que les Andalousiens ont accordes beaucoup de considération , puis la phase de la khotba (promesse de mariage) qui consiste a une connaissance mutuelle du couple et de leur famille en vue d’un engagement de mariage ; qui se fait de préférence dans leur mosquées en écrivant un contrat général qui englobe les conditions du mariage , puis chaque partie prend un certain temps pour la préparation de la dote , et vêtements , et maison . Apres un certain temps , ils célèbrent le mariage et la marie part pour sa nouvelle demeure de son mari , et cela est la première phase d’élargissement de la famille .

Apres le fondement de la famille , les deux époux commencent a structurer la famille , ils attendent un nouveau née qui soit bien entoure depuis sa naissance et sa vue de la lumière du jour . La famille prend tous les mesures pour bien l’entoure et lui donne toute la tendresse nécessaire jusqu'à l’age d’un enfant . Ils l’inculque moralement , ont lui choisi un enseignant pour l’instruire en différentes sciences , en commencent par du Coran .Ils s’attachent beaucoup a ce que leurs fils soit aux services de la société , et

s'acharnent beaucoup sur la fille pour qu'elle se responsabilise dans toutes les taches , surtout après son mariage . La femme Andalouse avaient une place importante dans sa famille et la société , malgré les critiques enregistres contre elle ; son rôle qui a dépassée sa famille pour toute la société lui convie une place exceptionnelle au point de lui accorder la filiation de ses enfants .

L'élargissement de la famille donne naissance a de multiple relations suivant les personnes ; comme les relations maritales , les relations avec les fils et les fille , et les autres membres de la famille , mais ses relations sont de temps en temps perturbaient par des problèmes qui concerne particulièrement l'héritage que les gens essaient de le prévenir on trouvant des remèdes en justice .

Les plus importantes coutumes et traditions qui sont bien claires dans la famille Andalouse sont : leur grand intérêt des habilles et de leur aspect corporelles . ils utilisaient différent moyens et outils nécessaires pour s'exposer d'une image de beauté acceptable . Ils s'intéressaient aussi de la diversité des plats de repas et accentuant sur l'art culinaire et choisissant les différents boissons et fruits , toute en prenant en considération la santé du corps , même si la consommation des boisons alcoolises étaient très répandu – néanmoins combattu par les Foukaha spécialement – mais la santé était le souci des Andalousiens qui ont suivi les différents méthodes de régime et de prévention et suivant les règles de la propreté , sans oublier leur attachement aux consignes de médecins et savants , et se soignant si nécessaire .Parfois des gens ne pouvaient pas acheter des médicaments vue leur situation financière , ils ont recours a la médecine naturelle alternative comme le bain dans les stations thermales naturelles ou en suivant quelques croyances fausses comme se fiant aux tombes des religieux .

On incite aussi sur les coutumes des cérémonies chez les Andalousiens qui leur accordaient beaucoup d'importance spécialement les fêtes de l'Aid el Fitre et l'Aid El-Adha . On note aussi leur participation avec les Chrétiens dans différents fêtes comme le Niarous et la Ansara , mais ses moment peuvent être terne par du chagrin comme la mort d'un membre de la famille qui inspire un retranchement du cycle de la famille , les Andaloussiens ont bien suivi les coutumes particulièrement dans les funérailles et le recueillement .

On peut dire que les plus importants aspects des coutumes familiales Andalouse sont l'épanouissement de l'esprit en sortant et organisant des pique-niques et des voyages , qui sont parfois

journalière et parfois ils les prenaient pendant les différents saison qui viennent au moment de la cueillettes des moissons et pendant la verdure des champs dans la campagne .Il se donnaient a la jouissance par la musique et les chansons st se regroupant dans des groupes pour le loisir e les danses .

Ils se regroupaient aussi pour se divertir avec quelques jeux d'échec et de nerde , même si les Foukahas étaient contre ses pratiques .

Nous savons que ses chapitres qui étudient la famille dans le contexte historique sont très importantes du faite qu'elles met en relief la famille Andalouse et représente les aspects de l'interaction entre les éléments de la société , autrement dit , entre les gens de l'Andalousie et les intrus de cette société sans trouver de faille et de distinction entre eux .

Summarize thesis

The study of the family from the historical point of view bring us has to study it within the framework of the social history which is interested of the historical study of the societies and its elements, one studies for example the family like a cycle of evolution while being enlarging and while being cut off functions of its members and their roles and the various bases which support it.

In our research, I have try to study the history of the Andalusia family, has one time which characterized Andalusia with wars between Muslims and Christian bordering, and the emergence of another new elements which are Mourabitines and Mouwahidienes and seeking has to know the interaction between its intruders has the Andalusia society and the significant aspects of its interactions.

Andalusia's saw the training of the family with different mentalities those which considers it necessary in the life and those which is unaware of it, but on the other hand they were very attaches to the marriage of their daughters of fear for their honor, and saving their dignity and their image of honor in the company.

The training of the family were not too different A its formation nowadays, it starts with the choice which Andalusia's have grant much consideration, then the phase of the khotba (promise of marriage) which consists has a mutual knowledge of the couple and their family for an engagement of marriage; who is done preferably in their mosques by writing a general contract which includes the conditions of the marriage, then each part takes a certain time for the preparation of equips, and clothing, and house. After a certain time, they celebrate the marriage and the Marie leaves for her new residence her husband, and that is the first phase of widening of the family.

After the base of the family, the two husbands start has to structure the family, they await new born which is well surrounds since its birth and its sight of daylight. The family takes all measurements for good surrounds it and gives him all tenderness necessary until the age of a child. They inculcates it morally, chose a teacher to him to inform it in various sciences, start some with of Coran Is stick much has what their sons is with the services of the company, and bait themselves much on the girl so that it

responsabilise in all the spots, especially after its marriage.

The Andalusia woman had a significant place in her family and the company, in spite of criticisms record against it; its role which exceeded its family for all the company invites him an exceptional place to the point to grant the filiations of his/her children to him.

The widening of the family gives birth has of multiple relations according to the people; like the marital relations, relations with wire and the girl, and other members of the family, but its relations are from time to time disturbed by problems which relates to the heritage particularly that people try to prevent it one finding remedies in justice.

The most significant habits and traditions which are quite clear in the Andalusia family are: their great interest of equip and their aspect body. they used different means and tools necessary to expose itself of an acceptable image of beauty.

They were also interested of the diversity of the dishes of meal and accentuating on the art of cooking and choosing different drinks and fruits, very by taking into account the health of the body, even if the consumption of timber alcoholism very widespread –nevertheless were fought by Foukaha especially – but health were the concern of Andalusia's which followed different the methods of mode and prevention and according to the rules from cleanliness, without forgetting their attachment with the instructions of doctors and scientists, and looking after if necessary Parfaits of people could not buy drugs seen their financial standing, they have recourse has alternative natural medicine like the bath in while following some false beliefs like trusting in the tombs of the monks.

One also incites on the habits of the ceremonies at Andalusia's which granted much importance to them especially the festivals of the aid el Fitre and the aid Al- Adha. One notes also their participation with the Christians in different festivals like the Niarouse and will Ansara it, but its moment can be dull by sorrow like the death of a member of the family which inspires a cutting off of the cycle of the family, Andalusia's followed well the habits particularly in the funeral and meditation.

One can say that the most significant aspects of the family habits Andalusia are the blooming of the spirit while leaving and organizing picnics and voyages, which are sometimes day laborers and sometimes they took them during different the season which come at

the time from the gatherings from the harvests and during the greenery of the fields in the Il countryside were given has the pleasure by the music and the songs St gathering in groups for the leisure E the dances.

They also gathered to be diverted with some plays of failure and nerde, even if Foukahas were against its practices.

We know that its chapters which study the family in the historical context very significant are made that they highlights the Andalusia family and represents the aspects of the interaction between the elements of the company, in other words, between people of Andalusia and the intruders of this company without finding of fault and distinction between them.

Resumen la tesis

El estudio de la familia desde el punto de vista histórico, tenemos que hacerlo en el marco de la historia social, que está interesada en el estudio de la historia de las sociedades y de sus elementos. Estudia, por ejemplo, la familia como un ciclo que evoluciona, reduciendo o alargando su espacio, las funciones de sus miembros y las distintas bases que la respaldan.

En nuestra investigación, hemos intentado estudiar la historia de la familia Andaluza, en un tiempo, caracterizado por las guerras entre musulmanes y cristianos limítrofes, la aparición de otros nuevos elementos que son los Almoravides y Almohadies, y los aspectos significativos de la interacción entre esos intrusos y la sociedad Andaluza.

Todos los Andaluces ven la formación de la familia con diferentes mentalidades: para unos es considerada como necesaria en la vida, otros dicen lo contrario. Pero por otro lado todos insisten en casar sus hijas por temer por su honor y su dignidad.

La formación de la familia no era demasiado diferentes a su formación hoy en día. Comienza con la elección y, a continuación, la fase de la "Jotba" (promesa de matrimonio), que ha constituido un conocimiento mutuo de la pareja y su familia para un compromiso de matrimonio, que se realiza preferentemente en sus mezquitas por escrito y un contrato general que incluye las condiciones del matrimonio. Entonces cada parte toma un cierto tiempo para la preparación del dote, prendas de vestir, y equipamiento de la casa. Después de un cierto tiempo, se celebra el matrimonio y la prometida deja su casa por la nueva residencia de su marido, lo que representa la primera fase de ampliación de la familia.

Después de la construcción de la familia, los dos esposos tienen que iniciar la organización de la familia, esperan los recién nacidos con ánimos de ocuparse de ellos desde su nacimiento y su visión de la luz del día. La familia toma todas las precauciones necesarias para el buen cuidado y toda la ternura necesaria para el recién nacido y su desarrollo posterior. Se le inculca bases morales, se opta por un profesor que le enseñaria diversas ciencias y el Coran y prepararle para servir la sociedad. Se Pone mucho cebo en la niña a fin de que esté lista para tomar todos sus responsabilidades, sobre todo después de su matrimonio.

La mujer tenia en Andalucía un lugar importante en su familia y en la sociedad, a pesar de las críticas en contra; su función, que superó su familia hacia la sociedad, le invita a ocupar un lugar excepcional hasta el punto de atribuirle la concesión de la filiación de sus hijos.

La ampliación de la familia da a luz a múltiples relaciones que se diferencian según el tipo de las personas: las relaciones conyugales, las relaciones con los hijos, y otros miembros de la familia. Pero esas relaciones son de vez en cuando, perturbadas por los problemas relacionados con el patrimonio en particular, que las personas tratan de impedir o resolver en la justicia.

Los más importantes hábitos y tradiciones de la familia Andaluza son: su gran interés de dotar a su aspecto y cuerpo, utilizar diferentes medios y

herramientas necesarias para exponer una aceptable imagen de belleza en su entorno. Ellos también se han interesado en la diversidad de los platos de comida e insistir sobre el arte de cocinar y la elección de diferentes bebidas y frutas, teniendo muy en cuenta la salud del cuerpo, a pesar de que el consumo de productos alcoholizados, prohibido por la "sharia musulmana", era muy extendido. La salud fue la preocupación de los andaluces que siguieron diferentes métodos de prevención, régimen alimenticio, etc. sin olvidar su vinculación con los consejos de los médicos y científicos, mientras las personas pobres recurren si es necesario a otras alternativos como la medicina natural o a algunas falsas creencias como la confianza en las tumbas de los monjes.

los andaluces conceden gran importancia a los hábitos y ceremonias, especialmente a los festivales de "Aid el fitr" y "Aid el adha". Se observa también su participación con los cristianos en diferentes festivales como el "nirus" y "Ansara", pero estos momentos pueden ser aburridos como la tristeza por la muerte de un miembro de la familia que inspira un corte del ciclo de la familia. Los andaluces seguían asi muchos hábitos en particular en el funeral y la meditación.

Se puede decir, por otra parte, que los aspectos más significativos de los hábitos de la familia se resumen en disfrutar del tiempo libre organizando picnics y viajes, que a veces son estacionales o durante las cosechas, y aprovechando el verdor de los campos se dan el placer de reunirse, escuchar musica y bailar,y otras veces, jugar ajedrez y dados, y ello a pesar de su prohibición.

Considerando lo dicho como los mas importantes temas relacionados con el estudio de la familia en el contexto histórico, La vida de la familia Andaluza representaba los aspectos de la interacción entre los elementos de la sociedad, en otras palabras, entre las personas de Andalucía y los intrusos de la presente sociedad sin posibilidad de separación o distinción entre ellos.



الموضـــــوع | الصحيفة